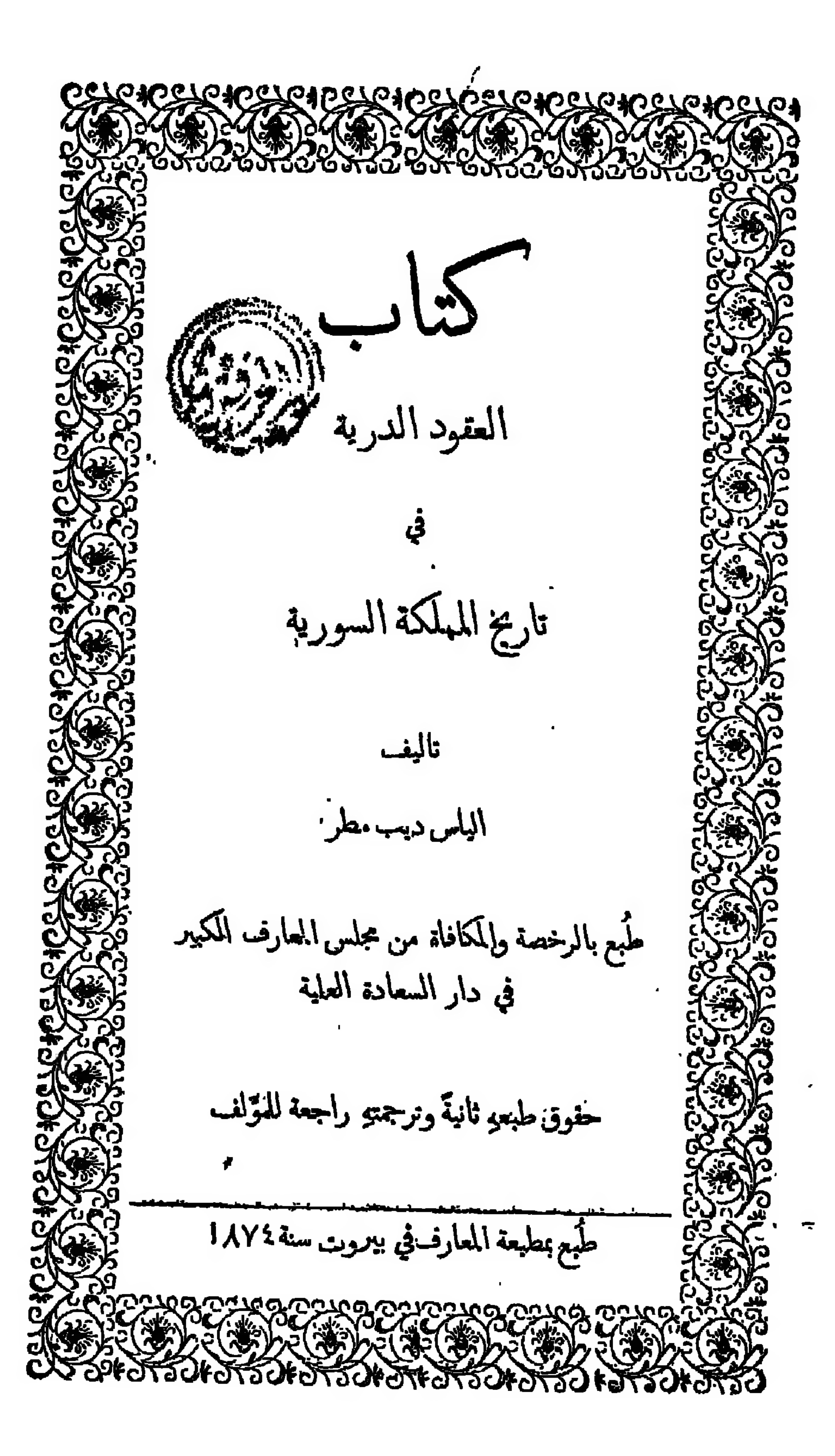




كتاب

العقود الدرية

في

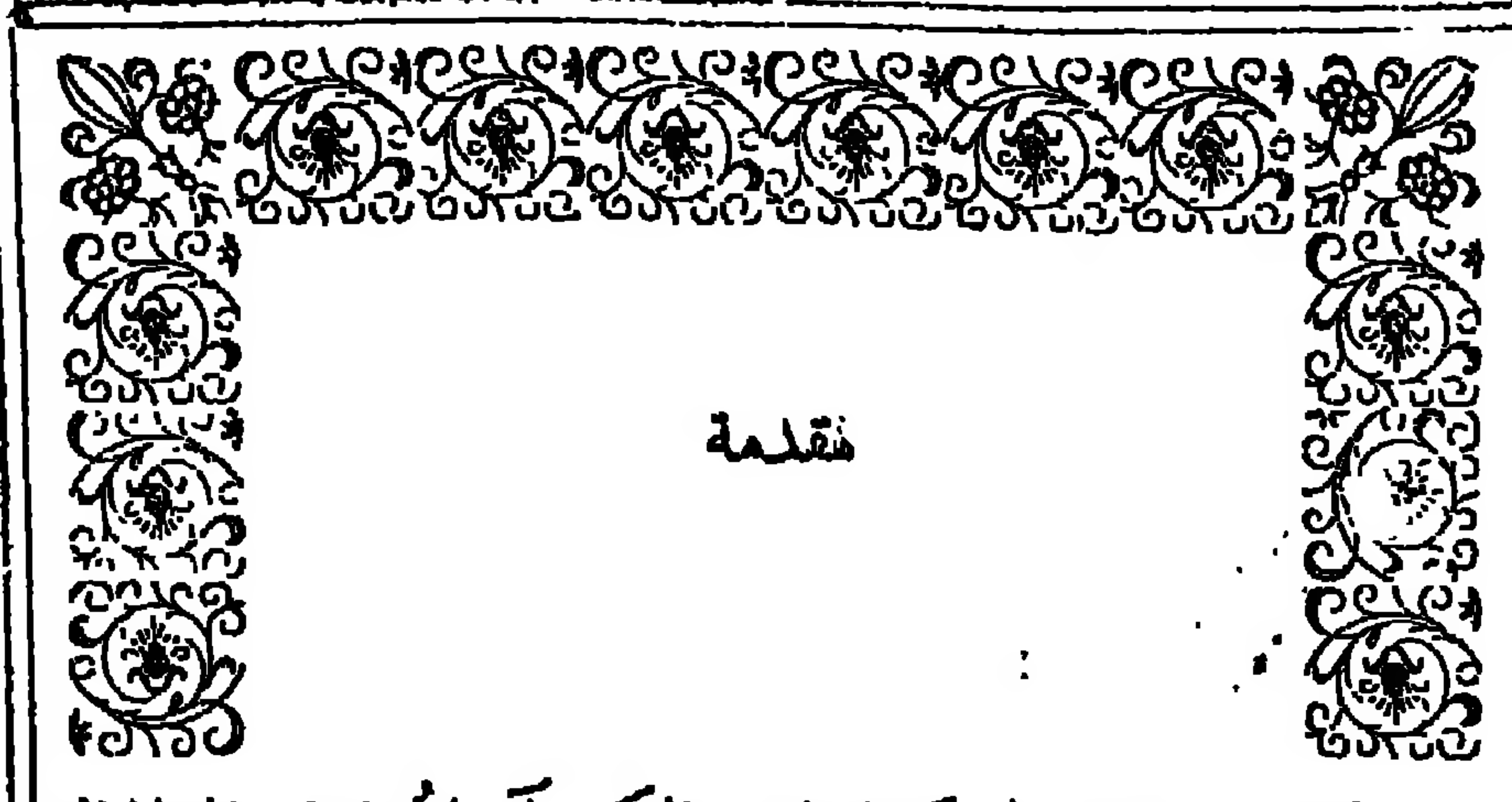
تاريخ المملكة السورية

تاليف

الياس ديب مطر

طُبع بالرخصة والمكافاة من مجلس المعارف الكبير
في دار السعادة العلية

طُبع بمطبعة المعارف في بيروت سنة ١٨٧٤



مقدمة

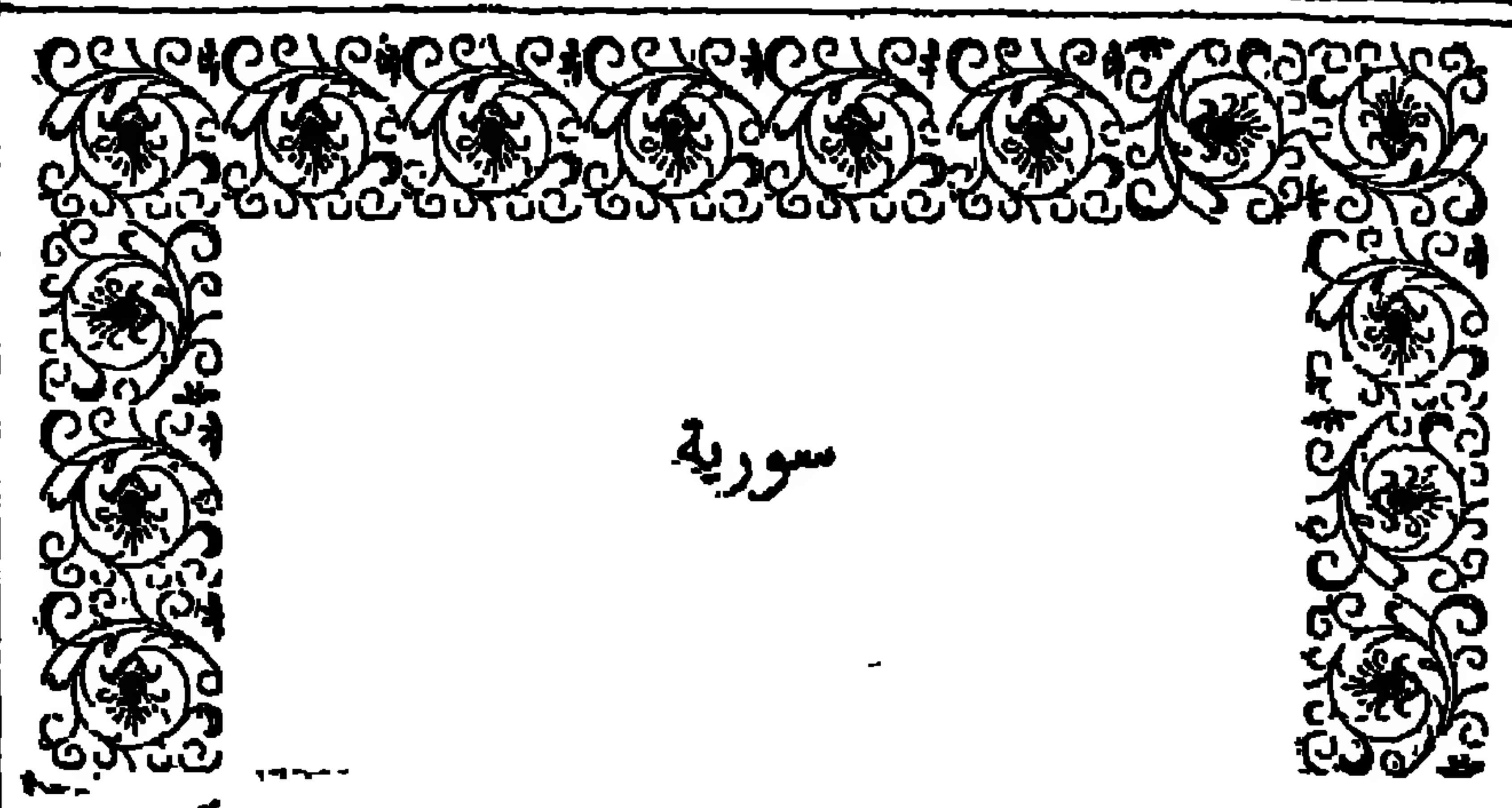
حمدًا لمن جعل التاريخ مركز المعارف والحكم ومرآة بها تُنظرُ احوال الممالك والامم العالم بالظاهر والمكنون والآمر بما كان وما يكون احمدهُ حمدًا تصورهُ الفصاحة على دسر الافكار واهيم لسر دوما توالى الليل والنهار اما بعد فاني اذ كنت غريقًا في بحور مطالعة تواريخ الامم والتفكر بما بكل الممالك الم شعرت بحاسيات مصدرها الفؤاد تجبرني على اظهار فضل مورخي الاعصر والبلاد فنمقت بيد الشكر حسن فخرهم الجزيل وما تفضلوا بهِ من الجميل بيد انني لما امتطيت ادهم النجاح غائرًا وسط ميدان التقدم والفلاح شعرت بما كاد يمحو سروري وفيهِ بات منتهى حبوري حيث شاهدت ان لكل مملكة تاريخًا بهِ ذكر البلاد مع من تغلب عليها وساد دون مملكتنا السورية اذ لم ارَ تاريخًا لها على الاطلاق سوى بعض نبذات اتت على غير اتفاق فاخذني من ذلك العجب وتطفلت على الدخول في رياض المعارف والادب وتاملت في هذه البلاد ومن بها ساد وحكم فرايتها اشهر من نار على علم يحق للقلم ان يفتخر بذكراها وللشاعر ان يتغزل بحسن تربتها ورباها اذ منها بزغت بسماء الفضل اقمارٌ متوشحة بحلى المعارف ونجوم متجلببة بجلباب اللطائف فبمثلها يشدو كل بارع اديب وعالم نجيب كيف لا وقد كانت ولم تزل من اشهر البلدان وذلك امرٌ غنيٌّ عن البرهان وما لنا سوى ان نسرح النظر بما وصلت اليهِ من الثروة والاقتدار بعصر يعد من اجمل الاعصار وهو عصر المليك الاعظم والخاقان الافخم السلطان ابن السلطان السلطان عبد العزيز خان

ادامهُ الله مدى الزمان بالعز والنصر والامان اخذتني الحماسة العربية واستفزتني النخوة الادبية لتاليف كتاب يحتوي على ترجمة بلدانها وتسطير تاريخ محصولاتها واعيانها مع ذكر من حكمها من الملوك العظام والامراء الفخام فكنت اسير تلك الحماسة العربية ملبيًا لها بسرعة كلية واخذت ابذل الكد والجد وافرغ القوة والجهد مسرعًا بنوال المطلوب مُريقًا دمي امام منبر وطن محبوب واجتنبت كل تطويل مملّ واختصار مخلّ فجاء بحمد الله تعالى كتابًا حوى من الحوادث اشهاها ومن الامور التاريخية اوفاها ولما تمّ على احسن منوال اهديته لذي المقام والكمال يتيمة الدهر وجوهرة العصر جامع شوارد المعارف والادب وفريد مؤرخي العجم والعرب مولاي مالك كل مكرمة بهية دولتلو افندم جودت باشا وزير المعارف السنية ادام الله اجلالهُ وعظم فضلهُ وكمالهُ وابلغ دولتهُ غاية القصد والارب والبسهُ ظل المعارف والادب وقد تطفلت على موائد مدحهِ واهتديت الى المعاني بمنحهِ ونجحهِ فقلت

قصيدة

ابا دعد اني لا ازال على العهدِ معنًّى باشواق الصبابة والوجدِ
لقد سرت في قفر الغرام مولهًا فلم الق فيهِ من رشيدٍ ولا مهدي
فما بالهوى الّا سقامٌ وحسرةٌ ونيران اعراضٍ تزيد لدى الصدّ
كفاكِ قتالي في هواكِ باسهمٍ تصيب فؤادي المستهام على بعدِ
فما لي مثل في الغرام وما لها بمنظرها بين البرية من ندّ
اذا نظر الساقي محاسن نهدها يبيت معنًّى من سنا ذلك النهدِ
فلو اسمعوا قيس الملوّح وصفها لاعرض عن ليلى وضلّ عن العهدِ
ولو شامها العبسيُّ اصبح منشدًا اذا كلمت ميتًا يقوم من اللحدِ
فلرع هو الليل البهيم ووجنةٌ يحدّث عنها انها روضة الوردِ
وقد رمت ان ادنو اليها فثمنها اقامت عليها حارسًا شعرها الجعدي

فنكهتها تغنيك عن وصف ذكرها   عبير ملاب اقرن الرند بالند
ولما انجلت قلت الوصال فجاوبت   وصال الغواني دونه وافر الكد
وشاهدت شمساً للمحاسن حينما   نضت برقع الوجه الجميل لدى الوفد
وابدت هلالاً من جبين وانجماً   بصدر وزهر الورد من روضة الخد
فما جليت الاّ نطقت صبابة   باحرف شوق ترجمت للورى ودّي
وما نطقت الاّ تساقط لؤلؤ   بعقد صبري وانجلت حلية العقد
فما حاربت الاّ باسهم مقلة   وما راعني منها سوى اسمر القد
سمت في سماء الحسن واشتهرت كما   ساجودت المفضال ذو الفخر والرشد
وزيّنه جلّت فنون معارف   وقد بات صدراً للمكارم والمجد
فتاريخه المشهور يشهد انه   فريد وبالتاريخ جلّ عن الند
كريم اذا جار الزمان فانه   يجود بما يدعو الزمان الى الحمد
هو الجهبذ المقدام فخر زمانه   إمام المعالي والمحامد والسعد
واولاه سلطان البرية منصباً   به جمع الاكرام مع لذة الرغد
كريم همام بالعلوم ممنطق   ومن صيته قد صار في الصين والهند
هو الفاضل المشهور ذو الحلم والندى   له سطوة ذلت لها سطوة الاسد
وقد بشرته بالسعادة همة   تحل عسير الامر بالكد والجد
له شهرة تسمو السماك وصولة   وخلق رقيق دونه نفحة الورد
وما علمت يبروت قدرك وحدها   ولكنّ مصر واليمامة مع نجد
علوت على الشعري مقاماً فاصبحت   تميس بك الايام في حلل السعد
سما للعلى السامي فاصبح خاتماً   اذا ذكرت اوصافه عبهر الند
لك الله من مولى جليل مبجّل   جلوت علوماً للانام بلا حد
اذا بثّ اهديك المدى اسطر الثنا   فلست اني في بعض المديح بما اهدي
فيا سيداً حاز المفاخر كلها   تنازل وجد بالعفو عن زلة العبد
ودم بالهنا ما اليأس اصبح منشدا   ايا دعد اني لا ازال على العهد



ان سورية هي القسم السادس من ممالك الدولة العثمانية في اسيا الصغرى ويحدها شرقًا الفرات والبادية وغربًا البحر المتوسط وبحر الروم وشمالاً اسيا الصغرى وجنوبًا جزء من بلاد العربية وهو برية طورسينا الملقب الان بجبل موسى البالغ ارتفاعهُ عن مساواة سطح البحر نحو ٧٥٠٠ قدمًا وقسمت قديمًا الى قسمين وهما سورية وارض فلسطين غير انها عند خضوعها للرومان أُطلق على كليهما اسم سورية ودعيت بهذا الاسم نسبة الى اشوريم حفيد ابرهيم عليهِ السلام غير ان بعضهم رأى انها انما دعيت بذلك لاشتقاقها من صور المدينة العظيمة وسميت ارام نسبة الى ارام بن سام حفيد نوح عليهما السلام وكانت قديمًا ذات اتساع وافراد وجد بها جملة اقاليم مختلفة الاسماء فمنها ارام بين النهرين اي الدجلة والفرات وارام معكا التي دعيت بهذا الاسم من معكا بن ناحور وارام زوبا اي المجوفة وقسمها اخيرًا القدماء المتاخرون الى ثلاثة اقسام الاول سورية انطاكية والثاني سورية حماه والثالث فينيقية لبنان وهي ما فيها دمشق ولبنان وتوابعها ثم انقسمت ايضًا الى قسمين وهما سورية الاولى وسورية الثانية فالاولى كانت عاصمتها انطاكية والثانية كانت قاعدتها افاميا . ولما افتتحها العرب المسلمون اطلق عليها اسم سام التي منهم من رأى انها دعيت كذلك نسبة الى سام بن حام ومنهم من ادَّعى انها انما لقبت بذلك لما فيها من كثرة البقع المشبهة بالشامات وقال ابو الفدا انما دعيت شامًا لان بعض الكنعانيين من سليلة سام بن حام قد نشاءم اليها

اي تياسر لانها عن يسار الكعبة واول من سكن فيها من الشعوب هو نسل حام غير انهٔ بعد زمان طويل طرد بنو اسرائيل الكنعانيين من فلسطين فهجر هولاء ربوعهم وأمّوا اطلال سكان افريقيا واوربا وقد حكم سورية ملوك اشور وبابل منذ سنة ٧٤٢ ق م الى سنة ٧٦٠ ثم خضعت لملوك الفرس غير انهٔ في سنة ٣٣٤ قبل المسيح دخل اليها اسكندر المكدوني الملقب بذي القرنين وبعد ان افتتحها قهر ملكها داريوس قدمانوس اخر ملوك الفرس في البلاد المذكورة ثم بعد ان توفي بنحو ١٢ سنة ق م بنحو ٣١٢ سنة ظهر احد قوادهِ سلوخيس نيقاتورس الاول واقام ملكهُ في مادي وبابل وباقي الاقسام الشرقية ولما توفي في سنة ٢٧٩ ق م قام خلفاؤهُ الذين نسبت اليهم الدولة السلوقية وخلفهُ ولدهُ انطيوخوس الاول وحارب (بطولوماوس) (فيليدلفاروس) وخاب املهُ في اثارتهِ الحرب على فيله من دوسيبوس ودعي انطيوخوس المخلص لانقاذهِ شعبهُ من غزوات البربر ولما توفي في سنة ٢٦٠ خلفهُ في السنة ذاتها ولدهُ (انطيوخوس) الثاني الذي لقب (بتهيوس) لانقاذهِ الشعب من الظالم الفاحش وقد اقترن بابنة (بطولوماوس) ملك مصر بعد ان كمل الحرب التي كان افتتحها والدهُ وتوفي مسموماً سنة ٢٤٧ ق م فخلفهُ (سلوخيس) الثاني الملقب (بكيلنيكوس) الذي توفي سنة ٢٢٥ بعد ان حارب وانتصر على ملوك (برطس) وخلف هذا ولدهُ (سلوخيس) الثالث الملقب بكبرنيوس الذي توفي مقتولاً سنة ٢٢٢ وذلك في محاربتهِ عصاة اسيا الصغرى فخلفهُ ولدهُ (انطيوخوس) الثالث الملقب بالكبير وكان شجاعاً ولولا سطوة الرومان واستعانة اعدائهِ بهم لتغلب على ساير اقسام اسيا الصغرى وعندما كان سائراً لغزو احد المعابد توفي فخلفهُ ولدهُ سلوخيس الرابع الملقب بفيلوباطر الذي ظلم الاسرائيليين وانعم على وزيرهِ (اليودوروس) بانعامات وافرة غير ان هذا الوزير قتل في سنة ١٧٦ ق م وفي سنة ١٧٤ تولى (انطيوخوس الرابع ابن انطيوخوس) الثالث على عرش الملك المختلسهُ اليودوروس الذي توفي باعجوبة عظمى فهذا الملك كان مشهوراً بالشجاعة فانهُ غب انتصارهِ على

قسم عظيم من الديار المصرية اسر بطولماوس ملكها واضطهد الاسرائيليين اضطهادًا شديدًا حتى انهُ منعهم عن ممارسة طقوسهم الدينية والزمهم ان يقدموا ضحيةً للاصنام وهو الذي اهلك السبعة الاخوة المكابيين مع اليعازر الشيخ غير ان ماتاثياس ويهوذا المكابي انتصرا على عسكرهِ فذهب بنفسهِ لمحاربتهما وبمسيرهِ وقع عن جوادهِ ميتًا وكان ذلك سنة ١٦٤ ق م وقد تحرر الاسرائيليون بعد ذلك من العبودية تحت لواء المكابيين وبعد انطيوخوس ايبفانوس قام ديمتريوس سوتروس الاول الذي نجح في محاربتهِ الاسرائيليين فخلعهُ عن ملكهِ اسكندر الاول الملقب ببالوس الخارج عن دائرة النسل الملكي غير انهُ في سنة ١٤٤ ق م قام دمتريوس نيقاتوروس بكر دمتريوس سوتيروس وخلع اسكندر المذكور عن ملكهِ وطردهُ بمساعدة بطولوماوس مالك مصر وحارب ملوك برطس فانهزم من امامهم خوفًا ورهبةً ولما وقع بين ايديهم لم يعاملهُ ملكهم متريداتوس الأ بجزيل المرحمة والرافة وزوجهُ بابنتهِ رودريكا بعد ان طلق كلوبترا امراتهُ القديمة وخلعهُ عن ملكهِ اسكندر الثاني ثم قام انطيوخوس السادس و هو ابن اسكندر الاول مدعيًا انهُ من نسل انطيوخوس تيوس (متريفونس) الخدّاع اقام دمتريوس نيقاتوروس على عرش النجاح ملكًا على سورية مقام اسكندر الثاني وغب ان مضى زمن يسير قتلهُ تريفونوس لاسباب وملك مقامهُ في سنة ١٤٠ ولما ضايقهُ في ميدان الحروب انطيوخوس السابع وكسرت جنودهُ قتل نفسهُ وكان ذلك سنة ١٣٣ اما انطيوخوس السابع وهو ابن دمتريوس سوتيروس فتوفي في سنة ١٢٩ وطرد تريفونوس كما سبق الكلام واخضع الاسرائيليين وحارب ملوك برطس وقد اضطرمت نيران الوغى بينهُ وبين دمتريقوس نيكانوروس في سنة ١٢٠ فانتصر عليهِ دمتريقوس المذكور واستولى حينئذٍ على صولجان الملك الى سنة ١٢٥ واذ ذاك خلعهُ عن ملكهِ اسكندر الثاني الذي ادّعى انهُ ابن اسكندر الاول وبمساعدة بطولماوس مالك مصر تولى الاسكندر المذكور تخت مملكة سورية وغب تملكهِ باربع سنوات انتخ

الحرب مع انطيوخوس بن دمتريكوس فانهزم من امامهِ فامر اذ ذاك
انطيوخوس الثامن بقتلهِ وخلفهُ سلوخيس الخامس ابن دمتريكوس نيقاتوروس
وكان اول زمن حكم هذا الملك سنة ١٢٤ ق م غير ان والدتهُ كلوبترا قتلتهُ
واقامت مقامهُ اخاهُ انطيوخوس الثامن فكان ذلك فعلاً رديًا سطرتهُ الاقلام
في صحائف التاريخ وكان ذلك موضوع رواية (كورناليه) الشاعر الفرنساوي
الشهير غير ان انطيوخوس الثامن التزم ان يقسم الملك بينهُ وبين اخيهِ
انطيوخوس التاسع في سنة ١١٢ وداما حاكمين الى سنة ٩٧ واذ ذاك توفي
انطيوخوس الثامن فقام بعدهُ سلوخيس السادس وهو بكر انطيوخوس الثامن
وقد تولى سنة ٩٧ على سورية انطاكية وعمهُ انطيوخوس التاسع كان متوليًا على
سورية دمشق غير ان الملك سلوخيس السادس قد اكتسب اخيرًا من عمهِ
جميع اقسام المملكة السورية وحينئذٍ ظهر ابن عمهِ طالبًا ثار ابيهِ فانهزم سلوخيس
من امامهِ الى بلاد بين النهرين حيثما هلك هناك وخلفهُ فيلبس بن
انطيوخوس العاشر والحادي عشر والثاني عشر وتنزل عن الملك ثم رجع اليهِ
غير انهُ غب برهة يسيرة خلعهُ شعبهُ عن ملكهِ واقام مقامهُ تيكرانوس ملك ارمينيا
ثم قام انطيوخوس الحادي عشر مع اخيهِ فيلبس وملكا بعد وفاة اخيهما سلوخيس
السادس اذ اخذا بثارهِ ولما حاربهما انطيوخوس العاشر فرَّ انطيوخوس الحادي
عشر هاربًا وتوفي في فرارهِ سنة ٩٠ ق م اما دمتريوس الثالث فانهُ ملك واخوهُ
فيلبس سنة ٩٥ وحارب اخاهُ المذكور فانكسر امام اخيهِ حيث استغاث المذكور
بملوك برطس واما انطيوخوس التاسع فهو ابن انطيوخوس السابع وقد تولى في
سنة ٩٧ وذلك غب وفاة اخيهِ وبعد حكم فيلبس واخيهِ دمتريوس الثالث سنة
٩٥ قام انطيوخوس العاشر في سنة ٩٤ وقد قبض على صولجان الملك من ذلك
الحين الى ان خلعهُ عن حكمهِ ولدا انطيوخوس الثامن وبعد ان تهُ في انطيوخوس
العاشر قامت امرأتهُ (سه له نه) وكان اول زمن حكمها سنة ٨٠ وانتهاؤهُ سنة ٧٠
وقتل هذه الملكة تيكرانوس ملك تلقب اخيرًا باسم ملك الملوك واكتسب فيلروسيا

سنة ٨٣ وكان ملكاً على سورية سنة ٧٠ ولما توفي خلفهُ انطيوخوس الثالث عشر
الملقب بالاسيادي لمطالعتهِ كتب المعارف والعلوم في اسيا الصغرى وطوى
زمناً مديداً مجرداً عن الملك الى ان ولاهُ في سنة ٦٩ ق م كيليكوس وفي سنة ٦٤ ق
م حضر بومبايوس بامر الرومانيين وحارب انطيوخوس الثالث عشر وبعد ان
كسر جنودهُ تولى وقبض على صولجان تخت المملكة السورية التي احيلت منذ
ذاك الحين الى اقليم روماني فيكون زمن ملك اليونانيين في سورية منذ سلوخس
الاول الذي حكم بعد اسكندر ذي القرنين لاخر يوم من حكم انطيوخوس الثالث
عشر مايتين وثمانيا واربعين سنة وقد نجحت هذه المملكة نجاحاً باهراً تحت حكم
الرومانيين غير انهُ في سنة ٤٢ و ٤١ ق م هدم منها قسماً وافراً ملوك برطس
الذين انقرضوا في سنة ٢٢٦ ودعوا ملوك الارساسيد وقد خلف هذه الدولة في
السنة المذكورة ملوك الساسانيين الاعجام واستقام حكم هذه الدولة ٤٢٦ سنة منذ قيام
ارتاكزه رس الاول اويزدجار الى موت يزدجار الثالث وقد تلقبوا بالساسانيين
نسبة الى ساسان والد يزدجار فقد حكموا منذ سنة ٢٢٦ الى سنة ٦٥٢ اذ قتل
يزدجار الثالث وانقرضت هذه الدولة في السنة المذكورة وخلفها الخلفاء واولهم
الخليفة ابو بكر الصديق الذي كان ابتداء حكمهِ سنة ١١ للهجرة وسنة ٦٣٢ بعد
المسيح وخلفهُ حضرة عمر بن الخطاب في سنة ٦٣٤ م ثم حضرة عثمان بن عفان سنة
٦٤٤ م ثم حضرة علي بن ابي طالب سنة ٦٥٥ م ثم حضرة الحسن بن علي بن ابي
طالب سنة ٦٦١ وهولاء سموا الخلفاء الراشدين في مكة وخلفهم الخلفاء بنو امية
وقاعدة ملكهم كانت مدينة الشام واولهم معاوية بن ابي سفيان الذي حكم سنة
٦٦١ واخرهم مروان بن محمد بن مروان الذي حكم سنة ٧٤٤ ثم خلفهم بنو
العباس وقاعدة ملكهم مدينة بغداد واولهم ابو العباس الملقب بالسفاح حكم سنة ٧٥٠
ب م ثم ابو جعفر المنصور سنة ٧٥٤ ثم المهدي سنة ٧٧٥ ثم الهادي سنة ٧٨٥
ثم هرون الرشيد سنة ٧٨٦ واخر بني العباس كان المستعصم بالله ثم قام الخلفاء
الفاطميون في مصر واولهم عبيد الله سنة ٩٠٩ م ثم القائم ابو القاسم سنة ٩٣٦ ثم

المنصور سنة ٩٤٥ م واخرهم العاضد لدين الله سنة ١١٦٠ م وقد امتد حكمهم الى سنة الف ومائة وواحدة وسبعين ومنهم من قال الى سنة ١١٧٤ ثم قام السلجوقيون الذين انتهت دولتهم في سنة ١١٥٤ ثم تسلمت الى الامراء الملقبين بالبكوات وحينئذٍ وفدت جيوش وجنود القوات الصلبية وفي سنة ١١٧٣ احكم الملك الناصر صلاح الدين الايوبي الذي اباد الخلافة الفاطمية في سنة ١١٧١ وقد انقرضت الدولة الايوبية في سنة ١٢٥٢ بالديار المصرية من الاشرف مظفر الدين ابي موسى بن الناصر يوسف بن المسعود بن الكامل وفي سنة ١٢٥٩ قتل هولاكو بن تولي بن جنكزخان ملك التتر الملك الناصر صلاح الدين الايوبي اخر ملوك الايوبيين في بر الشام وغزا سورية خلا الاماكن التي كانت متسلطة بها الافرنج وقد قرض الدولة الايوبية في بر الشام وخلف هذه الدولة ملوك الدولة التركية التي ابتدات سنة ١٢٥٢ واول ملك لها هو المعز عز الدين ايبك التركاني الصالحاني وانقرضت سنة ١٣٨١ بالصالح حجي وملوكها كانوا يعرفون بالمماليك البحرية او مماليك الدولة الكردية وحكمت بعدها الدولة الجركسية المعروفة ملوكها بالمماليك البرجية وقد ابتدات هذه الدولة سنة ١٣٨١ واول ملك لها هو الملك الظاهر برقوق بن عبد الله بن انس بن بردبك وكان يدعي الطنبغا وهو الذي اقام يعقوب بن ايوب الماروني حاكماً على جبة بشري وفي سنة ١٣٨٨ اضطرمت نيران الحرب بين جنود الظاهر برقوق وتركمان كسروان فدارت الدائرة على التركمان ورفرف نسر الانتصار على رؤوس الجنود الظاهرية وكانت الموقعة في جورة منطاش غربي زوق مكائيل من اعمال جبل لبنان وقد انقرضت هذه الدولة سنة ١٥١٧ وذلك انه في سنة ١٥١٤ حارب السلطان سليم الاول طومان باي سلطان مصر فانكسر الجركس امامه اي المماليك واذ ذاك تملك حلب ودمشق واشهر مدن سورية ثم توجه نحو القاهرة واخذ المدينة وامر بشنق طومان باي اخر ملوك المماليك في مصر فكان كامره وذلك سنة ١٥١٧ مسيحية في ٧ اشهر نيسان من السنة المذكورة وبعد ذلك خضعت مصر

باسرها لحكومة الاتراك وانقسمت الى سناجق ولكن السلطان سليم الاول لم يبطل سوى حكومة المماليك اذ انهُ ابقى الحكم لبيكاتهم الاربعة والعشرين تحت حكم سناجق وذلك في مصر فقط دون سورية. ومنذ ذاك الحين بقيت سورية تحت حكم الملوك العثمانيين الاَّ انهُ في سنة ١٦٢٥ اشتهر بالعصيان الامير فخر الدين المعني وفي اواخر الجيل الثامن عشر ظهر احمد باشا الجزار الشهير وفي سنة ١٧٩٩ تولى الافرنسيون الاقليم المصري تحت لواء نابليون بونابارت وحاولوا بان ياخذوا عكا ولكن بدون نفع وفي سنة ١٨٣١ تغلب على سورية محمد علي باشا الذي اباد ساير المماليك وبقيت في يدهِ حتى سنة ١٨٤٠ حينما اخرجهُ منها اتفاق الدول الاجنبية مع السلطان عبد المجيد خان ابن السلطان محمود خان. اما السلطان سليم الاول فقد ولد سنة ١٤٦٧ ب م وهو ابن بايزيد الثاني وعمهُ جام المتوفي في نابولي وقد تولى هذا الملك تخت الملك في سنة ١٥١٢ واشتهر بالشجاعة وفي سنة ١٥١٦ افتتح سورية وقتل طومان باي والي مصر وفي سنة ١٥١٧ اقرض دولة المماليك المعروفة بالدولة الجركسية وتوفي في سنة ١٥٦٦ أ وخلفهُ السلطان سليم الثاني الذي توفي سنة ١٥٧٤ وقام مقامهُ ولدهُ مراد الثالث الذي اثار حربًا على العجم وانتصر عليهم وغب ان حكم عشرين سنة توفي في سنة ١٥٩٥ فخلفهُ ابنهُ محمد الثالث الذي افتتح الحرب مع امبراطور النمسا وتوفي سنة ١٦٠٣ وخلفهُ ابنهُ محمد الاول الذي اثار حربًا على مالك خراسان دون ان ينتصر عليهِ وتوفي سنة ١٦١٧ ولما توفي خلفهُ اخوهُ السلطان مصطفى الاول الذي لم يملك سوى شهرين اذ شب مزورها خلع من الحكم وحجر عليهِ ومنذ ذاك الحين ابتدات العادة بالحجر على اخوة السلاطين آل عثمان ولما خلع من الحكم خلفهُ ابن اخيهِ عثمان الثاني غير ان هذا حكم اربع سنوات وفي سنة ١٦٢٢ هاجت عليهِ الانكجارية وخلعتهُ عن ملكهِ وارجعت السلطان مصطفى الذي غب رجوعهِ امر بقتل ابن اخيهِ عثمان الثاني الذي كان تولى مقامهُ وفي سنة ١٦٢٣ خلعت الانكجارية ثانيةً السلطان مصطفى المشار اليهِ وحجرت عليهِ ثانية فحينئذٍ

تولى عرش الملك السلطان مراد الرابع اخو عثمان بن احمد الثاني وهذا الملك
حارب في بلاد الفرس وبولونيا واشتهر في جملة مواقع وقتل جميع اصحاب
المفاسد والانشقاقات الذين من اشهرهم محمد باشا الرومي وفي زمنهِ صارت
محاكمة الامير فخر الدين معن حاكم جبل لبنان الذي توفي قتيلاً في القسطنطينية
وقد ارتقى هذا الملك الى اوج المعالي وافخر المراتب وفي ايام دولتهِ رقت الدولة
العثمانية الى ذرى المعارف والمجد وغب ان حكم سبع عشرة سنة توفي سنة ١٦٤٠
وكان عمرهُ ثلاثين سنة وخلفهُ اخوهُ السلطان ابرهيم الذي حكم تسع سنين وتسعة
اشهر وحارب مع البنادقة في سنة ١٦٤٤ على فتح كريد وقتل هذا السلطان
سنة ١٦٤٩ فخلفهُ ولدهُ محمد الرابع الذي حارب في بولونيا سنة ١٦٧٣ وافتتح
بعض مدنها وفي سنة ١٦٨٣ حاصر فينا عاصمة اوستريا اي النمسا وسنة ١٦٨٧
تنزل عن الملك وحجر عليهِ فتوفي سنة ١٦٩٣ وكان تنصب سنة ١٦٨٨ اخوهُ
سليمان خان الثالث الذي حارب النمسا سنة ١٦٩١ واخذ نيسيا وبلغراد وغيرها
وتوفي في هذه السنة بداء الاستسقاء فخلفهُ اخوهُ محمد الثاني وكان يودُّ الحظ والصيد
وحدثت في ايامهِ حريقة هائلة في الاستانة احرقت قسماً وافرًا منها وذلك سنة
١٦٩١ وتوفي هذا الملك في منتصف كانون الثاني سنة ١٦٩٥ وخلفهُ السلطان
مصطفى الثاني ابن محمد الرابع وحارب البنادقة وانتصر عليهم غير ان بطرس
الاكبر امبراطور الدولة الروسية افتتح معهُ حربًا وحاصر قلعة ازوف واخذها
واجبر السلطان مصطفى ان يتخلى عن اكثر مقاطعات اوتقاربا الدولة اوستريا
وتوفي سنة ١٧٠٣ محجورًا عليهِ بعد ان خلع من الحكم وخلفهُ اخوهُ احمد الثالث
وخلع من حكمهِ ايضاً وتنصب في سنة ١٧٣١ السلطان محمود الاول بكر السلطان
مصطفى الثاني الذي استولى على اكثر اماكن العجم وحارب دولة روسيا التي
اتحدت مع اوستريا فكسرت جنود الدولة العلية وتوفي هذا السلطان سنة ١٧٥٤
بعد ان جدد الحرب مع روسيا وعقد معها شروط الصلح غب انتصارهِ وفي ذاك
الاوان تلقبت الملكة كاترينا باسم امبراطورة وحينئذٍ منع دخول المراكب الروسية الخ

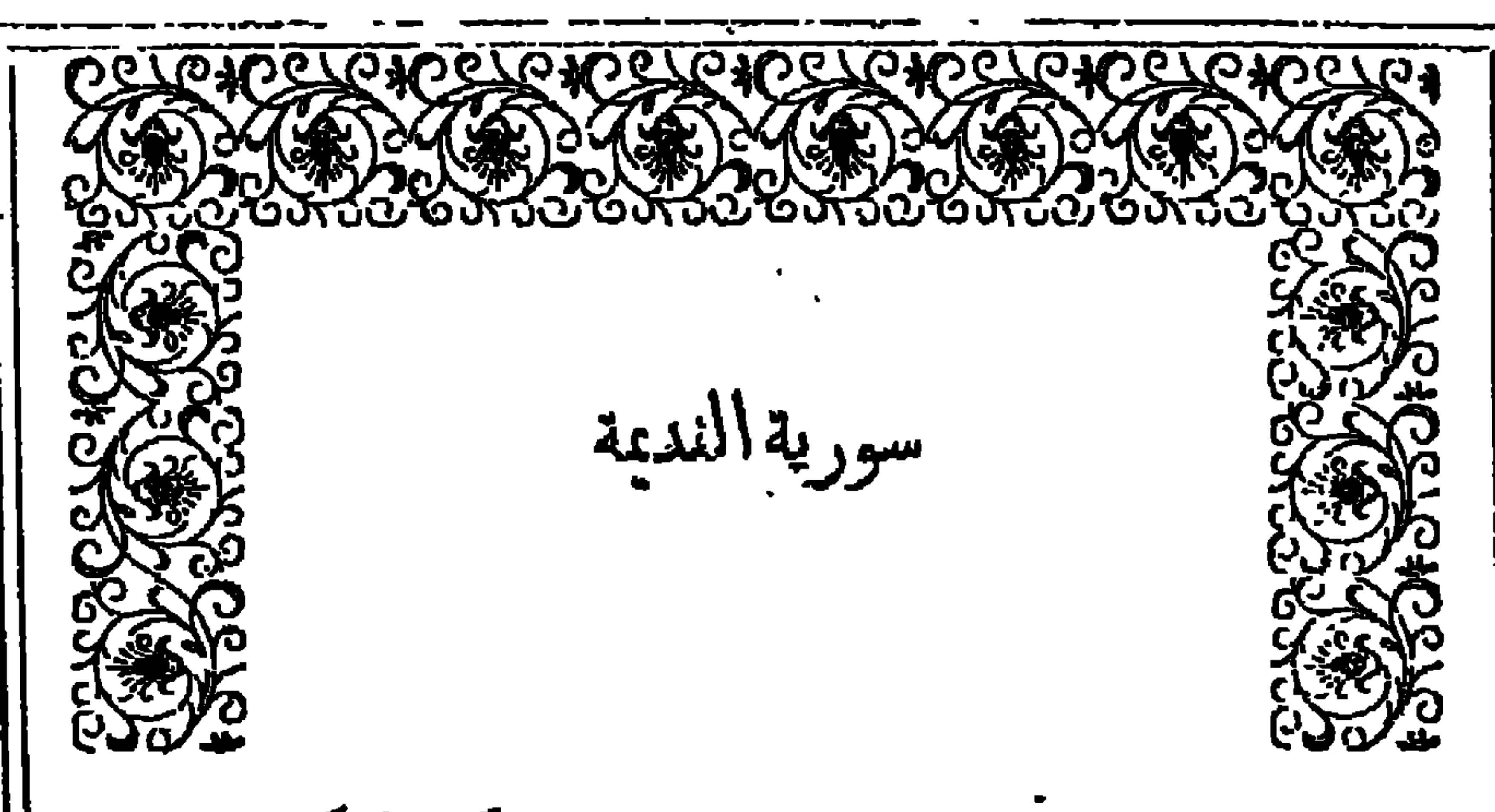
البحر الاسود. وفي سنة ١٧٥٤ خلفهُ اخوهُ عثمان الثالث الذي توفي سنة ١٧٥٧
فقام مقامهُ مصطفى الثالث بن احمد الثالث الذي انتصر على روسيا سنة ١٧٧٣
واسترجع بعض خساير سلفائهِ ومات سنة ١٧٧٤ فخلفهُ اخوهُ السلطان عبد
الحميد الذي عقد شروط الصلح مع روسية واخذ منها الفلاخ والبغدان وفي سنة
١٧٨٣ اخذت دولة روسية من الدولة العلية بلاد القرم وذلك بعد حدوث
مواقع دموية. وفي سنة ١٧٨٩ توفي السلطان عبد الحميد فقام مقامهُ السلطان
سليم خان الثالث ابن السلطان مصطفى الثالث الذي حارب روسيا واوستريا
دون ان ينتصر عليها وفي زمنهِ صارت الموقعة المهولة في قلعة اسماعيل حينما دارت
الدائرة على جنود الدولة العلية وفي سنة ١٧٩٨ افتتحت الجنود الفرنساوية تحت
راية نابليون الاول البلاد المصرية مع بعض مدن فلسطين وفي سنة ١٨٠١
اتفق السلطان سليم مع الدولة المشار اليها فرجعت جنودها من مصر. وفي سنة
١٨٠٧ هاجت الانكشارية ضد السلطان سليم الاول فعزلته وخلفهُ السلطان
مصطفى الرابع بن السلطان عبد الحميد فرغب في ان يذلل وجاق الانكشارية
الذي اثار عليهِ حالاً فتنةً هلك بها سنة ١٨٠٨ وخلفهُ اخوهُ السلطان محمود
خان وهو من اول سلاطين الدولة العلية واشهرها فاق امثالهُ في ايضاح حقوق
العدل والانصاف وقد حدثت في ايامهِ اشياء كلية الاهمية فمنها الحرب التي اثارتها
روسية على الدولة والتي استقامت الى سنة ١٨١٢ واستقلال الاروام في سنة
١٨٢٨ من بعد محاربتهِ اياهم وقد حارب وجاق الانكشارية. واخذ وسائط بها
اباد جميع من كان تحت هذا اللواء فلم يبقَ لهم اثر ولا خبر وعقب ذلك جددت
نيران الحروب دولة روسيا فمنعتها الدول الاوروباوية عن التقدم مما اوجب
عقد شروط الصلح التي من جملتها تخلي الدولة بعض مقاطعات ارمينيا
لروسية واستقلال الفلاخ والبغدان وفي سنة ١٨٣٠ افتتحت دولة فرنسا جزائر
الغرب بالقوة الجبرية مدعية ان اهالي تلك الجزائر كانت تفتك بسفنها التجارية وفي سنة
١٨٣١ استغنمت الدولة المصرية الفرصة فارسل محمد علي باشا ولدهُ ابرهيم باشا

لافتتاح عكا فافتتح في طريقهِ يافا وغزة وحيفا ونزل في ٢٠ من شهر ت ٢ من السنة المذكورة بعسكرهِ على عكا وبعد مقاساة شديدة استفتحها بمساعدة حاكم جبل لبنان الامير بشير الشهابي الشهير واخذ اغلب مدن سورية وفي سنة ١٨٣٨ توفي السلطان محمود فاولى سائر الرعايا جزيل الاسف وكان ابرهيم باشا اذذاك خائضاً في ميدان الافتتاح التي لم تعلم بهِ الدولة العلية العثمانية سوى عند تنصب السلطان عبد المجيد الذي خلف اباهُ السلطان محمود وقد اتفق مع سائر الدول الاوروباوية على اخراج الدولة المصرية وجميعهم عدا الدولة الفرنساوية بذلوا معهُ بذلك جزيل المساعدة وبواسطتهم استرجعت الدولة العلية العثمانية البلاد السورية وابقت ولاية مصر بنوع من الاستقلال لمحمد علي باشا وذريتهِ وكان ذالك سنة ١٨٤١ وفي سنة ١٨٥٣ جددت الحرب الدولة الروسية مع الدولة العلية فاتفقت فرنسا وانكلترا وايطاليا مع جنود الدولة العثمانية التي استفتحت قلعة سباستبول وفي سنة ١٨٥٦ صارت المعاهدة المعروفة بمعاهدة باريز غير انهُ سنة الف وثمانماية وستون ظفرت يد المنايا بالسلطان عبد المجيد فخلفهُ اخوهُ السلطان ابن السلطان السلطان عبد العزيز خان ابّد الله سرير سلطنتهِ مدى الزمان وابد تخت خلافتهِ محفوظاً من طوارق الحدثان وقد شرع منذ تبوأ عرش الملك بافعال المكارم السنية وما آل لاصلاح احوال المملكة الداخلية والخارجية ففي ايام شوكتهِ رقت البلاد الى المقام الاعلى من النجاح وحازت العباد الدرجة العليا من الفلاح كيف لا وقد سارت تنشد بمدحهِ الركبان وتترنم الاطيار بحمدهِ في رياض الاغصان وقد ساح في البلاد الاوروباوية فحاز من الاكرام مقاماً فائقاً ومن الاحترام نوعاً لائقاً مما يعرب عن كمال مزاياهُ وحسن سجاياهُ ادامهُ الله على عرش المسرة رائعاً وفي سماء الفضل واللطف كوكباً ساطعاً

ما علا على افنان رياض الازهار هزار واشرقت

بعد ظلام الليل انوار

النهار



ان سورية القديمة قد اشتهرت في التاريخ اشتهارًا فايقًا وكانت ممتدة من جبل الامانوس المعروف بجبل كاورداغ اي جبل الكفار الملقب بالمدك وكيليكا شالاً الى فينيقية واليهودية جنوبًا ومن البحر غربًا الى الفرات شرقًا غيران بعض المورخين وسّع حدود هذه المملكة فمزج اشور وسورية سوية واطلق الاسم السوري على جميع سكان البلاد الكاينة بين بابل وخليج اليوس اما المورخ سترابون فقد قسّم حدود هذه المملكة بقوله ان سورية تمتد من جبل الامانوس المذكور سابقًا حتى العريش الذي يعدهُ بعضهم من اعمال مصر غيران مولف تاريخ سورية القديمة لم يدخل كيليكيا وبابل وفينيقيا واليهودية في حيز الحدود السورية بل اوجد لكل فصلاً متمايزًا وقسم سورية القديمة الى قسمين اولها ما عم البلاد الممتدة من الناحية الشمالية الى لبنان وثانيها دون ذلك

وقد احدثت الطوارق السياسية في هذه المملكة الشهيرة قديمًا جملة تغييرات مهمة ففي زمن حكم المكدونيين وجد بها اربع مدن شهيرة وهي انطاكية وسلوقية وافاميا واللاذقية وكل من هذه المدن كانت قاعدة اقليم من اقاليم هذه المملكة المتسعة

غيرانهُ عند خضوعها للملوك الرومانيين قُسمت الى عشرة اقاليم وسنذكر كلاً على حدتهِ مفصلاً مع اهم مدنهِ

الاول اقليم قوماجانا (ان اسماء الاقاليم ومدنها هي كلام يوناني لا يترجم الى

اللغة العربية لذلك ابقيناها على لفظها) وهو ما عم البلدان التي كانت موجودة بين جبل الامانوس المذكور والفرات ومن اشهر مدنهِ اولاً شمشار وهي وطن لوسيانوس الشهير وكانت مركز الحكومة المختصة بذلك الاقليم ثم (جارمانيسيا) اي المعرة وهي وطن نسطوريوس وقد استقل هذا الاقليم برهة من الزمان غير ان الامبراطور فاسبيانوس اضافهُ اخيرًا الى باقي مملكة سورية

الثاني اقليم الكيرة ستيك وهو الى الناحية الجنوبية من اقليم قوماجانا ولشرقي الاماناس ويعرف اليوم بقسم من اطراف ولاية الشام واخص مدنهِ ارية بولس اي مدينة الشمس التي دعيت ايضًا بامبشيك ومابوك وهي بعلبك المخلدة الذكر بما بقي فيها من الاثار القديمة التي من اشهرها هيكل الشمس الموجود بها منذ الزمن القديم وزخما على الفرات وكان فيها جسر هايل والى الناحية الجنوبية من زخما كانت مدينة اه رويسيس ثم من اشهر مدنهِ ايضًا مدينة (يه روا) التي هي حلب الان وقد اشتهرت جدًّا هذه المدينة في زمن السلوقيين ومدينة بوتنا اوبتنين وهي على جنوبي حلب

الثالث اقليم بياره ومن اعظم مدنهِ ميرياندروس التي كانت في محل اسكندرونة او بالقرب منهُ ثم مدينة باكروا وعلى مسافة يسيرة منها يوجد مكان دعاهُ القدماء روسيس

الرابع اقليم سلوقية وهو في الناحية الجنوبية من اقليم بيارة ومن اشهر مدنهِ سلوقية التي بناها سلوخيس نيقاتوروس الاول وكانت في زمن المكدونيين قاعدة احد الاقاليم الاربعة التي قسمت اليها سورية غير انها الان اشبه بقرية حقيرة ثم مدينة جنداريوس الخامس اقليم سالسيديس ومن اشهر مدنهِ واخصها مدينة شاليس ثم عاصمة الاقليم هي مدينة المعرة ولعلها معرة النعمان التي ذكرها ابو الفدا في تاريخهِ

السادس اقليم شاليبون واشهر مدنهِ شاليبون عاصمتهُ وهي قديمة جدًّا ثم مدينة نابساكبوس وتدعى الان مدينة الدير وهي على شاطئ الفرات الايمن وهي مولد

صويز ويامفيل ومر سائرما كان مجاوز الفرات وقد بدل اسمها سلوخيس نيقاتوروس الاول الى اسم امفيوبولي اويابولي ثم مدينة بابالسيوس التي حصنها يوستينيانوس الملك وهي على شاطي الفرات ثم زنوبيا المبنية من ملكة تدمرزنوبيا الشهيرة وهي على مسافة ثلاثة ايام من سيزا او قورش وسه ريان التي هي ايضاً على مسافة ثلاثة ايام من سيزاريم التي هي الان كركيزيا من بلاد بين النهرين ومركزها على مصب الكابور والفرات وقد ذهب بعضهم الى انها هي شاليبون عاصمة الاقليم المذكور وادّعى السياح المتاخرون بانهم غب ان ساروا ثلاثة ايام من جنوب شرقي حلب صودفوا باثار خرابات هذه المدينة ثم مدينة سا لاميناس وارتوزا التي وجدت في شال غربي سا لاميناس وشالي حمص وحاصرتها في زمن المورخ سترابون جنود اميرية عربية كانت تحت حماية الرومان

السابع الاقليم البالميري (التدمري) واخص مدنه عاصمة تدمر ثم الرصافة وهي على جنوبي قورش وشاطي الفرات

الثامن الاقليم اللاذقاني وهو في جوار فينيقية وعلى الناحية الغربية من الاقليم التدمري ومن اخص واشهر مدنه اللاذقية

التاسع اقليم افاميا وهو في جنوبي الاقليم السابق ذكرهُ واشهر مدنه اولاً مدينة اباميا التي دعيت اخيرًا فاميا وهي على شاطي الجنوب الشرقي من بحيرة فاميا ودعيت اباميا على اسم زوجة بانيها سلوخيس نيقاتوروس الاول ومركزها في ناحية مخصبة جدًا وقد دعاها انتيفون باسم (pella به لا) وكانت في زمن اليونانيين عاصمة سورية الثانية وكان بها مرعى خمساية فيل وثلاثين الف راس خيل ثم مدينة حمص التي دعيت (امه ز) وهي على غربي تدمر وجنوب شرقي طيدا وكان اهلها يعبدون الشمس وبها هيكل البعل المشهور وفيها انتوج الامبراطوز اليوغابالس وانهزمت جنود الملكة زنوبيا امام قوات الملك اورليانوس ثم ايبفانا التي دعيت حماه الان وبناها الفينيقيون .

العاشر اقليم كاسيوتيد وهو ما بين فينيقية والبلدان السلوقية وممتد للغرب

بالقرب من السواحل البحرية ومن اخص واشهر مدنهِ مدينة انطاكية التي هي حسبما يدل التاريخ القديم اول مدينة في العالم اشتهر شعبها بالكمال والحذاقة وكانت عاصمة لسورية الاولى في زمن بانيها سلوخيس نيقانوروس الاول وقد هدمها كسرى غير انهُ اعاد عمارها يوستيانوس الملك وبالقرب من انطاكية على مسافة اربعين مرحلة يوجد مركز مدينة دفنا المحاطة بغاب السرو وفي هذه المدينة بني قديمًا هيكل القمر والشمس او ابولُّون و(ديان) وقد امسى هذا الهيكل ضحية النيران التي تجددت سنة ٣٦٢ وافترست كل ما كان يحيطهُ وقد ترتب اخيرًا اقليم دعي كلوه زه ري ومن اشهر مدنهِ دمشق الشام وهي اشهر مدن العالم واقدمها اذ نوَّه عنها في رموز الكتب الدينية ولكن لعمري ان هذه المدينة ليست هي سوى على جزء ما هو لازم ان يكون ما كان فيها من صافي الكنوز غير انها كانت ولم تزل تلقب بعاصمة بر الشام ومركزها في وادٍ تسقيها مياه بَرَدى وقد اقام فيها ويوكله تيانوس قديمًا كرخانة اسلحة ثم مدينة عبيلا وموقعها سابقًا بين بعلبك والشام ثم افاكا وهي الان خراب وحُفظ هذا التقسيم حتى زمن الملك قسطنطين فانهُ بعد ان اضاف اقليم كيره ستيكا الى اقليم فوماجانا فرقها عن باقي الاقسام السورية طاودوسيوس الملك الشاب وقسم سورية الى قسمين اولهما دعي سورية الاولى وكانت عاصمتهُ انطاكية وهذا القسم كان يعم جميع البلدان الجنوبية الى حد الفرات والثاني دعي سورية الثانية وكانت عاصمتهُ مدينة افاميا التي هي الى الشمال الشرقي من حلب وهذا القسم كان يعم مدن شالي العاصي وبلاد بين النهرين وبابل واما القسم الشرقي من سورية ونواحي الفرات فكان مختصًا ببعض الامم المتوحشة

هذا وان سورية القديمة كانت كما لا يخفى لمطالعي التاريخ من اشهر الممالك وعرضةً لغزوات البربر وكانت محط او مركز اقامة من اشتهروا في سالف الاجيال وموضوعًا لفتح اطاع الافتتاحات الشاقة واغلب المدن التي اوجدها اليونانيون الذين خلفوا اسكندر ذا القرنين قد تحولت الان الى الخراب والدمار ولم يبقِ لها كرور الايام اثرًا ولا ذكرًا غير انهُ عند الوصول الى ترجمة وتاريخ كلٍ من

المدن السورية سنذكر التغلبات التي حدثت على كل منها مع الاسماء التي تلقبت بها قديمًا لتمكّن المطالع من الوقوف على اثار مقتضيات هذا التاريخ الشهير والله اعلم وبه التوفيق

السكان

ان شعوب سورية قد امتزجت من اقوام كثيرة حتى صار يصعب تاصيل من هم قاطنون فيها وحسبما يستدل من التواريخ انهُ نسل تركب من بقايا الامم العربية والتترية والتركية والرومية والطوائف التي تداولت البلاد السورية وفيها يرى المتامل من الطوائف عددًا وافرًا اذ قد حوت من المسلمين والنصارى والدروز والمتاولة وعرب البادية والاسماعيلية والسمرة وغير ذلك من القبائل التي لم يسمع لها اسم بامكنة اخرى اما العرب الموجودون بها مع كوننا نراهم خاضعين لاوامر الباب العالي كثيرًا ما نسمع انهم يهجون نيران الفتنة والعصيان فمن الامم المسيحية طائفة الروم التي بلغ عددها مائتين واربعين الف نسمة واكثرها عددًا في بيروت وطرابلس والقدس والشام ولها مدرسة في بيروت داخلية اي ياكل بها التلامذة موقعها يبعد قليلاً عن ساحة البرج ومكاتب اخر عديدة ومن اشهر كنائسها في المدينة المذكورة كنيسة ماري جاورجيوس والكنيسة المعروفة بالمسكوبية ثم المارونية وعددها تقريبًا مائتان وعشرون الف نسمة وهي متقدمة بالمعارف والعلوم وبطريرك هذه الطائفة يجلس في جبل لبنان وكرسيهُ بكركي ولها مدارس شتى واكثرها عددًا في لبنان وبيروت واسقفها في بيروت سيادة المطران يوسف الدبس العالم المحترم الذي باشر ببناء كنيسة كبيرة في نفس المدينة المذكورة ثم طائفة الروم الكاثوليك وتبلغ مع غيرها نحو ٤٠٠٠٠ نسمة ولها المدرسة الشهيرة في بيروت المعروفة بالبطريركية اذ موسسها غبطة البطريرك غريغوريوس يوسف فيها الطلبة تحصل انواع العلوم واللغات المختلفة

ثم الدروز يبلغ عددهم ١٠٠٠٠ نسمة تقريبًا وهذه الطائفة كثيرة العدد في

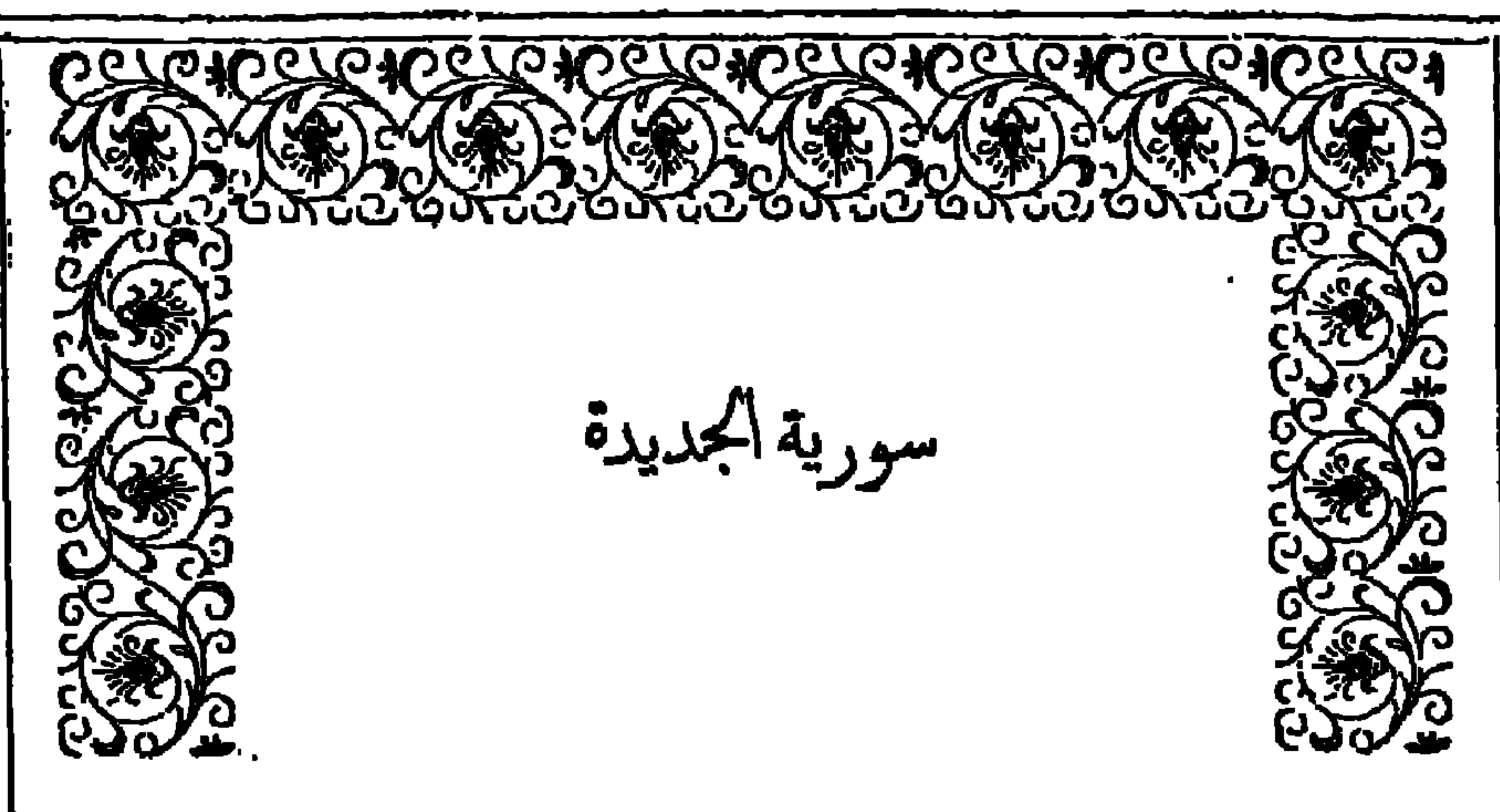
جبل لبنان لا سيما في بلاد الشوف ولهم في حاصبيا خلوات تعرف بخلوات البياضة على اننا نرى هذه الطائفة لم تزل غير عالمة لذة العلوم سوى ما ندر من افرادها

وقد بلغ عدد النصيرية والاسماعيلية في سورية مائتين الف نسمة اما الاولى فكانت ولم تزل غارقة في ابحر الجهل عارية عن كل ما يمتاز به المرء من حسن الصفات والثانية تشبهها الا انها تعد بدرجة اعلى قليلاً اما المتاولة فعددهم ٢٥٠٠٠ نسمة واصل مسكنهم بلاد الشقيف ويوجد منهم احيانًا علماء ادباء

ثم الارمن مع ما بقي ٢٠٠٠٠ نسمة اما الطائفة الاكثر عددًا في سورية فهي الطائفة الاسلامية وعددها ثمان كرات وخمسة وعشرون الف نسمة واكثرها عددًا في الشام وحلب وبيروت ولها مكاتب

وكنت ارغب ان اعرف عدد اليهود الموجودين في سورية فما امكني واكثر هذه الطائفة في صفد حيثما يجلس الحاخام الكبير فلو سمحت لي وزارة المعارف لما كنت تاخرت عن ابراز بضع اوراق تبين اصل معتقدات كل طائفة على الاطلاق

واذا تكلمنا بما يخص تركيب الارض عن سورية نقول انها سلسلة جبال ذات سفحين فاحدها وهو السفح الغربي تبتدي جبالة لدى اعين المتامل باكام ثم اذا تقدم السائح يرى تلك الاكام مضمحلة ومحالة الى التراب الذي يتصل اخيرًا بالبحر مع ان السفح الاخر يختص بارض اكثر ارتفاعًا وينتهي لدى وادي مستوي يحده لناحية الشمال الشرقية الفرات وللجنوبية الرمل او بر الشام



سورية الجديدة

ان سورية الجديدة عمت جميع الاقاليم التي كانت دعتها القدماء بما ياتي من الاسماء وهي سورية الاولى وسورية الثانية سورية الفرات سورية تدمر ثم سورية فينيقية اللبنانية والبحرية وسورية فلسطين وسورية اليونان التي كانت تقسم الى ثلاثة اقسام ويحدها شرقًا الفرات والبادية وغربًا البحر المتوسط او بحر الروم وشمالاً اسيا الصغرى وجنوبًا جزء من بلاد العربية

وعند التامل نرى ان سورية هي سلسلة جبال عظمى ممتدة من اسيا الصغرى حتى البلاد العربية وبها يشاهد الناظر انقسامات شتى وهي تحيط بخليج اسكندرونة لحد انطاكية ثم تبعد عن السواحل مظهرة للبصر جملة آكام شاسعة وتنحني نحو البحر وتتخطى جبالة واذ ذاك تنقسم الى فرعين لبنان وانتيلبنان ثم من يتقدم نحو الناحية الجنوبية يصادف الكرمل وابعد منهُ يسيرًا ذالك الجبل الشامخ المدعو جبل طابور ثم تنخفض قممها المرتفعة وتضمحل الى التراب يبشر ابتداء الرمل او الصحراء

وفي سورية من المناظر البهجة ما يقصر القلم عن وصفهِ فان هذه المملكة كانت قديمًا من اشهر ممالك العالم ولم تزل من اشرفها وفيها تلي ما قيل وجد الانسان الاول ومنها خرجت اعظم واهم الاستنباطات التي تزين بها الكون الطبيعي لعمري ان هذه الارض هي مما تحسد سائر الدول الدولة العلية العثمانية عليها كيف لا وفيها الاماكن المقدسة والاراضي الموعود بها نسل ابرهيم عليهِ السلام وقد

حدث بها من طوارق الزمان ما لم تمحُ اثارهُ كرور الدهور والايام غير انهُ اذا اطلقنا جواد النظر على رياض التفكر في نجاحها نرى ان بعض بلدانها رجعت او سترجع الى شهرتها القديمة وربما تنظر بعين وهمية ايام تلك الملكة زنوبيا التي اقامت لها في تاريخ الامم ذكرًا مخلدًا لا تمحوهُ عجائب ونوائب الدهور فلنردد مدح سلطاننا الاعظم

وإذ تاملنا في مدنها نرى ان اشهرها قدمًا كافاميا وانطاكية قد تحول الى الخراب والدمار وفي الوصول لتاريخ المدن نرى كل ذلك مفصلاً وبناء على ما تقدم ذكرهُ كان عدد سكان سورية منذ سنة ٥٠٠ ق م اي منذ عهد داود عليه السلام الى زمن هرقل سنة ٦١٠ بعد المسيح بالغًا عشرة ملايين واما الان فبالكد يبلغ عددُ سكانها مليونين فتامل

وعندما تملكها الملوك العثمانيون اقامت ولم تزل تقيم بها الدولة العلية واليًا ينوط بامره تدبير مهامها وامورها وقد قسمت اخيرًا الى اربع ايالات ثم انضمت معًا وصارت ولاية واحدة

في جبال سورية

أن سورية باسرها هي سلسلة جبال عظمى التي تمتد من حدود اسيا الصغرى حتى بلاد العربية ومن جبل طوروس الى الصحراء ويرى المتامل فيها تغييرات كلية يسوح بها دائمًا نظر اوجه الافتكار فمنها اخذت حدود نواحي خليج اسكندرونة حتى انطاكية ثم اذا توجهنا نحو الجنوب الشرقي من انطاكية بعلبك نراها مبتعدة عن السواحل التي لا ينظر فيها سوى بعض آكام لا تذكر ثم ترجع نحو البحر مجمعة قممها ومنقسمة الى فرعين وهما لبنان وانتيلبنان ثم اذا ابتعدنا ايضًا مكملين المسير نحو الناحية الجنوبية يرى اثرها المنتهي بجبل شهير تلقب بجبل الكرمل وابعد عن ذلك جبل طابور الشامخ علوهُ نحو السماء ثم تبتعد قممها بالانخفاض وتتغير ارتفاعاتها بالصخور التي تضمحل اخيرًا وتبين للزائر الصحراء

التي طالما روى رنين اسمها في تواريخ السياح المتاخرين

وبالحقيقة انه من ياخذ بالتفكر يرى ان اعظم مساحة سورية هي جبال ويرى فيها جملة نهيرات وبحيرات وانهرًا وآكامًا ووديانًا وسهولاً جمة وبالاختصار انها من افضل الممالك التي اوجدها الباري عزوجلّ جلالهُ وممن سكنها أُستنبطوا سفرا البحر والحروف الهجائية الى غير ذلك مما يدل على اهميتها في التاريخ

في مناخ سورية

اذا رمنا ان نتكلم كلامًا عموميًا يجب ان نقران المناخ السوري هو من احسن مناخات اقسام المملكة العثمانية واذا اخذنا الكلام بنوع مختص نقول ان مناخ السواحل البحرية في هذه المملكة هو ما يجب الابتعاد عنهُ كراس العين وطرابلس حيثما تكثر الامراض والحميات واما مناخ الجبال فهو جيد وممدوح حتى تقصدهُ اعيان سكان السواحل البحرية كل سنة في زمن اشتداد حرارة الصيف وهو مقوٍ للابدان نافع الجسم والصحة ولا يشتد البرد في زمن الشتاء عدا بعض اودية من رؤُوس لبنان وجبل الشيخ حيثما تقطن الثلوج التي تدوم من عام الى عام ويوجد في اغلب جبال هذه المملكة منتزهات طالما اطنب المورخون بمدحها وفضل القرار بها متوجو احكام الدولة العلية العثمانية واعظم شاهد لنا برهان التواريخ ومصادقة كتب السياح المتاخرين

حيوانات سورية

من اشهر حيوانات هذا الاقليم الجمل والضبع والنمر وابن اوى والغزال والثعلب والجاموس ونوع من الدب التي تكثر في صنين وجبل الشيخ وغيرها والذيب في نواحي بلاد الشقيف ثم الخنزير البري الموجود في جبل الريحان الذي فيهِ ايضًا قسم وافر من الطيور الاهلية والبرية كالعصفور والسمن والحمام وقس عليهِ

واما طير الجراد فقد يظهر بعض السنين في بعض مدنها ويضر كثيرًا بارزاقها

ويكثر حتى انهُ يكسف نور الشمس الساطع واحيانًا يتسلط عليهِ طائر صغير يدعى السمرمر فيهلكهُ ويخفي اثارهُ

حواصل سورية

ومن حواصل هذه المملكة اولاً اخشاب البناء التي يكثر وجودها في اغلب المدن السورية وفي الناحية الشمالية حيثما توجد غياض الصنوبر والبلوط يرى هناك من اخشاب الوقود قسمٌ وافرٌ ثم في القسم الاغلب منها توجد الطرفاء والاس والسرو والكرم والجوز والتوت واللوز والصفصاف والخرنوب والارز والصنوبر والميس والقراصية والازدرخت والنخل والجميز والتفاح ثم الزيتون الذي يكثر في الشويفات وحاصبيا ونواحي دمشق الشام وصفد ويكثر ايضًا شجر الحور في الشام وحاصبيا

ومن فواكه سورية المشمش والخوخ والتفاح والقراصية والتين والصبير والكمثري والاترج والدراقن والليمون والعنب والرمان اما انواع حبوبها فهي الحنطة والشعير والعدس والماش والكرسنة والحمص والفول والارز والذرة والسمسم وهلمّ جرًّا مع القطن الذي يجنى منهُ سنويًا ما ينيف عن خمسة عشر الف قنطار فيرسل اغلبهُ الى البلاد الاوروبية مع حرير هذه المدن الشهيرة ثم صوف الغنم الذي تصطنع منهُ بعض اقمشة جميلة وفي هذا الاقليم يستخرج زيت الزيتون والسيرج وزيت الخروع وفي بعض اماكن بر الشام يوجد من اجود الخمر واحسنهِ ويغلب ذلك في نواحي كسروان حتى طرابلس وبالاخص خمر قرية سبعل

وفي بعض سهول هذا الاقليم تنبت الفوة ونبات الزعفران وادخل صاحب الدولة ابرهيم باشا دودة القرمز لهذا الاقليم فصحت في بعض اماكنهِ ويصطنع في نواحي انطاكية بعض اقمشة من شعر المعزى ثم من احسن حواصل بر الشام التتن الذي يغلب ويوجد في بلاد البترون وجبل الريحان وجبيل فيوخذ القسم

الوافر الى نواحي القسطنطينية والاقليم المصري وفي جبال انطاكية وجوارها يصطنع سنوياً قناطير من الشمع الذي يرسل الى اوروبا وفي نواحي حلب والبترون توجد السكمونيا اي (السكمونيه) المحمودة وهي من مختصات الادوية غير انها قلما توجد خالصة فاننا نشاهدها غالباً ممزوجة بالصمغ والمر والنشا والقلي يستعمل اغلبهُ في بلاد نابلس لعمل الصابون وقد روى بعضهم انهُ يوجد في بلاد نابلس ما ينيف عن سبعماية وخمسين مصبنة واما الاسفنج فيرسل اغلبهُ الى ازمير

واما مصنوعاتها فهي قليلة لا تعتبر بالنسبة لما وهب الباري عز جلالهُ اراضيها من الخصب والموجودات التي هي اكبر واسطة لمساعدة سكانها على اصطناع ما يعسر الغير على صنيعهِ ففيها يصطنع مصب الذهب والفضة والنحاس والحديد وانسجة الحرير والقطن والصوف وفي نواحي اورشليم وبيت لحم وتلك الاراضي المقدسة يصنع عدد وافر من المسابح والصور المركبة من مادة تدعى عرق اللؤلؤ الذي يجلبونهُ من البحر الاحمر غير ان غالب هذه الصور والمسابح يطلب للبلاد الاوروبية

معادن سورية

معادنها يسيرة لا تستحق الذكر فمنها معدن الحمر الموجود في حاصبيا وهو مختص بالحكومة وغالباً تضمنهُ التجار وبواسطة قوافل تجلبهُ لبيروت فيرسل بحراً الى البلاد الاوروبية وفي الجبال الى شمالي اسكندرونة يوجد معدن الفضة والرصاص وفي الجبل الاقرع وجبل لبنان يوجد معدن الحديد ثم معدن الفحم وهو في لبنان ايضاً وفي بعض اماكن هذه البلدان ملح البارود والملح الاعتيادي

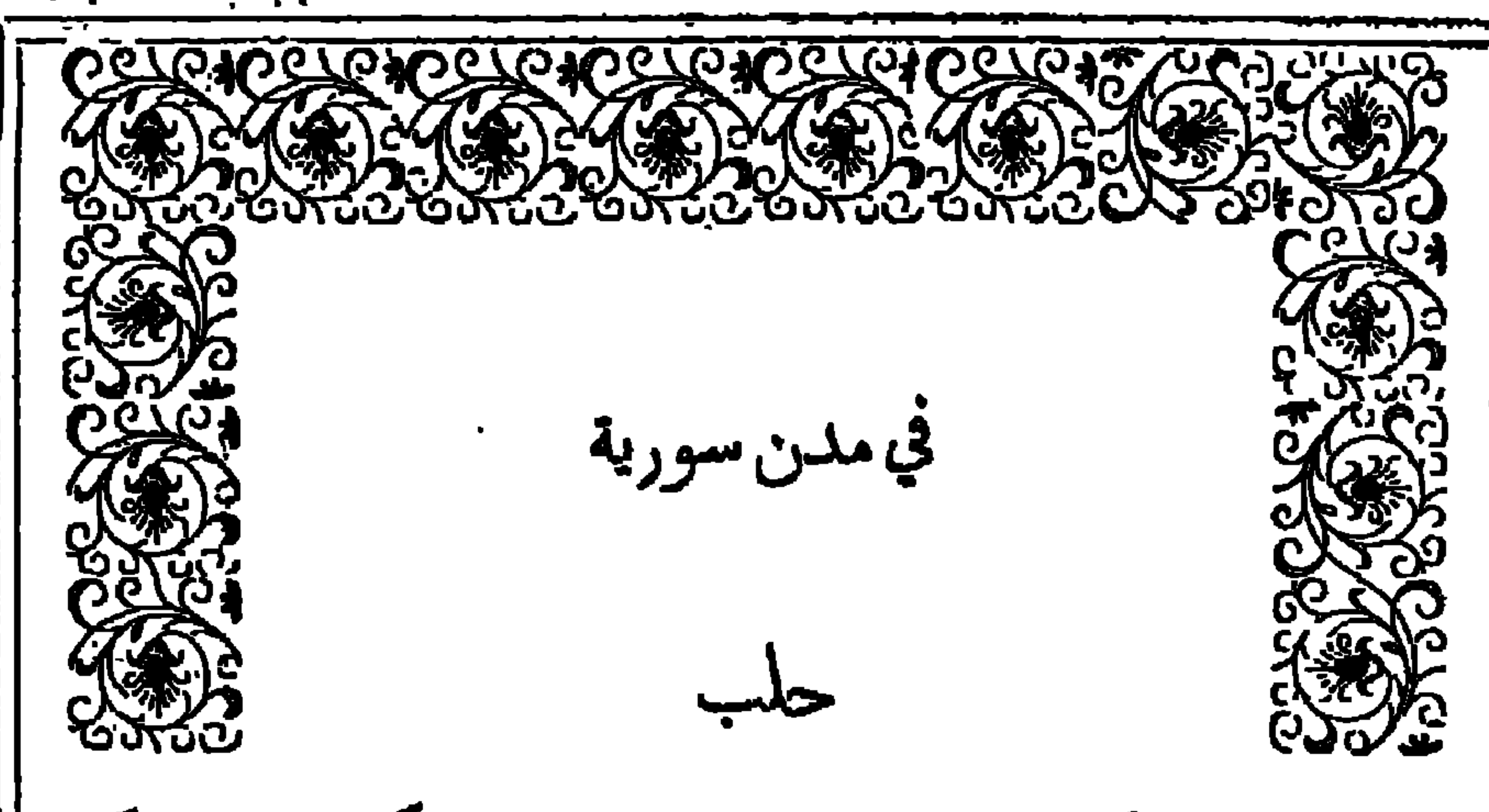
اما تجارة هذه البلدان فانهُ يرسل الى اقاصي البلدان منها العفص الذي يوتى بهِ من كردستان والفوة من الهند ويجلب اليها من بغداد ومصر الصمغ العربي وبالصمغ القتاد من نواحي بر الاناضول وبالحلتيت من مسقاط والهند ومن مصر ياتيها ايضاً اللبان والهِنه وياتيها الافيون من اسيا الصغرى وترسل الى بلاد

فترنسا جلود الارانب والثعالب التي تاتي بها من الجهات الشمالية وترسل الحرير والشمع واصواف الغنم ايضاً الى بعض الاقطار الاوروبية واوسع تجارتها بالمانيفاتورة وغيرها من البضائع الافرنجية

سكان سورية

كل من كان ذا خبرة في معرفة التاريخ يوكد ان من الامور الصعبة الحاق احدى الطوايف الساكنة سورية الان بسكان سورية الاصايين لانهُ من المعلوم ان سورية كانت قديماً مركز الحروب ومقر المعامع الدموية وعرضة لافتتاحات الملوك ونظراً بهجًا ومهيجًا لفتح اطماع قابضي زمام الامور وانا نرى انهُ بعد ما طرد الاسرائيليون الكنعانيين من سورية تسلط عليها جم غفير من الملوك فقد حكمها ملوك اشور وبابل ومادي وفارس والملوك المصريون واليونانيون وملوك الرومانيين ومكدونية وغيرهم وقد ابقى بها كل من هذه الاسباط عدداً وافراً من نسلهِ حتى انهُ اخيراً امتزج سكانها بعض ببعض وصار صعباً جداً ان يعرف الانسان اصل مصدر احدى الطوائف التي تسكنها الان وهي اثنتا عشرة طائفة بلغ مجموع عددها مليون وستماية وستون الف نسمة كما ترى

(١)	اسلام	٨١٥٠٠٠	ثمان كرات وخمسة عشر الف نسمة
(٢)	روم	٢٤٠٠٠٠	كرتان واربعون الف نسمة
(٣)	موارنة	٢٢٠٠٠٠	كرتان وعشرون الف نسمة
(٤)	روم ملكيون مع غيرهم من الطوائف الباباوية		اربعون الف نسمة
(٥)	دروز	١٠٠٠٠٠	ماية الف نسمة
(٦)	نصيرية واسماعيلية	٢٠٠٠٠٠	مايتان الف نسمة
(٧)	متاولة	٢٥٠٠٠	خمسة وعشرين الف نسمة
(٨)	ارمن مع ما بقي	٢٠٠٠٠	عشرون الف نفس
	المجموع	١٦٦٠٠٠٠	ستة عشر كرة وستون الف نسمة



في مدن سورية

حلب

ان هذه المدينة كانت قديمًا ولم تزل من اشهر مدن المملكة السورية ومركزها في برية قفراء خالية من الاشجار وهي في عرض شمالي ٢٥َ ١١ْ وطول شرقي ١٩َ ٢٧ْ يحدها غربًا خليج اسكندرونة ثم بحر الروم وشرقًا نهر الفرات وجواره وشمالاً عين تاب وجنوبًا المعرة وهي الان مركز ولاية دعيت باسمها ولما تسلط عليها اليونانيون كانت تدعى بروا قال مولف سورية ان مركزها ما بين ارزروم وبغداد واسكندرونة ودرابزون هو من المراكز التي يتيه بها الفكر عجبًا ودلالاً وذا المركز كان سببًا لصيرورتها في الجيل الخامس عشر مركزا لتجارة السورية ومقر البضائع الاوروبية والهندية والعجمية وقال ايضًا انها في برية ذات نواحي مخصبة جدًا وجناين تغطيها اشجار الفستق وتسقى بمياه نهر قويق الموجود وسط المدينة ومياهه باردة لا تنشف ابدًا تربتها جميلة ومآذنها مرتفعة وبسرو مقابرها العالي لا يزداد نظارة سوى على ارض تلك الصحراء الحمراء ومن المعلوم انه في سنة الف وثمانماية واثنتين وعشرين كانت هذه المدينة بعد مصر واسلامبول اول مدينة في المملكة العثمانية حيث بلغ عدد سكانها في ذلك الاوان مئتي الف نسمة وهي مبنية بناء متينًا وحجرها ابيض وازقتها نظيفة ومتسعة ومحلاتها متسعة ومزروعة ويوجد فيها عدد وافر من الاعين التي تجري مياهها الصافية والمبهرة بكل من نواحيها وقد اختلف المورخون في حقيقة بانيها فمنهم من قال ان بانيها حلب بن المهر ولذلك دعيت باسمه ومنهم من ارتأى ان بانيها سلوخيس نيقاتوروس

الاول الذي افتتح سورية سنة ١٢٠١ ق م وملك عليها كما سبق الكلام في مقدمة الكتاب وقد روى ذلك المورخ سدرانوس الشهير واما سبب تسميتها حلب فقد ارتاى القدماء بان ابرهيم الخليل كان له بقرة شهباء وكان يحلبها في يوم مخصوص من ايام السبة على تلّ قرب قلعة حلب واذ ذاك كان ينادي الفقراء رجل قائلاً ابرهيم حلب الشهباء فحينئذٍ كانوا يجتمعون اليهِ فيتصدق عليهم من لبنها ومن هاتين اللفظتين قد اتخذ اسم حلب الشهباء على ان ذلك غير مثبت والله اعلم بالصواب

واما جنائنها فيغلب فيها شجر الفستق والتوت الذي يبلغ محيط جذع بعضهِ نحو اربعة اذرع وثمرهُ شديد الحلاوة والزكاوة وسكان حلب يشربون من مياه تبعد عن شمالي البلدة نحو ثمانية اميال ومنبعها من مكانين وهي تتفرغ في الحمامات والبيوت والاسواق بواسطة اقنية مخصوصة ولها تسعة ابواب ومع ان ابنيتها حسنة المنظر لا تثبت على نوايب الدهر لرقة حجر ابنيتها وتصاغر اجزائهِ واسوارها شديدة غير ان الزلازل المتواترة لم تلبث حتى جعلت اعظمها في دائرة الدمار فمن اخص واشهر الزلازل التي حدثت في هذه المدينة زلزلة ١٣ اب سنة ١٨٢٣ اذ هدم جانبًا عظيمًا من حلب وانطاكية وجوارهما كما ان المدافع التي امر باطلاقها والي البلدة سنة ١٨٥٠ على باب النيرب قد احالت منها قسمًا للخراب

واما مناخ حلب فهو جيد مقوٍّ للابدان غير انهُ في زمن اشتداد حرالة الصيف يختار بعضهم المنامة على السطوح وذلك هو سبب وجود كثيرين مرة العميان فيها ومن اشهر ما يوجد في حلب من الابنية اولاً القلعة ومركزها على تن مستديرة حسنة المنظر وسراية بني جنبلاط وهي برج واسع جميل كاشف على قسم عظيم من المنتزهات وفيها للامة الاسلامية جوامع عديدة التي منها ما يندر وجودهُ في سائر اقسام المملكة العثمانية وفيها اثنتا عشرة كنيسة للطوائف المسيحية ومعبدان للامة الاسرائيلية ثم فيها مكتبتان عموميتان غير شهيرتين ولها اثنتا عشرة مدرسة وقد اطنب المورخون في مدح تجارة هذه المدينة القديمة وربما بالغ من قال انها

كانت سوق الدنيا والمتامل يرى انهُ كان ياتيها اربعون قافلة وكانت مقر بضايع بلاد الفرس واوروبا والعالم الجديد باسرهِ وكان يسافر في كل عام من حلب اربعون قافلة الى اخص مدن اسيا وقوافل اخر من داخل البلاد الفارسية كانت تاتيها في كل عام مرتين حاملة من محصولات تلك البلاد الثمينة وكنوزها الفاخرة وكانت تعتاض عن محصولات سورية وفلسطين بمحصولات ابعد المدن فهذه تجارة حلب القديمة واما الان فقد قلت عن ذلك بما لا يقاس وقد تجمع بها قوافل بغداد والموصل وبين النهرين ودمشق ولذلك لقبت باسم بالميرا الجديدة

وقد بلغ عدد سكانها قديمًا مئتي الف نسمة غير انهُ لما عدل اخيرًا لم يبلغ سوى نصف هذا العدد ودونهِ واهلها يمتازون عن غيرهم بالحبة التي لا بد ان تظهر على وجه من يقطنها وتعرف عندهم تحت اسم حبة السنة حيث لا تبرا قبل حلولها وعند العامة بحبة حلب لانها مختصة بها

وقد تملك في هذه المدينة الملوك اليونانيون زمانًا مديدًا ومنهم الملك اركلاوس الذي ينسب اليهِ بناء اقنيتها وفي سنة ٦٣٦ افتتحها العرب المسلمون تحت راية عمر الخليفة حيثما قاست اشد اتعاب الحصار وكان لها اذ ذاك غير مخازنها التجارية حصن متين على ابوابها وان الملك اركلاوس الذي ملك زمانًا هذه المدينة اخلف بعد وفاتهِ ولدين فاحدهما يوكيانيوس افتتح الحرب مع اعدائهِ العرب المسلمين وتغلب عليهم في الواقعة الاولى من الحرب المذكورة فاستولت عليهِ حالاً توهمات الامل والاطماع فابى الدخول الى البلد وعسكر في قباقي انتصارهِ وبتلك الليلة اتى بعض سكان المدينة سرًّا ابا عبيدة قايد الجيوش العربية الاسلامية واخبرهُ سرًّا بما هو جارٍ في معسكر العدو فاتخذ الوسائط اللازمة للمدافعة وهكذا التزم يوكيانيوس الذي كان مستندًا على احلامهِ وافكارهِ التقسم ان يسلم غير انهُ لما رجع الى المدينة اجرى اشد القصاص على الخائنين ولاسباب تجددت الحرب بينهُ وبين العرب وابتدا حصار شديد لبث خمسة اشهر ونتيجتهُ اخيرًا كانت استيلاء الجنود العربية الاسلامية على حلب اذ انها ولو قاست اتعابًا جزيلة رفعت اخيرًا بيارق الانتصار

وافتتحت تلك القلعة العظيمة واستلام ابي عبيدة هذه القلعة كان سبباً فعالاً قاد يوكينيانوس الى اعتناق الديانة الاسلامية وفي سنة ٩٦٢ افتتحها الملك نيسافوروس الثاني الملقب بفوكاسيوس من يد الطائفة الحمدانية التي كانت تغلبت عليها وهو ملك يوناني ولد سنة ٩١٢ واذ سمي ملكاً سنة ٩٣٢ افتتح كليكيا وقبرص وسورية وقتله احد قواد عسكره زه مبره سنة ٩٦٩ وفي سنة ١٠٧٢ افتتحها الملك شاه الملقب بجلال الدين وهو احد سلاطين الدولة السلجوقية الذي خلف اباه الالب رسلان ذي المملكة الممتدة من وجهون الي الفرات ومن البحر الرومي حتى الصين ثم من الكوكاز الى اليمن وكان شجاعاً وفي سنة ١٠٧٥ طرد ساير اليونانيين من اسيا الصغرى وخضع بعض العصاة الذين كانوا متهمين بما ياول لخراب ودمار بلاد بين النهرين وغب ان افتتح انطاكية وحلب توفي في مدينة بغداد وكان بالغاً من العمر اذ ذاك ثمانياً وثلاثين سنة وفي سنة ١٢٠٦ كانت حلب عرضة لفتح اطماع ذوي الافتتاحات وهجمات جيوش التتر التي لم تلبث بتلك السنة حتى استولت على المدينة المذكورة وفي سنة ١٤٠٠ هدمها تيموربك الملقب بالملك تيمورلنك الاعرج الذي بعد ان اجرى فيها اقبح ما يمكن ان تتصوره الافكار وجعل عدداً وافراً من اهلها رهيني ترب القبور وحسب عادته بنى شواميد شامخة من جثث القتلى فنعم الشجاعة وبئس العادة وسنة ١٥١٧ استولت عليها الدولة العلية العثمانية تحت راية السلطان سليم الاول وحكمها المصريون في ظرف ٨ سنوات تحت لواء ابرهيم باشا غيران الدولة العلية العثمانية استرجعتها في زمن السلطان محمود مع سائر البلاد السورية ولم تزل تتداولها حتى الان ومن سنة ١٥٠٧ وهو زمن افتتاح الدولة العلية البلاد السورية دامت حلب تعد من الاربع ايالات التي قسمت اليها سورية تحت حكم البطل الهمام السلطان سليم الاول وكانت ممتلئة من المدن والقرى العديدة التي كان يسكنها الوف الوف من النسم فان انطاكية وحدها عاصمة سورية القديمة كان بها قبل ان تحكمها الدولة العلية العثمانية بهاية سنة ماينوف عن مائتين وثمانين الف نسمة ثم سلوقية وهي الان السويدية

كان يجتمع في ميناها الف مركب وما ينيف عن ماية الف بحري وتاجر وهي الان
مينا حقيرة يجتمع بها يوميًا عشرة قوارب لصيد الاسماك ووادي العاصي التي
كانت مرعى خمساية فيل وعشرة الاف راس خيل وطروش غيرها عديدة
كانت كل من قراها ترى ذاتها مبتعدة عن الاخرى بمسافة يسيرة مزدهرة بالزهور
والخضرة فقد يرى المتامل ان الحوادث ابادت تلك القرى وما جاورها قديمًا
واعتاضت عنها بخيم البدو المنصوبة دايمًا في ذالك المرج الواسع وان ارض سهول
هذه الايالة هي خصبة جدًّا قلما يُرى نظيرها اذ اننا نرى حشيشًا ونباتًا
مزهرًا ووافرًا نابتًا بتلك الارض التي لم تزرع بها يد الانسان شيئًا ولم تلق بها
ادنى بزار وحيثما يكون الفلاح بذل نوعًا من الفلاحة والاعتناء نرى الاغلال
الوافرة التي تعسر عن الاتيان بها احسن ارض مخصبة اجنبية ممن يكون بها
الانسان القى وافر الاعتناء

فلا يرى الانسان في جولانه في ارض هذه الايالة سوى اثار وبقايا تلك الابنية
الشهيرة التي شادها اولئك الرومانيون الذين باعمالهم الشهيرة قد خلدوا لهم ذكرا
ليس يمحوه كرور الايام ولما صدرت الاوامر من لدن الدولة العلية العثمانية بضم
ايالة عكا وطرابلس والشام لولاية واحدة فرقت حلب وتوابعها بولاية مركزها مدينة
حلب الشهباء التي نحن في صددها وفيها دايمًا وال من لدن الحكومة منوط به
مهام واحكام الولاية باسرها وقبل ان ننهي كلامنا عن هذه البلدة يجب ان نقول
ولئن تكن متاخرة عما حصلته من الشهرة في سالف الزمان فلم تزل رانعة بجنان
الالفة والاتحاد وكاشفة برفع المعارف والعلوم وقد ظهر بها انام ممن اشتهروا
بالنباهة وحذاقة الافكار والسياسة ومنهم ممن اشتهروا بالعلوم والمعارف

قنسرين

ان هذه المدينة كانت قديمًا من اعظم مدن سورية اذ كانت اعظم من حلب
سعة واشتهارًا الا انها الان خراب واول من هدمها هو الملك باسيليوس الثاني

الذي خالف اباهُ مع اخيهِ قسطنطين التاسع في سنة تسعماية وثلاث وستين واذ كانا كلاهما قاصرين عن الملك قام نيسافوروس فوقا قائداً عمومياً للجيوش وشاركهما في الملك وبواسطة ما اشتهر بهِ هذا من سمو الحذاقة والفطن استرجع من الشراكسة كيليكيا وسورية وقبرص وما كان ذلك الا بارادة وترتيب وزير و سميق الشهير الذي قتل نيكافوروس سيدهُ اخيراً بمعاملة امراتهِ ثيوفانا سنة ٩٦٩ فكلل موضعهُ وسمي يوحنا الاول ونفى امراتهُ ثيوفانا واذ كان قد اشتهر بالشجاعة والفروسية حارب جنود الدولة الروسية في بولغاريا وانتصر عليهم ولم يقبل ويرتدع سوى بارجاع ذاك الاقليم منهم غير انهُ في سنة ٩٧٥ وقع طريح الفراش وبعد ان قاسى اوجاعاً وافرة توفي فخلفهُ الملكان الاصيلان وهما باسيلوس الثاني واخوهُ قسطنطين التاسع فباسيليوس الثاني هدم قنسرين وفي اواخر الجيل الحادي عشر هدمها عن اخرها تاج الدولة وذلك بعد ان جدد بناءها الامراء بنو بسيس التنوخيين وهذه المدينة هي على بعد مرحلة صغيرة من حلب كثلاثة اميال وتدعى فلشيدس ايضاً وهي الى ناحية الجنوب مائلاً الى الغرب منها قال مورخ التاريخ العمومي ان شيذار لم ترضَ ان تحامي وتدافع عن ذاتها فقتلت حاكمها في ذلك الاوان لانهُ جمع السكان وهيجها على حمل السلاح وسلمت الى العرب دون ادنى مقاومة فحينئذٍ ساعدت حلب قنسرين غير انهُ لما قطعت الاعداء المواصلات ومنعت ايصال الزاد والمهام من حلب لقنسرين التزمت هذه ان تسلم وبعد مدة تغلب ابو عبيدة على قسم من مدن وسواحل نهر العاصي وقد اشتركت قنسرين بالعصاوة مع سورية وحلب وبلاد الجنوب في زمن مروان اخر خلفاء بني امية وهو رجل شهير الذي لما دخل جامع دمشق الشام أُخذ وقُبل بمقام خليف واذ انتصر على سائر امراء عائلتهِ ظن ان الايام قد تاهلت لهُ الا ان فرحهُ لم يمكنهُ من نوال ماربهِ حيث اشتهر عليهِ عصيان حمص ثم سورية وحلب وقنسرين كما سبق الكلام وروى بعض المورخين انهُ بقرب قنسرين قرية يقال لها حاضر قنسرين وبها قال عكرمة

سقى الله اخوانا ورائي تركتهم   بحاضر قنسرين من سبل القطر

وفي القرب منها موضع دعاهُ مرارًا المؤرخون فراديس وهو محل تسكنهُ اسود الفيافي والقفار وقد استشهد على ذلك من اقوال اكثر المورخين وبالقرب من الفراديس قرية صغيرة لا تستحق الذكر وهي على مسافة عشرين ميلاً الى الجنوب الشرقي من حلب. واما وادي الملح فهو الى الجهة الشرقية من صفيرة وهو وادٍ شاسع جدًّا يغمرهُ في اوان الشتاء المطر الجاري وعمق الملح الموجود فيهِ ربما يبلغ الكعب سمكهُ وهو يجمع من جملة انواع واقسام من الملح المعدني ويكثر وجودهُ في زمن اشتداد الامطار ثم بالقرب منهُ يوجد خرابات قديمة دعاها المورخون زوبا ومركزها في جهة الجنوب الشرقي من وادي الملح الذي لا يبعد كثيرًا عن الفرات

وقد زعم بعضهم أن قنسرين هي زوبا المذكورة المنوَّه عنها في سفر الملوك الثاني وبقرب قنسرين يوجد ايضًا موقع ومركز مدينة الخناصرة التي هي مسكن قبيلة من العرب تدعى سليب وهي قبيلة لم تزل غارقة في درجات التوحش فانها تقتات من لحوم الغزلان وتكتسي من جلودها وهي لا تختلط مع غيرها من القبائل مطلقًا وقيل انها جاهلية فلا تعتني في المواشي ولا تهتم بامور الفلاحة وروى ابو اسحق الاصطخري انها كانت مسكن احد الخلفاء وهو عمر بن عبد العزيز. ولنرجعنَّ الى قنسرين ونقول ان من الامور العجيبة ان يُرى مدينة كهذه قد صارت الآن خرابًا او دمارًا ولم يبقَ او لم يجرِ فيها شيءٌ ما يستحق الذكر ولم يذكر

عين تاب

عدد سكانها يبلغ حسبما عدل اخيرًا في كتاب المرآة الوضية في الكرة الارضية تاليف العالم الشهير الدكتور كرنيليوس فانديك الامركاني عشرون الف نسمة وهي مدينة عامرة قديمة وكانت ذات غنى وافر وقوة فائقة ومن يتاملها يتعجب من كثرة مياهها ولقد اطنب بمدحها جميع زائري تلك المحلات وذكرها كثير من

السياح المشهورين فمنهم السائح الفرنساوي (فولناسيه) الشهير وقد ذكر مؤلف القاموس العمومي في احد مجلداته الشهيرة ان حرين ناب هي بلدة من بر الاناضول مختصة بولاية سورية التي هي تسم من اسيا الصغرى فهذه البلدة تبعد نحو سبعة وسبعين كيلومترًا عن شمالي مدينة حلب الشهباء التي هي مركز ولاية ذلك الجوار وموقعها في ٥٥ و١٢ طول شرقي ٤٢ و٥ عرض شمالي وما من سائح اوروباوي اتفق مع غيره على تحديد عدد اهلها فمن طالع مولفاتهم يرى انهم يضربون اخماسًا باسداس كواتع في حيص بيص اذ منهم من قال ١٥ الف نسمة وآخرون اكثر ونهرهم اقل وقال احد المولفين المشهورين ان عدد سكانها يبلغ عشرين الف نسمة اما هواها فهو مقوٍ وبارد ونرى احيانًا ان عددًا وافرًا من الانام ينفرون من السكن فيها لسبب تلك الداهية الدهياء التي قد اصبحت متسلطة على ذلك الجوار وهي الزلازل المتكاثرة فكم وكم هدمت واحرقت واماتت واتلفت اموالًا وارزاقًا الى حيز الدمار وجعلتها في خبر كان وحينما تحولت بلاد المملكة السورية الى اقليم روماني قد دعيت هذه البلدة عاصمة صغيرة لبضع بلدان تجاورها وفي سنة الف واربعمائة قد اخذها تيمورلنك المعروف بقائد جيوش التتر وهذا القائد قلما قدر ان يكتسب رضى المورخين فكان اينما ذهب يجري من الافعال ما ينفر منه كل ذي طبع سليم وناهيك ما اجراه في مدينة دمشق الشام اذ انه على رواية قد صنع من جثث القتلى ابراجًا بلغ علوها عددًا وافرًا من الاقدام فما قولك بكذا جسارة تذمها اقلام المورخين في كل الزمان .

قال بعضهم الى الشمال الشرقي من اسكندرونة تقطع محلات هي بالحقيقة ذات منظر يظن المتامل به انه تحول من خضرة الترنم بالشهرة القديمة والصيت الغابر اذ ان تلك محلات محزنة ومكدرة قلب كلّ من ينظر اليها لما حاق بها من فرط التاخر والانحطاط فان القوافل قلما تمر بتلك الطرق وان مرّت فلا تاخذ لها هناك مركزًا والتركمان هناك متسلطون على المراعي المجاورة تلك القفار ولكي يستانس من قد حل لصدفة في تلك المحلات لزمه ان يصعد الى البلدة التي نحن

في ذكرها وهي عين تاب فاذ ذاك يلتقي بانام يقدران ياتي لديهم ويسمع منهم مسامرات ومناقشات ربما تهم وبهم منهم المرام وعلى مسافة ٥ من جنوب شرقي عين تاب للناحية الغربية من نواحي نهر الفرات توجد قرية دعاها المؤرخون اليونانيون (يارابولص) قيل اكتسبت شهرة حيث انها بنيت في مركز (ده ربا بولس) اي مدينة الشمس وربما يعنون بهذه الاخيرة من مدينة بعلبك الان وقد خالف المؤرخين اليونانيين احد المؤرخين الحديثين بقوله ان موقع مدينة الشمس بعيد ٦ فراسخ عن موقع تلك والله اعلم بالصواب

انطاكية

تنبه ايها المطالع واكثر تليلا بما تحدثه يد النوائب يوما فيوما في هذه المدينة التي اعطت قديما جواد النجاح ونزه الافكار بروضة تاريخها الذي لا شك يصبو اليه كل من كان مغرما بمعرفة احوال سائر الاعصار

فاعلم ان انطاكية هي المدينة التي حازت اشتهارا فائقا بين بلدان المملكة السورية وموقعها على مسافة ٧٢ كيلومترا من غربي حلب واربعين كيلومترا من جنوبي حمص التي تبعد مسافة عشرين كيلومترا عن شرقي بعلبك

وهي مشيدة فوق اربع تلال متقاربة ولكل منها فروع ماء جارية من العاصي تسقي اراضيها ومنتزهاتها وهي محاطة بجبار صخور صخمة يظن انها من معجزات الطبيعة وذلك مضروب بالازميل ومستديرة بخنادق عميقة جدا وهي محتمية بقلعة شاهقة قوية مرتفعة على التل الغربي ولها سور عظيم يحيط بجوانبها الثلاثة وعلى الجهة الرابعة وهي الشمالية تجري مياه العاصي الذي يسقي بساتينها ويولد في كل من نواحيها الرطوبة اللازمة واما سورها العظيم فهو صاعد من الجانب الغربي الى راس الجبل المشرف على صوامع البلدة ثم ينعطف للشرق وينحدر للجانب الشرقي لشاطي النهر وقد هدم قسما كبيرا منه ابرهيم باشا خديوي مصر

ومن حجارته قيل انه بنى منزلا لجنوده تلت ومركزها على العاصي مركز باق

به التأمل العجب وقد دعاها القدماء دفنا نسبة الى حدائق زهر كانت تحيط بها ولما بناها انطيكونوس في سنة ثلاثماية قبل المسيح دعاها انطيكونيا نسبة اليه غير انه لما انتهى بناءها سلوخيس نيقاتوروس الاول جعلها عاصمة لسورية ودعاها انطاكية نسبة لانطيوخوس ابيه واذ ذاك كانت تعد المدينة الثالثة في بلدان المملكة الرومانية مع انها الان ليست سوى قسم يسير من السور القديم وكثيرًا ما تغلب عليها ملوك الفرس الذين ارجعوها اخيرًا لسطوة ملوك البزنطية والقسطنطينيين وبعد ان تغلب عليها المسلمون سنة ٦٣٨ استرجعها الافرنج الصليبيون سنة ١٠٦٨ وفي سنة الف ومايتين وثمان وستين هدم ابنيتها سلطان مصر وقتل كثيرًا من اهلها وهدم كنائسها اما كيفية استيلاء العرب المسلمين على هذه المدينة فانه لما فتح ابو عبيدة اغلب المدن السورية وجد ان من الامور الواجبة لنجاح مقاصده افتتاح مدينة انطاكية العظمى وهكذا امر القواد بقطع الفيافي وسباسب القفار وسار مع خالد في مقدمة تلك الجيوش حتى وصلا بها تجاه حلب فهناك توقفت تلك الجيوش ما ينيف عن اربعة اشهر بمحاربة يوكونياوس بن اركلاوس الملك حتى اخيرًا بوسائط مر ذكرها رفرف نسر الانتصار على هامات اولئك الابطال وافتتحوا البلدة المذكورة فتكون للعرب اذ ذاك اقليم واسع شاسع لا يفصل بينه وبين النهرين سوى الفرات ولتكملة الجنود قال مولف تاريخ العرب لزم افتتاح انطاكية فسارت الجنود بهمة عليا ولما وصلت شاهدت تحت اسوار تلك المدينة جنودًا كرارة مستعدة للنزال ومتاهبة للكفاح وللحال ثارت نيران تلك الحرب الشديدة ولم يمض زمان طويل حتى كسرت جبابرة العرب تلك الجنود الرومانية وصدمتها صدمة بها ابانت الجراءة اللازمة واستنهبت المدينة وغزو ما فيها من الغنايم فافتدى ذلك الاهالي بقدر وافر.

واما كيفية استيلاء الصليبين عليها فهو من اعجب واشهر ما حدث في حروب الامم فان منظر انطاكية وشهرة اسمها وغناءها الوافر كان يحرك ويهيج دايمًا حاسيات الجنود الصليبية التي اخضعت مدن ليكاونيا وهيراكيا وقيسارية

وكبادوكية وسيانا وقوزقون ومرعش غير انه كان يلزمها قبل ان تسلم اسوار المدينة ان تجتاز جسر العاصي المحصن من ناحيتيه ببرجين عظيمين وهناك كان معسكر الجنود المسلمين المحافظين بقوة هكذا منيعة امنع مسيرة تلك الجنود المتقدم ذكرها فلما رأى ذلك الدوك دونورماندي علم ان لا امل باقتحام الاهوال والمخاطر وهكذا هجم بعساكره على الجنود المسلمين وصدمها صدمة ابان بها شجاعة كلية بها انهزمت جنود الاعداء التي هلعت وفرت خوفاً من ان تفنيها رماح الجنود الظافرة التي رفعت بيارق الظفر واعلام الانتصار وعسكرت في سهل واحد واسع يبعد مسافة ميل واحد عن البلدة وكان اذ ذاك للملك شاه المتملك انطاكية ولد يدعى آكسيان سبق واوعب انطاكية من المهمات الحربية والزخائر اللازمة الوافرة عند ما سمع باخبار وفود الصليبيين

واذ ذاك اجتمع الامراء اللاتينيون فمنهم من رأى ان من الواجب محاصرة تلك المدينة الفائقة ومنهم من خالف ذلك وادعى بقرب اوان الشتاء ذي البرد القاسي والامطار الشديدة حينئذٍ قرّ رأي جميعهم على التمهل لزمن الربيع فبرأن (ادهازده مونتيل) افسد هذا الرأي ودحضه ببراهين طفيفة (وغودفروادو بوايون) صرخ قائلاً هلمّ ايتها الجنود يكفي ان الزمن نصير المغتنمين فرصة الكفاح ومذار التهاون فان كل فرصة تعطى للعدو تزداد بها قوة فترجع شوائل عواقبها علينا فتقدمي ايتها الجنود واكسبي ذلك الشرف الوطني والاقتطاف ثمار انتصاراتنا المكتسبة بارماح البسالة والشجاعة

ماذا ننتظر ايها منتخب عساكر جديدة من الغرب التي تشترك معنا في ملذات الافتتاح واكتساب الشهرة الفائقة دون ان تكن قاست حمل الشدائد ومرّ الاتعاب الباهظة هلم هلم فلنتقلد بالشجاعة ونتدرع بالبسالة ولنتكبد مرّ الاتعاب فرب جزاً احلى من الضرب ان خزائن انطاكية الجديدة تدعونا اليها وما من مانع يمنعنا عن مصادمة جنودها

فاثر هذا الخطاب تاثيراً وافراً وقبل برضى في ديوان المشورة الذي عكم

بوجوب محاصرة انطاكية وللحال انتقل معسكر الجنود الى امام اسوار المدينة واقتسم القواد المحلات باسرها وكل كان يحيط بعساكره جهة منها عدا جهة المدينة القبلية المحمية بالجبل الاورونته اذ انها دامت مكشوفة نظير الجهة الغربية المحمية بالنهر المذكور

غير ان الصمت الذي وجد حينئذٍ في الابراج والاسوار حتى بنفس المدينة كان معجبًا للتامل وقد اوجد في معسكر الجيوش المسيحية قلقًا وارتباكًا مفردًا حتى ان القواد حكموا بان الخوف والجزع استوليا على الجنود المسلمين وقوادها والا لما كانوا هكذا طائفين يتربصون ويتورطون بورطة الاهمال واحتقروا الوثيرات الموجبة فتفرقوا في المنزهات والجنائن واعرضوا عن الاستعداد بالملاجئ اللذات بمدة تنزههم كان العدو ساهرًا يستعد متاهبًا لاثارة تلك النيران الشديدة ولم يمض زمن يسير حتى برزت بغتة في الوقت جنود المسلمين ونادت الصليبين المتورطين بورطة الملاهي وصدمتهم صدمة لم يكن لهم منها مفر ولا مهرب فلم يكن لهم الخلوص اذ ذاك سوى بامرين اما الاسر واما الهلاك واشتدت بعد تلك المحاصرة وتجددت هجمات الصليبيين دفعات شتى على المحاصرين ولكن دون فائدة

فعلم الصليبيون اخيرًا ان لا فائدة وشرعوا في ضبط الحصار ضبطًا شديدًا ومنعوا الواردات من سائر جهات المدينة وشيدوا ابراجًا ضد ابراج الامير الذي كان لعدد مصرف منهم واستند على الامل بستقبل النجاح انما كان عندهم من الزاد والقوت بايام قليلة ولما ادركهم زمن الشتاء وقعوا تحت ثقل الامطار الشديدة وخوف هاتيك العواصف والزوابع التي اذاقتهم من الاتعاب اشدها ومن المخاوف اوفاها ولم يصل اليهم شيء من المهمات التي اذ كانت في لجج الابحار اغرقتها عواصف الارياح وبذلك الاوان ذبح الاتراك الامير صوينيون الشريف النبيل وريث سلطة الدانمرك حينما كان سائرًا لزيارة اورشليم وسائر الاراضي المقدسة مع خطيبته التي قتلت معه ولما انقطع

رجاء بعض الجنود الصليبية فرّ منهم قسم وافرهاربًا قاصدًا الالتجاء الى بلاد كنعان وغيرها من الاقطار التي بها يقدر ان يستتر ويقتات والقسم الاخر التجأ الى ورطة المعاصي وارتكاب الذنوب غير انهٔ بواسطة الارشاد رجع اخيرًا وتجلبب بوشاح التقوى ورداء العبادة. ومن المعلوم ان الجنود الاسلامية كانت عالمة بسوء احوال الصليبيين وموقع جنودها الحرجي بعدم اهتمامها في الاستعداد الواجب لتلك الحرب المزمعة ان تحدث الامر الذي كان يوجب حظها الزائد وسرورها المفرط ومن ثم عينت جواسيس من السريان يجولون خارجًا بملابس اعتيادية رثة يتجسسون اخبار المسيحيين بنوع ان كل ما كان يحدث من الاهوال والويلات في المعسكر المسيحي كان يشتهر حالاً لدى الجنود الاسلامية

واذ علم بذلك بوهيمون رسم بان كل غريب يشاهد في معسكر جنوده يصنع حالاً فريسة نيران الحنق والتعصب وهكذا ابطل حيل الجواسيس فامتنع وصول معرفة احوال الصليبيين للعسكر الاسلامي وبينما هم كذلك وفدت رسل الخليفة المتولي اذ ذاك على القطر المصري واعلمت الصليبيين ان الخليفة يروم اتحاد المودة معهم فيساعدهم ان قبلوا ويحاربهم ان رفضوا فنهض حينئذ احد القواد وخاطبهم معلنًا بجراءة ارادة جنودهم لاثارة الحرب وقال لهم امضوا وقولوا هكذا لمن ارسلكم ذاك الذي كتب محددًا اما الصلح واما الحرب ان النصارى الذين هم في معسكرهم امام مدينة انطاكية لا يهابون الشعوب المصرية ولا ملكها ولا الجنود ولا من يسكنها ولا يمكنهم الاتحاد سوى مع الملك وروساؤها يخدمون الشرائع ويوقرون سناجق العدل المسيحي وبعد ذلك احدثت الجنود المسيحية بالقرب من انطاكية واحاطتها معركات شتى بها نالت الغلبة والانتصار وشددت الحصار ضد انطاكية واستدارتها من كل ناحية ولولا المخاصمة التي حدثت بين قوادها لاستفتحت المدينة

غير انهٔ في مدة هذه المخاصمة تجددت قوات العدو وهمتهُ الذي لم يفتر عن اجراء اشد الاضطهادات على اسرى الجنود المسيحية وقد ابقى لنا التاريخ ابم

اخذ اولئك الاسرى الابطال الذي مات شهيداً للشجاعة سطرتها الاقلام في صحف التاريخ فهنا البطل يدعى رايمون بوشار اتى به المسلمون لاعلى السور تجاه اخوته الصليبيين كي يرجوهم بان يستفكوه بما يليق بمقامه فاله لبي خاطب اخوته هكذا . . . احرسوا جداً متحرسين من ان تجعلوا لاجل انقاذي من الاسر اقل واسطة تمس صالحكم بل احسبوني ايها الاخوة بانني قد مت فيما مضى وداوموا بجدٍّ وأَثرٍ وكدٍّ مفرطٍ محاربة جنود هذه المدينة التي عن قريب تقع تحت سطوتكم ايها الابطال وللحال قطع راسه الجلاد

واما بوهيمون قائد الجيوش الصليبية لما راى ان لا امل بالخلاص فاستدعى باشد الرسائط رجلاً ارمنياً يدعى فيروز كان اعتنق الديانة المحمدية واكتسب رضاء سلطان انطاكية الذي اقامه وكيلاً على ثلاثة ابراج المدينة الاخص فعظمه ووعد مالية باهظة رشاه لان يدبر حيلة بها يسلمهم المدينة ولما كان من طبع فيروز المكر والخيانة قبل منه بذلك ودبرا ما دبرا غير ان بوهيمون اقام مجلس المشورة وخاطب اعضاءه هكذا

لا املٌ ولا رجاء والموانع تشهد بذلك ولا وسيلة سوى الالتجاء الى رشاء بعض الاعداء فرفض رايه بعض القواد خوفاً من انه يتسلط بذاته فقط على المدينة العظمى لدى افتتاحها غير انهم اجبروا على اقتبال رايه عند ما طرقت مسامعهم اخبار وفود جيوش سلطان الموصل لمساعدة العدو وهكذا قبل لفيروز ان يتاهب لتنفيذ حيلته. اما الحيلة فهي انه في الغد دقت الجنود الصليبية الطبول ورفعت الاعلام وسارت مظهرةً انها فكت الحصار عن انطاكية حتى قطعت مسافة غاب عنها نظر سكان انطاكية الذين رتعوا على عرش الاطمئنان ومن ثم اخذ الصليبيون بالرجوع مهلاً مهلاً وبهدوءٍ مفرطٍ وصمتٍ تامٍّ ادركوا برجاً يلقب ببرج الثلث الاخوات المتقلد فيه فيروز الخائن وظيفة الحرس والادارة ولبثت الجنود هناك حتى نصف الليل واذ ذاك ابتدا فيروز بان يتاهب لتنفيذ حيلته فسلَّ اولاً سيفه وقتل اخاه خوفاً من ان يمانعه اذا شعر بذلك وللحال فجر

دم ذلك البري المسكين لدى اخيه قاتله الخائن الشرس المكر الخداع واذا برسول من بوهيمون اتى البرج على سلم من جلد ووقف بين يدي فيروز فاراهُ حالاً جثة اخيه المقتول كبرهان وطيد بمطابقة الوعود فرجع الرسول حالاً واخبر بما رأى واذ ذاك اسرع بوهيمون وصعد اولاً بذاته على ذاك السلم ثم تبعه عدد وافر من الجبابرة والابطال وكان فيروز يدوس بقساوة عظمى على جثة اخيه المقتول وشجع الجنود وحثها على الصعود حالاً حتى ان هذا الخائن اباح اخيرًا للصليبيين ان يقتلوا اخاهُ الثاني حارس البرج المقابل وبذلك امتلكوا سبعة ابراج اخر اما باقي الجيوش فقد خلعوا باب المدينة القريبة لذي الابراج ودخلها بازدحام (غودافروا) وراءون وكونت دهنورماندیا وغيرهما وخلوا صوامع البلدة وللحال لمعت اسنة الرماح ودقت الطبول وهتفت الابواق وثار شرار نيران الانتصار وصرخت الجنود هكذا يريد الرب هكذا الخ فكانت ساعة جمعت بين دمدمة الابطال وصهيل الخيول وصلصلة السيوف وبين الحظ والانشراح فكان ذلك مبشرًا سكان المدينة العظمى بالظفر والانتصار وهكذا اتبع الجنود اثار من فرّ من الاعداء فمن سلم كان اسيرًا غير ان حاسيات الصليبيين هيجتهم اخيرًا لقتل الاسرى وتعذيبهم باشد العذابات القاسية

ونال اذ ذاك الصليبيون المكافاة والسرور بافتتاحهم المدينة العظمى وذلك بعد ان قاست هذه اشد اهوال واتعاب الحصار الذي دام ثمانية اشهر وبعد افتتاحها تنصب بوهيمون سلطانًا لها وفيروز اخذ جزاهُ اوفر الثناء واجمل الشرف واسناهُ وقد تم جميع ذلك في شهر حزيران من سنة الف وثمان وتسعين حسابًا مسيحيًا

وكانت انطاكية كما هو معلوم هي اول محل به انتشرت الديانة المسيحية وذلك مما يدل على قدمية هذه المدينة وعظمتها السالفة فكم وكم من الجوامع حدثت تحت تلك القلعة التي يظن من ينظرها انها من عجايب الطبيعة واجمل تذكار ابقته العناية الالهية تفكرنا باحوال امم غابر الايام وكم وكم من الوقائع حدثت تجاه تلك

الابراج العظيمة التي كثيرًا ما سطرت وصفها الاقلام في صحف التواريخ وكم من الملوك او الملاجوى كل من صوانجها وقد بلغ عدد سكانها قديمًا ما ينيف عن سبعماية الف نسمة واما الان فليس بها ما ينيف عن سبعة الاف نسمة وهم اتراك ونصيرية وروم وارمن ويهود واما بيوتها فهي حقيرة البناصغيرة الحجم وما ذلك سوى مخافة من سوء عواقب الزلازل التي حسبما يستدل من التاريخ انها تكررت بها مرارًا فانه في شهر كانون الثاني سنة ٤٤٧ للمسيح حدثت زلزلة شديدة في دار الاستانة العلية لم تلبث حتى امتدت الى جهة انطاكية فهدمت منها قسمًا وافرا وفي سنة اربعماية وسبع وخمسين تكررت هذه الحادثة وكادت تهدم المدينة باسرها وقد قلبت مبانيها الجديدة كافة مع محلات صناعتها باسرها في الساعة العاشرة مساء في اليوم الرابع عشر من شهر ايلول من السنة المذكورة واذ ذاك حركت الحاسة والهمة ليون الملك الذي لم يفترعن اجراء المساعدة اللازمة لقيام خراباتهم وقد وهبهم قسمًا وافرًا من الفضة واعفاهم من الرسومات الميرية وفي سنة ٤٩٤ حدثت زلزلة خربت مدينة منبج مع اللاذقية وانطاكية العظمى ايضًا وبعد سنين يسيرة كسبت انطاكية رونقها وجمالها الاولين وثارت على جواد التقدم والنجاح حتى ادركت سنة خمساية وست وعشرين فحدثت اذ ذاك في ٢٩ ايار زلزلة مهولة احالت بعض جهاتها للدمار غيرانه حدث ذلك لدى اوان الغدا حيثما كانت النار لم تزل في وجاقات البيوت فصودف وجود ارياح قوية لجلبت النار واوصلتها لمحلات اخرى . ومنها تلك الكنيسة التي لم يذكر لنا التاريخ عن شبه لها في سائر الاقطار وهي الكنيسة التي بنيت في ايام سطوة واقتدار الملك قسطنطين المشيدة اركانها بالمرمر والرخام المطلية بالذهب الوهاج غيرانه لما لم تؤثر فيها تلك النيران اكتنفت حول اساساتها وبعد ان دامت ملتهبة طول ما ينيف عن ثمان واربعين ساعة اسقطتها فضجة هذه الحريقة اجتلبت عساكر الرومانيين من قمم الجبال وقد نهب المذكورون جميع ما سلم من انواع النار من المال والامتعة وما اشبه وعقب مضي شهر اقيم من تحت الردم اشخاص كانت لم

تزل في قيد الحيوة وقد اتتاتت بتلك المدة ما وجد في بيوتها واطفالاً حديثي الولادة دون امهاتهم اللواتي ذهبن فريسة الزلزلة والنار فبلغ عدد اموات تلك الحادثة حسبما اخبر احد معاصري الزلزلة مايتين وخمسين الف نسمة

وعقب مضي سنتين اي سنة ٥٢٨ حدثت الزلزلة في انطاكية التي هدمت كل ما كانت تركته الزلزلة التي حدثت قبلها وقد قتل فيها اربعة الاف وثلاثماية وسبعون نفساً وحينئذٍ اهالي المدينة لقبوها بتيوبولس اي مدينة الله املاً برفع هذا الغضب وفي زمن يوستيانس الملك الاقدم حدثت بها زلزلة ايضاً اهلكت خمسة وعشرين الف نسمة وفي سنة الف ومايه وخمس عشرة حدثت الزلزلة التي كانت تهدم المدينة مع ما كان مجاوراً لها ثم في سنة الف وثمانماية واثنين وعشرين حدثت زلزلة مهولة قوية احالت قسماً وافراً منها للدمار واهلكت عدداً وافراً من السكان وفي سنة الف وثمانماية واثنتين وسبعين حدثت ايضاً زلزلة لم تلبث حتى ابادت اغلب صوايجها وتزعزعت اساسات الابنية التي بقيت حتى صارت سريعة العطب فمن جملة الابنية التي هدمت حينئذٍ وجدت الكنيسة المختصة بطائفة الروم الارثودوكسيين وهذه الكنيسة قد كلفت اموالاً جزيلة قلت وقد هلك في هذه الحادثة ما ينيف عن الف وخمسماية نفس وتعطل من الاشغال والارزاق ما ليس بيسير وكانت تتبع تلك الزلزلة القوية زلازلات خفيفة وبسبب ذلك اصبح اهالي انطاكية في فاقة شديدة واحتياج مفرط ولذلك صارت الباشرة بقيام عمدة مخصوصة وجمعت لهم احساناً من سائر الطوائف ولبى كل منهم هذا الطلب بالمصادقة والايجاب ولما كان اغلب سكان انطاكية من الطائفة الارثودكسية الذين هدمت فيها كنيستهم قد توجه بامر غبطة ايروتيوس بطريرك الطائفة المذكورة حضرة الاب الارشيمندريتي غبريل جباره الى الديار المصرية لجمع الاحسان لاولئك المنكودي الحظ وهناك تقابل بحضرة خديوي مصر المعظم وبجمل فصيحة قد اوضح له عن وجوب المساعدة وقد حاز طلبه بالقبول لدى الخديوي وسكان القطر المذكور هذا وان هذه المدينة الذائعة

الصيت المشهورة اشتهاراً فائقاً مما بين البلدان السورية ثبت قديماً بما انها المشرق بكانت تعد بعد رومية والقسطنطينية من اجمل المدن في اقطار العالم وهي في ما بين بلاد معتبرة ومخصبة وقد سكنها كثيرون من الملوك الرومانيين الذين زينوها باجمل الابنية وابهر الزخرفات التي يتيه بها فكر المتامل تعجباً وذلالاً وكان فيها اشياء مبهجة ومعجبة قد حركت حماسة الجنود الصليبية لانتزاع الحرف المدونة وهي كانت مقر السياح وزوار العالم الغربي اذ كانوا يتقاطرون اليها من كل قطر ومكان ويتخايل للجالس برياض العاصي ان حصونها وكثرة ابراجها العظيمة من اجمل مبتدعات الطبيعة حيثما كان شاطئاً بانضمام الاشجار المتضوع منها روائح رندت تلك الازدار الزكية تجاه خريرات تلك المياه الصافية ونسيم ارياح فنون ابهة شاطئ ذلك العاصي الذائع اسمه في صحف تواريخ الاية وانه في سنة ٤٢٩ قدمت الملكة اندوكية امراة الملك تيودوس وجلست هناك على كرسي ثمين متلالئ بالحجارة الكريمة والجواهر المرصعة وخطبت خطاباً به جمعت ما بين البلاغة والبراعة والفصاحة عن نمو المدينة العظيمة وشاهدها الباهر بجمل محركة هيجت ذلك الشعب الفائح الذي اقام لها تمثالين احدهما من نحاس والاخر من ذهب فوضع الاول في خزينة التحف والثاني في محكمة القضاة وقد سرت الملكة سروراً يعجز القلم عن تبيانه وغمرت السكان بابهى العطايا وافضل الهبات

وفي دائرة هذه المدينة يرى الناظر من اجمل الاشجار المغروسة ببساتين محصنة ذات حيطان مرتفعة واذ انها ذات هيئة جمعت ما بين الهدو والسكون ممن يتامل بها وشراسة تلك المحصنات يصبت مهابة واجلالاً ونفوراً بما كانت به من وافر الحادثات قد اتاها حدد وافر من الشراكسة خوفاً مما ثيرة من الحروب العساكر الصليبية .

وحول انطاكية ضيع وقرى كثيرة لم تزل سكانها راتعين في فراديس الحوش وسباسب البرية الشاسعة فعليك اذاً ايها المطالع ان تتامل .

سويدية

قال بعضهم ان السويدية هي سلوقية ذاتها التي بناها سلوخيس نيقاتوروس الاول واشتهرت اشتهاراً نابتاً في التاريخ وقال اخرون ان السويدية هي بلدة غير سلوقية والله اعلم

وهي بالقرب من شمالي مصب العاصي وعدد سكانها مع سكان الضيع المجاورة لها بلغ نحو تسعة الاف نسمة من الصيرية والارمن والروم اقول ان هذه المدينة قد اشتهرت قديماً وفيها كان يرسو عدد وافر من المراكب البحرية واما الان فلا ترى في مينائها سوى بعض قوارب حقيرة خائضة امواج البحر لصيد الاسماك وهذه القوارب الان هي عوض عن تلك المراكب العديدة التي كان ينظرها الانسان في ميناء بحرها الثجاج

وان داود المورخ المدقق في احوال البلاد الشرقية قد وصف في كتابه الشهير حالة البلاد السورية في زمن الرومانيين وقابلها مع الحالة الحاضرة المحزنة فمن ذلك عند انتهاء كلامه في وصف ما حلّ في انطاكية من التاخر اذ قال واننا نترك هذا المنظر الانطاكي ولناتين الى منظر يكاد يفطر قلب المرء حزناً وتاسفاً منظر ميناء مدينة السويدية تلك التي كان يظن ناظرها انها عاصمة اشهر قسم في الكرة الارضية لما كان يرى الوفاً من المراكب المستعدة للحروب راسية في مينائها والان لا يرى سوى بضعة قوارب مطروحة شاطباً على ذلك الرمل المحرق اقول وليس الامر بهذا المقدار فان ميناء هذه المدينة لم تزل ذات اهمية ولو يسيرة فهكذا يقدر المطالع ان يعلم بان في شمالي سورية كان نسل من اليونانيين غير المعروفي الاصل مختلطاً من الرومان واليهود وغيرهم ولكن مشتركاً بالمصالح ومتساوياً بوسائط النجاح وقد بناها الفينيقيون حسبما نص مولف سورية ودعيت حينئذٍ (اوجيا وهيريا) كما دون ذلك في تواريخهم واما سلوخيس نيقاتوروس الاول فهو الذي جدد اسم ابنيتها وعظمها فقد سماها باسمه سلوقية ودون داود في

تاريخه انه قد اضيف اليها اسم بيارة وما ذلك سوى نسبة الى الجبل المجاور لها المعروف بهذا الاسم وروى في جغرافية فولتارناتوس ان سلوخس نيكاتور رسم ست عشرة مدينة باسم انطاكية نسبة الى ابيه انطيوخوس وتسع مدن سلوقية نسبة اليه وخمسا لاذقية نسبة الى اسم الذي ولدته وثلاثا اباميا نسبة الى اسم امراة وقد ارتأى بعضهم ان باني سلوقية هذه هو سلوخس المذكور الذي دفن فيها والارجح انه دفن في سلوقية التي كانت مركز ولاية السلوقيين الكائنة بالقرب من بابل اما سلوقية هذه التي هي الان السويدية كانت مينا لانطاكية وقد كتب (اوترو بيوس) ان بومبايوس اذ تولاها سماها سلوقية الحرة وقد اسس فيها الرسولان بولس وبرنابا كنيسة سيم اول اسقف عليها (دوسيثاوس) ثم زينوبيوس اسقفها حضر في المجمع القسطنطيني الاول وقد قيل ان طيباريوس قيصر هو الذي عمل مينادها والذي اصلحها هو نيرون مع من سلف من الملوك الرومانيين وان قسطانس الملك بن قسطنطين الكبير حسبما روى ثيدوروس قد حفر في الصخرة الكائنة من ملكه هذه المينا ووسعها وقد هدمت ابنية هذه المدينة بما حدث من الزلازل التي اخربت انطاكية وجوارها سنة ٥٢٦ وسنة ٥٢١ وكانت تسمى في زمن الصليبيين مينا سمعان واما السويدية الان فهي كقرية حقيرة وفوق السويدية جبل موسى عليه السلام الذي دعاه المؤرخون مرارًا بيارة ثم يليه راس الخنزير الذي دعي قديما صخر (روصوص) وهو جبل عال فيه ذاب متكاثف وقد قال بعضهم ان ارتفاع هذا الجبل عن البحر نحو الف وستماية متر ثم بعد ذلك راس صغير منخفض يسمى راس عرصوص وهذا روسوس القديمة التي ذكرها المورخ سترابون في تاريخه الكبير فلا يرى المتامل هناك سوى بيوت حقيرة ومن راس الخنزير يبتدي خليج اسكندرونة المسمى قديما خليج الدرس

اسكندرونة

ان اسكندرونة هي الى الشمال من مدينة انطاكية على ريف البحر وهي مينا

حلب وموقعها في درجة (٣٣) ودقيقة (٥٥) من الطول الشرقي ودرجة (٣٦) ودقيقة (٣٥) من العرض الشمالي وقد قال في الجغرافية ابو الفدا باب اسكندرونة ونص احمد الكاتب هذا ان باب اسكندرونة مدينة على شاطئ البحر المتوسط او الرومي بالقرب من مدينة انطاكية العظمى وان بانيها ابن ابي داود الاياري في ايام خلافة الواثق وقال مولف سفر الاخبار ان باب اسكندرونة هو من جهة حلب وبالكد يبعد مرحلة عن (بغراس) اذ بين بغراس وباب اسكندرونة اثنا عشر ميلاً وزعم بعضهم ان اسكندرونة التي دعيت قديمًا اسكندرية على (ابسوس) هي في مكان ميريا ندروس وارتأى اخرون ان ميريا ندروس كانت بعيدة عن اسكندرونة نحو عشرة الاف متر الى الغرب وذلك في المحل المدعو بئر يعقوب ثم انه على مسافة ساعتين ونصف من اسكندرونة والى ناحية الجنوب الشرقي قرية (بيلان) وهي مركز اقامة قناصل الدول وبعض معتبري اسكندرونة في زمن اشتداد حرارة الصيف وما ذلك سوى وقاية من الامراض المتسلطة على اغلب سكان البلدة المذكورة

ومينا اسكندرونة امينة من طوارق امواج الساحل الذي قد تعب الملاحون القدماء بتمهيد وترتيب رمله الكثيف غير ان الاقامة في هذه البلدة غير مستحسنة نظرًا لما يتهددها من الاخطار في زمن الشتاء ومن غوائل عواقب الامراض في زمن الصيف ومع انها انسب مينا لمدينة حلب الشهباء فمجرها ليس ذا اهمية كلية وهكذا ارفان اسكندرونة مبنية على سهل من النبات النامي من المياه المنتقعة المضرة فانك ترى سكانها يهاجرونها وهم في درجة ضعيفة بين الصحة ونرى فرقًا كليًا بين صحة اجسامهم واجسام سكان قرية بيلان المبنية بجبل يجاوره محل ينبعث منه خرير مياه تنبهر منها اعين المتامل وان نضارة منظر هذه القرية وما اتصفت به من المناخ هو سبب صيرورتها مركز اقامة معتبري اسكندرونة منذ اواخر شهر ايار حتى اوائل كانون الثاني فبذلك الاوان لموانع يعسر الاقامة فيها هذا وان اهلها الذين يعيشون من لبن بقرهم ومحصولات

مزروعاتهم على جانب عظيم من البساطة كما هو داب فلاحي هاتيك القرى المجاورة لها

والى الشمال الشرقي من اسكندرونة ترى قرى وضيعًا اهلها عديموا التمدن والمعارف واراض شاسعة فيها مراع وافرة متروكة لسلطة التراكيب اما مجاوروها فليست سوى ماوى اولئك الاكراد الذين لم ينفكوا عن السلب والغزو وقطع الطرق وهكذا اذا لازم الانسان السير حتى عين تاب لا يشاهد الا قليلين من الاتراك والارمن المسيحيين وقلما ينظر سونا او غيره من الاحياء التي بها يتعزى القلب البشري

ثم الى الجنوب الشرقي من عين تاب وعن بعد يومين منها على الشاطئ الغربي من الفرات توجد قرية دعاها من تاخر من المورخين (بارابولس) قيل انها اشتهرت بسبب انها امينية بحول بعلبك القديمة غيران (فولناي) الشاعر الفرنساوي الشهير ضادَّ ذلك بقوله ان خرابات بعلبك الموجودة تبعد مسافة اربعة وعشرين كيلومترًا عن جنوبي باراابولس المذكورة

هذا وانه ليس يوجد في القرية المذكورة قناة ماء من تلك الاقنية الشهيرة بكثارتها تقريبًا في اغلب نواحي الولاية الحلبية

وهكذا قد قال مولف سورية ان اراضي الولاية الحلبية التي منها اسكندرونة هي اعظم برهان به يستدل المرء على معجزات الطبيعة وحيثما يسيح اجدُ في تلك القرى والبلدان لا يرى فيها الا ما سبق شرحهُ في ملخص تاريخنا هذا

هذا وان اختلاط الامم في كل قسم من اقسام الولاية الحلبية يقدم للتامل منظرًا بهيًا به ينشرح الفواد اما باياس فهي الى الشمال من خليج اسكندرونة وعلى بعد مسافة ثلاث ساعات منها وهذه المدينة سميت قديمًا بايا والى الجهة الشمالية ايضًا مدينة (باسي) المار ذكرها وقد قال فيها ابو الفدا (اياس) بلدة كبيرة على ساحل البحر وميناها جميلة المنظر بها اقام الافرنج برجًا يجتمعون به كالقلعة فمن اياس الى بغراس مرحلتان ومن اياس الى تل حمدون مرحلة واياس هذه تعد

صارت ماوي ومجمعًا شهيرًا للتجار برًّا وبحرًا واشتهرت ميناها عندما افتتح المسلمون السواحل البحرية من الافرنج وهو حد سورية من جهة الشمال اذ من ثم تبتدئ كيليكيا التي هي من اقاليم اسيا الصغرى وقد دعيت بهذا الاسم تمييزًا لها عن القارة المسماة اسيا الكبرى اما اليكسنة السودا والهارونية المسماة بذلك نسبةً الى هارون الرشيد فهما من الثغور في اواخر جبل اللكام ومركزها الى الشمال الشرقي من باياس وقد روى ياقوت الحموي في المشترك انه الى الجهة الشرقية من انطاكية على بعد مرحلة توجد قرية حارم وهذه القرية هي مربع للتامل المدهش وفيها من المنتزهات ما ليس بيسير فانها ذات مياه وبساتين وهي على شعبة من الجبل الاعلى وروى بعضهم انها كانت ذات اهمية وشهرة في زمن اضطرام نيران الحروب بين الافرنج والمسلمين ولم تبقِ كرور الايام من ابنيتها القديمة سوى القلعة اما قرية دانا التي لا تستحق ان تذكر في هذا الكتاب الا لكثرة ما ينظر المرء فيها من الاثار والهياكل القديمة وغيرها في مجاورتها فهي الى الشرق من حارم والى الجهة الشمالية من دانا جبل سمعان الذي يوجد فيه عدد وافر من الخرابات القديمة وبعضها يسمى القلعة قال مولف المراة الوضية انها كانت قديمًا هيكلًا وربما صارت كنيسة هذا وان اهالي تلك البلاد لا يعتنون الا بالفلاحة ورعي المواشي التي تكثر بهاتيك النواحي اما اشهر قرى سلسلة الجبال الممتدة من جنوب حارم الى شرقي العاصي فهي سلقين وفيها نحو اربعماية بيت من النصيرية وسقار وهي نحو ستين بيتًا والحمزي وفيها نحو ثلاثين بيتًا والعلاني وهي نحو ماية بيت والدويلة وتل عمار وكل يبلغ ثلاثين بيتًا تقريبًا وديركوش وفيها نحو ماية بيت واغلب سكان تلك القرى نصيرية

اما مقاطعة الروج فهي الى شرقي هذا الجبل وقد بلغ عدد سكان ضيعها وقراها نحو الف ومايتي بيت واكثر اهلها هم من النصيريين ايضًا والى شرقي الروج يوجد الجبل الاعلى وفيه وفي توابعه ما ينيف عن خمسين قرية واغلب اهاليها دروز ثم ان من هذه القرى كفتين وهي حسبما روى بعضهم في سهل

شاسع الى الناحية الغربية من موقع قنسرين وان سهل كفتين بهج المنظر مخصب يكثر فيهِ شجر الزيتون ويمتد جنوباً حتى جوار حماه ويغلب في كفتين طائر الحمام الذي يباع منهُ كثيرٌ في اسواق حلب اما معرة قنسرين التي يدعوها بعضهم معرة قنسرين فهي الى جنوبي كفتين وعلى بعد ستة اميال منها وكان فيها قديماً سورٌ وقلعة غير ان نوائب الدهر لم تبقِ فيها سوى اثار طفيفة واهلها نحو ثلاثة الاف نسمة وفيها سوق يُقصَد كل يوم جمعة من كل سبة وكذلك يوجد خرائب متسعة في الجبل الاعلى الى الشرق من هذه الاماكن المنوه عنها وفي الطرف الجنوبي من قرية بشندلايا وقد يكثر النمر والخنزير البري والدب في هذا الجبل وجوارهِ

وعلى بعد ثمانية عشر ميلاً من جنوبي كفتين قرية ادلب وهي قرية كبيرة بالنسبة الى غيرها واهلها نحو ثمانية الاف نسمة منهم عدد وافر من الروم وفي هذه القرية يصنع الصابون بكمية وافرة وذهب بعضهم الى ان الزيتون الموجود هناك هو حديث الوجود لان القديم قد يبس بسبب تجلد نهر العاصي المولد من اشتداد البرد الذي حدث بهاتيك الاطراف منذ مايــة سنة اما ريحا فهي الى الناحية الجنوبية من ادلب التي ذكرناها وهي على نحو ثلاث ساعات منها وقد روى بعضهم انها تُمد وتُقصر والقصر اشهر وصادق على ذلك ياقوت في المشترك ومن المعلوم ان ريحا هي من اشهر اماكن حلب وفيها من البساتين ما يندر وجودهُ في سائر اقسام الاقليم الحلبي ومنتزهاتها شهيرة ويحق للمتاخرين الاطناب بمديحها ومركزها حسبما قيل على سفح جبل اربعين الذي توجد فيهِ مياه عذبة صافية بها يبتهج النظار واماكن حسنة للتنزه وفيهِ قبور كثيرة منقورة في الصخور وخرائب متسعة شهيرة وسكان ريحا ثلاثة الاف نسمة وهم مسلمون وبالقرب منها مغارة كبيرة هائلة دعيت مغارة الاربعين واما البارة التي لا تستحق ان تذكر الا لكثرة خرابات جوارها فهي على مسافة نصف مرحلة من جنوبي ريحا اما معرّة النعمان فمركزها الى جنوب شرقي البارة وهي مدعوّة بذلك نسبة الى النعمان بن بشير الانصاري الذي اذ اجتاز فيها مات والدهُ فاقام عليهِ والنعمان توفي مقتولاً في سنة

٦٥ للهجرة وذلك من اهل حمص الذين ادركوهُ بعدما فر منهم واشهر من نام في المعرة ابو العلا احمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري الشاعر الاعمى المشهور

اما اهل معرة النعمان فيشربون من الابار والى الجنوب الغربي منها كفرطاب وبالقرب من كفرطاب معرة حرم وقد زعم بعضهم ان كفرطاب هي ارض طروب المشار اليها في سفر القضا

وفي تلك النواحي وجد ايضًا جملة اماكن سميت معرات كمعرة بيطر ومعرة عليا ومعرة بحولين

حماه

ان حماه هي على جانبي العاصي وعلى بعد ماية وخمسة وثمانين كيلومترًا من شمال شرقي دمشق الشام وكانت تعد من اجمل واشهر مدن سورية الشرقية ومركزها على سفحين بعدها ينظر وادٍ مزهر بانواع الازهار ومزدهر باجمل الخمايل وبوسطها يمر العاصي الذي يشطر البلدة الى قسمين وعلى ساحليه توجد عدة اقنية وبما ان مركز حماه اكثر ارتفاعًا من العاصي فيوجد نواعير منها تندفق المياه الغزيرة التي تسري حالاً الى الاقنية ومنها الى جهات البلدة

وهكذا يحدث من جرى دوران هذه النواعير ضجة يصعب احتمالها على كل من لم يكن معتادًا عليها وبالحقيقة ان منظر تلك المياه الجارية وتلاعب امواج ذلك النهر الجميلة والتامل بجنائن تلك الحدائق المزدهرة هو من اجمل عجائب الطبيعة وفي حماه عدد وافر من الحمامات العمومية والقوافل واسواقها مشهورة كجوامعها وعدد سكانها الان ثلاثون الف نسمة مع انه تجاوز المائة الف في الزمن القديم هذا وسكانها موصوفون برقة الجانب ودقة الافكار حتى ان اغلبهم كانوا شعراء ولذلك دعاهم المورخون العصافير المتكلمة وعن بعد خمس ساعات من

حماه توجد اثار مدينة اراتوس حيثما توفي القديس مركيانوس وهو شهيد اضطهادات الملك بوليانوس الذي كان حينئذٍ في سورية وقد جرى في حماه من النادر ما يتيه به فكر المتامل ومما يحكى انهُ في زمن الدولة المصرية تولى حماه عبدٌ يسمى فرج وكان ظالماً كرههُ الشعب لشدة ما اشتهر به من الصرامة فامتثل يوماً ما الشيخ امين الجندي بازاء خديوي مصر ولما سُئل عن حالة حماه وحكومتها اجاب

كل الامورِ اذا ضاقت لها فرج الا حماةٌ اتاها الضيق من فرجِ

اشارة الى فرج الذي كان اذ ذاك متوليًا حماه ومنهم من ذهب الى غير ذلك والله اعلم بالصواب وقد ظهر فيها كثير من الشعراء والعلماء قال ابو الفدا الحموي هي انزه البلاد الشامية وهي كثيرة مختصة بكثرة النواعير دون غيرها من البلاد الشامية اما بناؤها فهو قديم جدًّا قال يوسيفوس المورخ اليهودي ان بانيها هو حمت بن كنعان بن حام بن نوح عليهم السلام وهي المسماة في التوراة حمت باسم بانيها وكانت على الحد الشمالي من الارض التي وعد الله بها بني اسرائيل كما هو مدون في سفر العدد ولها سور عظيم قيل فيهِ سور حماه بربها محروس وهي جملة بديعية التركيب تقرا طردًا وعكسًا

اما مولف سورية فاذ وصل في الكلام عن حالة الاقليم الحلبي قال ولنتقدمن قليلاً لجوار وادٍ يجري فيها ذلك العاصي على تلك الحصى البيضاء المشابهة الجواهر الدرية بصفائها الباهر ولنشاهدن على ذاك السفح قليلاً اجمل واشهر المناظر وتلك الازهار النامية والنواحي المخصبة السارية عليها تلك الطروش العديدة نعم ان بذياك الجوار توجد المدينة التي فيها قم تلك الجوامع المرصرصة وحجارة هاتيك المآذن الشهيرة وتلك البيوت الحاطة بالف نوع من الاشكال المبهرة المتقدمة كعروس امام امواج ذلك العاصي الشهير وتنظر تلك الاراضي الحاطة شمالاً ويمينًا بالنخل والزنبق والياسمين النامي لدى الابواب وتلك النواعير التي لم يسبق التاريخ بذكر مثيل لها هذا وكانت حماه مركز اقامة اغلب تجار دمشق الشام الذين زينوها رويدًا رويدًا بما يلذ ويزيد رونق غناهم وبما يطابق افكارهم

وانشغافهم الزائد في المناظر الطبيعية ولندخلن الى احدى محلات هذه البلدة فنرى في كل حوضاً وبركة منها تندفق الامياه الصافية وبعض المحلات هي مبلطة بالرخام الابيض ومغطاة بذباك الطوان ذي اللون القرمزي الذي يبهج النظر هذا وان حماه كانت بالراحة في زمن افتتاح العرب الاقليم السوري وقد شاركها بتلك الراحة اغلب المدن التي كانت على شاطئ العاصي غير ان التاريخ اخبرنا ان العرب افتتحوا اخيراً سائر تلك البلدان عدا حماه فانه لم يات بذكرها

روى ابن العبري في تاريخ الدول سنة ٥٥٢ هجرية قال انه حدث بالشام زلازل كثيرة قوية فاخربت كثيراً من البلدان المجاورة لها ومنها حماه التي كان فيها معلم اذ فارق المكتب لغرض ضروري حدثت تلك الزلزلة فهدمت البلدة واسقطت اساسات تلك المدرسة على تلامذته قال انه لم يات رجل يسال عن صبي له فكان ذلك شاهداً كافياً لكثرة القتلى الذين توفوا بتلك الزلزلة وروى ذلك البطريرك اسطفانوس الدويهي عن ابن شباط في تاريخ سنة ١١٥٦ مسيحية

هذا وانه ينسب الى حماه كثير من الادباء فمنهم ابو الفدا وياقوت والشيخ تقي الدين بن حجة الشاعر وشيخ الشيوخ وغيرهم وعلى نصف المسافة الكائنة ما بين حماه وحمص كانت توجد مدينة الرستان وهي الان خراب واما زفرون فهي لشرقيها على مسافة ساعة وخرائب مدينة سليمه التي اشتهرت في زمن اليونانيين اشتهاراً ذايعاً هي الى شرقي حماه على مسافة اربع ساعات واذا تركنا حماه وتقدمنا بضعة اميال فلا نرى سوى سهول مخصبة محروثة باعتناء تخص حماه بلدة المتنزهات ثم يبان لدى اعين المتامل تلك الحقول مع بضع مزارع حقيرة بالقرب من القصب الكائن على ساحل النهر ولا بد من انه صودف الانسان مراراً باثار بعض من تلك الاثار اليونانية التي كانت تحاكي بارتفاعها السحاب الاعلى ثم بعد ذلك على مسافة مسير نصف نهار توجد مدينة حمص فما اجمل من ذلك سوى مخدع القضاة فان الذي يدخله يظن ذاته انه في عالم الافكار والاحلام فهناك ما يجعل المرء يفتكر بقدرة ذلك الخالق القدير فان ذلك المخدع هو ذو

خمس نا ندات بها يتلاعب النسيم راقصاً على تلك الكراسي الرخامية المزينة بآنية البخور وبروائق الازهار ثم تشاهد عواميد منقوش عليها تتابعاً باللون الازرق والاحمر وفوقها ذلك الطوان البياضي المرسوم عليه رسم تلك الاشجار الذهبية وبين كل من العواميد المذكورة مرسوم باحرف جميلة تعد من مفتخرات الشرق بضع آيات من القران وبعض ابيات من نفائس المنظومات فيشاهد من جهة اسلحة قلما كان ياتي اولو ذلك الفن بمثلها ومن اخرى مكان الحيوانات المغطى بالحرير وما يختم هذا المحل الحافل هو منظر سجادات بروسا وتحمل سوفا امام حوض منه تتدفق المياه وياقوت الحموي يعد هذا المؤلف اشهر الادباء وله التاليف العديدة واشهرها كتاب معجم البلدان قد ذكر فيه من الاساليب المستحسنة واودع درر فصاحة تشهد له بطول الباع في فن الجغرافيا وهذا الكتاب لم انظره مطبوعاً وكنت كثيراً ما اصبو لان اطلع عليه نظراً لما سمعت من الاطناب بمدحه الى ان وجدته في اليوم العاشر من شهر اذار في سنة الف وثمانمائة واربع وسبعين في مكتبة راغب باشا في دار الخلافة العلية فابتهجت به وطالعت بعض صفحات منها علمت انه خلد ذكر مولفه وهو خط اليد قيل انه طبع في فينا عاصمة بلاد النمسا والله اعلم بالصواب

وكثير من السياح الاوروبية حينما زار البلاد السورية رغب ان يطلع على كتب ومولفات ابي الفدا نظراً لما يعهده الجمهور به من الاستقامة والتدقيق وعدم التغرض في الكتابة الامر الواجب على كل مورخ فمن جملة من اطنب بمديح هذا العالم داود صاحب التاريخ الشهير الفرنساوي الذي اطال البحث به عن احوال الشرقيين . انتهى

هذا ما ورد من الادباء عن مدينة حماه قال بعضهم

نواعير في وادي حماة اذا بكت ... تهيج مني بالبكا مدمعاً قاصي
واني على نفسي لاجدر بالبكا ... اذا كانت الاخشاب تبكي على العاصي

قال اخر

عاصي حماة هو النهر الذي عذبت مياهه قد عصى في كسر تقديرِ
شرابه لم تدِر ايدي السقاة به الا على حسن اصوات النواعيرِ

قال ابن خطيب الاندلسي

ناعورة تحسب من صوتها متيمًا يشكو الى زائرِ
كانما كيزانها عصبة رموا بصرف الزمن القاهرِ
قد منعوا ان يلتقوا فغدوا اولهم يبكي على الاخرِ

حمص

حمص مدينة بالشام مشهورة لا يجوز فيها الصرف كما يجوز في هند لانه اسم اعجمي سميت برجل من العماليق يُسمّى حمصًا ويقال رجل من عاملة اول من نزلها وان حمص هي المسماة قديمًا (امه ز) فهي على مسافة ماية وستة وثلاثين كيلومترًا من شمال شرقي دمشق الشام وعلى مسافة ٢٥ ميلاً من جنوبي شرقي حماه وكان فيها ولم يزل عدد وافر من الجوامع الشهيرة والكنائس المختصة غالبًا بطائفة الروم وفيها جملة اسواق وخان كبير وكان متجرها قديمًا بالقطن والحرير والان بالصابون ولها علاقات تجارية مع حماه والشام وحلب وانه في سنة ١٨٣٢ حدثت فيها الموقعة ما بين جنود الدولة العلية العثمانية وابرهيم باشا خديوي مصر وقد دخلها سنة الف وثمانماية واربعين الانكليز واستفتحها المسلمون سنة ستماية وست وثلاثين للمسيح في زمن خالد بن الوليد وابي عبيدة بن الجراح وكثيرًا ما اطنب المورخون في مدح حمص ومناخها منهم ابو اسحق الاصطخري اذ قال انها اصح بلاد الشام هواء وتربة وفي اهلها جمال مفرط وليس فيها حيات ولا عقارب . انتهى

اما القلعة التي كانت فيها فقد تداولتها يد الظروف وحوادث الايام حتى ادخلتها حيز الخراب وكان فيها في ايام (ماكران) هيكل شهير للشمس فكانوا يكرمونها تحت اسم (عاليوغيل) وحسبما روى من تاخر من المورخين ان الكاهن

الذي كان في هذا الهيكل كان يدعى (باسيانوس) وجدته (ميزا) اخت الملكة (بوليادومنه) امراة (سينميوس ساويروس) فهاتان زعمتا ان ترقياه الى سدة الملك فاحضرتاه امام الجنود التي نادت باسمهِ عند ما شاهدته وتاملت بحسنهِ وجمالهِ وحذقهِ وعصيت اوامر ملكها (ماكران) المكروه واذ اتى ليخضعها انتشبت حرب قتل فيها فاسرع اذذاك باسيانوس مع جدتهِ وامها الى رومية وبعد ما استحضر اليها الحجر الاسود شيد فيها هيكلاً للشمس فاكرمت تحت اسم (عشترة) وسمى نفسهُ (اعاليوغيل) وهو معروف بهذا الاسم في بعض التواريخ التي تدونت بها افعالهُ التي تجل عن ان تفعلها الرضّع واجبر الرومانيين ان يترديوا بالزي الاسياوي وجعلته جدته ان يتبنى ابن خالتهِ المدعو اسكندر فاحبهُ اولاً وزعم اخيرًا ان يقتلهُ الامر الذي صار سببًا لانتشاب نيران الحروب التي فيها قتل (اعاليوغيل) وبيع اسكندر المذكور سنة ٢٢٢ وان اليونانيين اوجدوا واقاموا في صحف التاريخ شهرة فائقة لهذه المدينة فانهُ عدا ما كان فيها من السكان كانت تحوى يوميًا عددًا وافرًا من السياح اما العرب فبالعكس فانهم بعد ما هدموها تركوها ولما هيجت بمركزها الجميل حماسة الجنود الصليبية استفتحها بعضهم ولكن لم تنظر قط فيما بعد سعادتها الاولى فانها كانت غير ثابتة كالصليبيين تارةً بالنصر واخرى بالكسر حتى انهُ في اواخر الجيل الثالث عشر وقعت تحت سطوة المماليك واذ ذاك ابتدات أن تنحط عن منزلة قدرها السامي وجار عليها دولاب الحوادث والايام حتى اوصلتها الظروف الى ما هي فيهِ في يومنا هذا فانها ليست باهم من ضيعة واسعة فلست تشاهد فيها الا قسمًا من اليونان والعرب والاتراك هذا وانهُ لما استولت الدولة العربية على بلدان الاقليم السوري فللاستيلاء على حمص وكج جنودها اقامت خالد رئيس الجنود مع فرق منها بمحل منفرد ولما كانت الجنود العربية الاسلامية في ساحة الوغى ابانت ذاتها غير قادرة على الدفاع واللبوث امام قوات العساكر الرومانية وهكذا ابتدات ان تتاخر رويدًا رويدًا حتى وصل بها الرومانيون الى المحل الذي كان خالد ذلك البطل كامنًا فيهِ مع

عدد وافر من الجنود وفي الحال التقى الجيش العربي بتلك الجنود التي كانت لامعة باثوابها الحريرية والذهبية وبيارقها المرفوعة بايديه روساء جنودها وظفربها وغب ان رفرف نسر الانتصار على رؤوس الجنود العربية تحول فرح تلك الجنود الرومانية الى حزن ولما طرق هذا الخبر مسامع سكان المدينة باشروا حالاً باجراء شروط الصلح وهكذا نالوا اشهاها واشرفها

وهكذا كانت حمص متصف افتتاحات ابي عبيدة الشهير وقد عصيت في زمن مروان الخليفة الذي احتفل عند دخوله دمشق الشام واعتبر كخليف فهذا قد اخذ حمص بعد ان هجم عليها بجنوده دفعات جمة وقاسى اتعاباً شاقة واكداراً وافرة هذا وان مولف سورية قال ان ما يستحسنه المرء من الطبع الجميل في من استفتح من العرب الاقليم السوري هو انه يوماً ما مرّ القديس (كيلله لو) بمدينة حمص اذ كان سايحاً فقاده الحرس امام امير المدينة وكان يظن البعض انه سيق ليقتل اما الامير فعندما نظره سالهُ بضع مسائل وصرفهُ بسهولة قائلاً لمن قادهُ ان سياحاً كهذا لا يضرون احداً اذا لم ياتوا بنتايج حسنة للبلاد التي يسيحون فيها

هذا وان اهل حمص يبلغون تقريباً عشرين الف نسمة واما قرية دلبيا فهي على شرقي العاصي والى الجنوب الغربي من حمص على مسافة ٢٥ ميلاً وهي في سهل مخصب وللجنوب الغربي منها الهرمل وهو حسبما روى المورخون ذو مياه كثيرة وحدائق وافرة وبالقرب منها تل دعاه القدماء قاموع الهرمل وهذا الفاصل بين ارض حماة والبقاع وهناك ينبوع عين اللبنة وهو مخرج العاصي والى عين اللبنة يضاف مياه من عين قعارة الراهب وهي حذاء دير مار مارون وممن نشا في حمص العالم الشهير المعلم بطرس كرامه صاحب المنظومات التي هي ارق من النسيم فانه قد اشتهر بالعلوم العربية على وجه الاجمال اشتهاراً قلما يصل اليه غيرهُ من العلماء فمن جملة منظوماته الخالية الشهيرة ومطلعها

امن خدها الوردي افتنك الخالُ فسحّ من الاجفان مدمعك الخالُ
واومض برق من محيا جمالها لعينيك ام من ثغرها اومض الخالُ

وهي قصيدة طويلة قافيتها لفظة الخال لا غير في كل بيت ذات معنى مختلف وله الموشح المشهور حينما امر الامير بشير الشهابي بجر نبع القاتة لبيت الدين وكنت ارغب ان اسردهُ مع منظومات اخر الا ان فكري بان اتبع هذا الكتاب بجزء ثاني يحتوي فقط على ترجمة اعيان سورية ومشاهيرها ومن حكمها من الملوك منذ الزمن الاول حتى الايام الحاضرة يصدني عن ذالك

هذا ما ورد عن مدينة حمص من بعض الادباء قال ابن خطيب داريا

جزيرة حمص كعبة الحسن اصبحت يطوف بها دانٍ ويسعى لها قاصِ
لها حلة من نبتها سندسيةٌ تعلق في استارها نهرها العاصي

وقال اخر معارضًا

جزيرة حمص لم تكن قط كعبة يطوف بها دانٍ ويسعى لها قاصِ
ولكنها للهو والقصف حانة الم تنظروها كيف جاورها العاصي

قال ابو جعفر الاندلسي

حمص لمن اضحى بها جنةٌ يدنو اليها الامل القاصي
حلَّ بها العاصي الا فاعجبوا من جنة حل بها العاصي

تورية عن العاصي وعن النهر المعروف بهذا الاسم

افاميا

ان افاميا هي الى شمال شرقي حماه والى جنوب شرقي مدينة انطاكية وهذه المدينة قد اشتهرت في غابر الزمان اشتهارًا كذا مقدارهُ حتى كانت تعد المدينة الاولى في هاتيك النواحي ونصَّ سترابون المورخ المشهور ان السلوقيين انشاوا فيها مدرسة لفرسانهم ومركزها كان بارض مخصبة فسيحة المساحة وفي نواحيها كان يجد المشاهد مرعىً عظيمًا وضع فيهِ سلوقس ثلاثة وثلاثين الف فرس وثلاثماية جاموس وخمساية فيل مع انهُ الان لا يوجد فيها مرعى لقطيع من الغنم وكانت قصبة سورية الثانية في عهد تسلط الرومانيين على الاقليم السوري وما

كان سايح يجول هذا الاقليم الا ويزر ليشاهد عظمتها الكلية واهميتها الوافرة ولما زارها (فولنه) العالم الفرنساوي تعرض لوضعها . فقال . انها انقاضت عن عساكر الاسكندر المتمردة بشرذمة من الفلاحين يسكنونها على وجل من العربان ولم يزل فيها كثير من الاعمدة واثار الهياكل والبيوت والاسوار لكنها مهدومة الى الارض وفيها قلعة يقال لها قلعة المضيق وداخلها قرية على رابية تنفجر من جوارها عيون كثيرة تجري مياهها بحيرة افاميا ومنها الى العاصي

تدمر او بالميرا

اذا كان من يصبو لمطالعة تواريخ انطار الامم يتاثر لدى انحطاطها فاشد تاثير يشعر بهِ بلا شك لدى مطالعة تاريخ بالميرا او تدمر الشهيرة ومقابلة تلك الحالة التي كانت مزدهرة فيها في غابر الزمان مع حالتها الحاضرة فاعلم اذًا ايها المطالع ان تدمر المدينة الشهيرة سابقًا لا تعد الان الاّ من خرابات الاقليم السوري وهذه الخرابات هي في ٣٤و٣٥ عرض شمالي و٣٦ و٤٠ طول شرقي وعلى مسافة مايتين وخمسة واربعين كيلومترًا من جنوب شرقي حلب ومايتين وثمان وستين كيلومترًا من شمالي شرقي دمشق الشام فهذه الحدود التي حددها فيها مولف التاريخ العمومي امابوجولا السايح الفرنساوي الشهير فقال انها تبعد مسافة مايتي كيلومتر عن صور ومائة وعشرين كيلومترًا عن دمشق الشام وثمانية كيلومتر عن الفرات واربعماية كيلومتر عن بابيلونيا واما بناوءها فالمرجح ان سليمان بعد بناء هيكلهِ بعشرين عامًا بناها لحماية مملكتهِ من اثارة الاعداء اما بعض المولفين فقال انما حسنها سليمان عليهِ السلام وكانت في اول عصرها مركزًا للملكة زنوبيا الشهيرة وما اجادهُ واختصرهُ بوضعها بوجولا يعد من انفس ما تتزين بهِ صحف هذا التاريخ حيث قال ان بالميرا كانت اولاً مدينة تجارية ومقر بضايع اقطار مختلفة واذ لم يكن لها علاقات سياسية لم تشتهر اولاً لان مركزها القفري والقوافل التي ترد اليها من نواحي الدجلة والفرات لم تكن اهلاً لان ندعوها ذات اهمية في

تواريخ الامم ولو انها دامت مدينة تجارية لما كانت السياح تتكبد الان اموالاً واتعاباً جزيلة للوصول الى منظر اثارها الشهيرة لانهُ في سنة مائتين وسبعين مسيحية اشتهر فيها اسم تلك الملكة التي قلما يجود الزمان بمثلها وهي (زنوبيا) الرافعة بيارق المجد والجاه فوق قمة الفخر والانتصار تلك الذايعة الصيت التي لما وصفها احد العلماء قال

ان مقلتيها كانتا دوماً لامعتين كالشهب ذاتي سوادٍ يحاكي ملث الدياجي وبياض اسنانها كاللؤلؤ النقي وكالدراري السايرات في كبد القبة الزرقاء وقامتها كانت ممشوقة كالنخل التدمري وكانت تلبس ثوباً ارجوانياً مرصعاً بالحجارة الكريمة وبكل درية كانت تبكل حزامها الفاخر ولما كانت تظهر امام الجنود كانت تبان بخوذة على راسها مغراة الاذرع وبيدها الحربة الشهيرة النارية وبذاك كانت تبهر اعين جنودها الذين كانوا يسالون بعضهم بعضاً اذا كانت هذه هي (بهلاس) الهة الحرب وان مجلس رومية العالي كان مع (اوده نات) بعل هذه الملكة حكم اسيا فقط كامتياز شخصي ولما توفي فارملته زنوبيا اشهرت ذاتها ملكة الشرق والحال (هه راكليوس) الجنرال الروماني سار خايضاً لجج البحور مصحوباً بجيوش كرارة وكان هو في مقدمتها وهجم على قوات الملكة زنوبيا التي كسرته وارجعته القهقرى حتى اوصلته اوروبا فرجع خجلاً لكونه كان مغلوباً من امراة وبعد برهة حارب زنوبيا الامبراطور (اوره ليانوس) فغلبها وغزا تدمر وذبح سكانها فنفيت الملكة الى (تيبور) نعم انهُ ولئن يكن هذا المنفى معدوداً من الفخر منتزهات الشرق نظراً لنواحيهِ المزدهرة وخرير شلالات المياه الجارية تحت الحور واشجار الزيتون فقد كان مُظلماً لديها لعمري ما تؤثر كذا ظروف مع ملكة منفية كانت دوماً تفتخر بما اصلحته في مدينتها وببسالة الجيوش المكللة عنها مراراً بتيجان الانتصار وفي ساحل الفرات الذي اقامت عليهِ تذكارات لانتصاراتها وهكذا حسبك ان تفتكر بما يصيب ملكة كهذه خلقت للمجد والانتصار حيثما ترى ذاتها تحت نير الحكم الذي لا يستطيع الرضوخ اليهِ من ساد المناصب العالية

واذ تكلم هذا الامام عن خرابات المدينة قال قبل ان تصل لتدمر بمقدار ساعة من الزمان تنظر شمالاً ويميناً سلسلتين من الجبال احداهما تدعى جبل الرواج والاخرى جبل البديا وكلاهما عريانان ولهما منظر سوداوي يتقدمان نحو المشرق قليلاً ثم يكونان احمرين نحو مائة متر طولاً ومثلة عرضاً وعلى الناحية الشرقية من البحر المشروح ينفصلان فالشمال يتقدم نحو الناحية الشمالية واليمين نحو الناحية الشرقية . وامامك تحت هذا المنظر تظهر فجاءة تدمر فتشاهد حالاً حرش عواميد ورسوم دالة على الانتصار وبوابات وسرايات وهياكل وقبوراً لائقة بان ترسم وتبان وسط ذاك السهل الرملي المبيض ومساحة خرابات تدمر هي ستة كيلومترات وفي وسط هذه الخرابات يوجد نبع ماء ينصرف لقنايتين ويسقي حدايق مغروسة فيها اشجار النخل والزيتون هذا واذا اتينا لوصف خرابات هذه المدينة كما تستحق يكون ذلك ضرباً من المحال فان عدم ترتيبها لا يسمح لنا بذلك غير اننا نتكلم عن اشهر ما ندركهُ فنقول ما ينظرهُ المرء اولاً هو حايط رخامي من مائتي متر مربع يبلغ ارتفاعهُ ستة مترات ذو ركابز مشغولة بمتانة لا نقاس يدخل اليهِ من باب حينما تنظر هناك اثار نقش مدهش نُزِع الان اذ اضافوا اليهِ بناء ضخماً وعند التقدم لداخل السور نشاهد صفاً من العواميد يحيط بدار السور ولم يزل باقياً من هذا الصف اثنان وسبعون عموداً وهذه العواميد هي مخططة يبلغ ارتفاع كل منها نحو عشرة امتار اما الهيكل فهو في محل مرتفع وسط السور طولهُ نحو عشرين متراً وما يزينهُ هو الرواق مع جذوع النخل ودوالي الازهار والاثمار واكاليل زهور مرسومة باجمل منوال تزين الرواق والى الناحية الغربية من داخل العمارة تجد مخدعاً ذا شغل مدهش فهناك كانت توضع صورة (البغال) اوره ليانوس اخذها الى رومية ليضعها في هيكل الشمس الذي كان اقامهُ على جبل (كيرنيال) واما رواق الهيكل التدمري فلم يبقَ منهُ سوى القسم الشرقي جميعاً يوجد تسعة عواميد غير ان ما كانت مزينة بهِ رؤوس هذه العواميد قد اخذهُ بلا شك الرومانيون المنتصرون

هذا ولا شك ان الانسان يتأثر تأثيرًا كليًا اذا ابتدأ بالجولان في ازقة هذه المدينة وخرابا ... في ليلة يكون فيها القمر ناشرًا اشعته النيرة على تلك العواميد العديدة والهياكل والسرايات والدهاليز والتصاوير الجميلة سالفًا واما تأثره فيكون لدى استماعه نواح وتمايل اغصان النخل المحركة باخف النسيم ونغمات الاطيار المجتمعة في اوراق الاشجار للبيت المزدوجة مع خرير مياه جارية قال بعضهم تدمر مدينة بالبرية على طريق الشام بنتها الجن لسليمان قال النابغة

وجيش الجن اني قد اذنت لهم يبنون تدمرَ بالصفاح والعمدِ

كانت (الزبا) الملكة تصيف بتدمر وتصرف فصل الربيع بالخارج قال وسميت تدمر بنت حسان بن اذينة وهي بنتها ودعتها باسمها وفيها قبرها وذكر الكلبي عن الشرقي عن محمد بن خالد بن عبد الله القشري قال كنت مع مروان بن محمد فهدم ناحية من تدمر فاذا جرن من رخام طويل فاجتمع قوم ورفعوا عنه الطبق فظن مروان ان فيه كنزًا فاذا فيه امرأة على قفاها قد البست سبعين حلة جربانها واحد ولها غدائر سابغة قد ردت على جذرها وفي حضنها صفيحة ذهب مكتوب فيها انا تدمر ابنة حسان بن اذينة الملك ضرب الله من خرب بيتي قال فما لبثنا قليلًا حتى جاء عبد الله علي بقتل مروان . انتهى

واذ كانت تدمر على ٩٠ ميلًا الى شرقي حمص ومائة وتسعين ميلًا الى جنوب شرقي حلب وتقريبًا مائة وخمسين ميلًا الى شمال شرقي دمشق كانت مركزًا موافقًا للتجارة فكانت ممرًا للقوافل ومركزًا لاستقبال بضائع الهند من خليج العجم التي كانت تحمل من هناك الى فينيقية واسيا الصغرى بالفرات او بالقفر غير انه الان لا ينظر المرء سوى اثار هياكلها وابنيتها واذا قدم اليها المشاهد ينظر ساحة عظيمة من الرسوم والبقايا والاثار ومن الجهات كافة اقواسًا وقبابًا وهياكل وايوانات وصف اعمدة يظهر ان طوله كان اربعة الاف قدم معلقة بصورة نحاس عظيم ولم يزل بعض الاروقة والمباني التي بين الاعمدة والخرابات باقيًا واما تلك العواميد التي من مجرد النظر اليها يستدل على قدميتها فلم تزل على لونها

الاصفر البهج ولم تزل بمركزها الحنيفي وقطعتها الاصلية ثم انهُ يوجد هناك اطلال قلعة هايلة يتاسف كل من راى وشاهد ردمها وجوَرَها في حيز الخراب ثم بعض مدافن تستحق المدح لعظمتها وهناك اعمدة مختلفة تستدعي التفات واهتمام الزائرين هناك نشاهد ايضًا هيكل الشمس المشهور وواجهة مركبة من اثني عشر عمودًا بساحة مدورة عرضها تسعة وسبعون قدمًا وهي مزينة بصفين من الاعمدة الجميلة ثم يوجد رواق على واحد واربعين عمودًا ولهُ باب واسع وعلى هذا الباب تمثال نسر على رقعة مملوة من الوجوه وهذا الباب بلا شك كان للهيكل الذي لا تشاهد الان سوى طلالهِ وردمهِ المتراكة وهناك اربعة عواميد مزخرفة لم تؤثر بها زلازل الارض وقبة النسر لم تزل قايمة فعليك اذًا الان ان تراجع تاريخ هذه المدينة جيدًا وتتامل فترى العجب العجب من مقابلتك حالتها الماضية بالحاضرة وقد استولى السلطان سليم الاول على هذه المدينة وعلى السويدية باسرها في سنة ١٥١٦ ثم ضبطها ابرهيم باشا خديوي مصر ورجعت اخيرًا لسطوة الدولة العلية العثمانية في زمن السلطان ابن السلطان السلطان عبد المجيد خان وهي غير مسكونة تقريبًا ولا تعد الا من خرابات هذا الاقليم

دمشق الشام

قال مولف معجم البلدان الشام مهموز الالف البلد المعروف قيل انهُ سمي لشامات هناك حمر وسود ولم يدخلها سام بن نوح كما قال بعضهم انهُ اول من اختطها انتهى

فهي في طول شرقي ٣٦° ٢٠ وعرض شمالي ٣٣° ٣٠ وهي من اقدم مدن العالم (راجع سفر التكوين ١٤: ١٥) هذا وان مركزها في غوطة جميلة بها تبتهج النواظر تسقى بمياه نهر بردى وهذه المياه تجري في دورها وجوامعها وساير شوارعها تقريبًا ومع اننا لا نقدر ان نصف ما زينها الله بهِ من جمال المركز وكثرة المياه وغيرهِ نقدر ان نقول اننا لا نرى فيها شيئًا يدعونا ان نتذكر بسالف اهميتها

وشهرة من سكنوها وسادوا عليها من جبابرة العرب واليونان وغيرهم فان اسواقها مع انها ذات اتساع وطول وافر فهي مغمة ومن اشهر جوامعها الجامع الاموي الذي بناهُ اليونانيون كنيسة في سالف الزمان وهو شهير بعواميده الرخامية واما خان حسن او اسعد باشا فهو حسبما نص مولف سورية شبيه بعقد عمارة ماري بطرس في رومية وهي بعد اسلامبول وازمير اشهر مدينة في المملكة العثمانية وفيها من الحمامات والسرايات والجوامع الهايلة البناء ما ليس بيسير وان هذه المدينة محاطة بكل ما يقدر المورخ ان يعدهُ من عجائب الطبيعة فان العين تشاهد حيثما تنظر مراسح مبهجة وغياضاً واسعة وميساهاً جارية بتلك الحدائق الجميلة النامية في وسطها انواع الازهار الشرقية وبحيرات مع ينابيع عظيمة تندفق منها الامياه الفضية اللون محمية باشجار الغار والجميز تكسب المدينة رونقاً جميلاً ولربما يالغ من قال انها جوهرة درية تتلألأ على جبهة العالم باسره ولله در من انشد

عرج ركابك عن دمشق فانها بلد تذل لها الاسود وتخضعُ
ما بين جابيها وباب بريدها شمس تغيب والف بدر يطلعُ

وعلى ما يظهر ان اللذة قد اختارت هذه المدينة مسكناً لها فان اهلها على جانب عظيم من اللطف والادب لا يبالون بنوايب الزمن ولا يحملون الهموم الى مراكز الانشراح ولهم محبة للغرباء وميل الى كل ما بهِ يرفع السرور اعلامهُ وبهم جمال مفرط وغوطتها احدى الجنان الاربع المفضلة على منتزهات الارض · وقد قال (بوجولا) السائح الفرنساوي الشهير في كتابهِ المسمى سياحة الشرق طوبى لمن يعيش في هذه المدينة حيث يترنم النسيم في كل من اغصان رياضها الجميلة اما منظر هذه المدينة في عيد الاضحى المختص بالامة الاسلامية فمايبهج مقلة كل ناظر حيثما تتلألأ ليلاً تلك الاسواق والمحلات من تلك الانوار الذهبية في كل من مآذن جوامعها الشهيرة ودوماً ترى اسواقها غاصة بجماهير النساء والرجال العديدة

ان ابا بكر وهو الخليفة الذي حكم في سنة ٦٣٢ وتوفي في سنة ٦٣٤ هو

الذي سوّد امتهُ درجة عليا من الافتخار وهو الذي امر بالقاء الحصار على مدينة دمشق الشام ومنذ ابتداء شهر شباط سنة ٦٣٤ ابتدأ كل ان يتجهز ويستعد الى ما كان مزمعًا ان يحدث وهكذا اضيفت الجنود التي كانت تحت قيادة عمر الى جنود ابي عبيدة التي كان عددها ما ينيف عن سبعة وثلاثين الف جندي وللحال تقدم ايضًا خالد بالف وخمساية فارس كانوا انين من هدم القسم الاوطى من بلاد بين النهرين اما هراكليوس الامبراطور اليوناني فتبوأ تخت المملكة السورية في ذاك الاوان واذ كان عديم التبصر وقليل التدبير والادارة ارسل لمصادمة هذا الجيش خمسة الاف جندي تحت قيادة جنرال عديم السياسة وفاقد الادارة نظيرهُ الذي يظهر لنا من مطالعة تواريخ افتتاحات الامة العربية الاسلامية انهُ كان يدعى خالوس اما المورخون اليونانيون فلم يذكروا قط اسمهُ فان هذا القايد اذ شاهد الامم في بعلبك واقعة تحت حمل الخوف والاهوال سكن روعهم قائلاً اني ذاهبٌ وعن قليل ارجع اليكم واريكم راس خالد (اي قايد الجيوش العربية) معلقًا بطرف حربتي هذه. واذ كانت الجنود العربية لم تصل بعد للشام قدر (خالوس) ان يدخل بجنودهِ وهناك عوضًا عن ان يستعد لما كان يتهددهُ ابتدأ بالمشاجرة مع حاكم المدينة وللحال وفدت الجيوش العربية فخرج اليونانيون مشهرين اعلام القوة العظيمة وبينما كان القواد اليونانيين مشتغلين بالتشاجر تقدم (دهراريوس) ابن الازور لساحة الوغى وبشجاعة اباد ستة من المشاة واربعة من الجنود الخيالة ورجع لمعسكر اخوتهِ ثم تقدم عبد الرحمن بن ابي بكر الخليفة وطلب البراز فتقدم خالوس قايد اليونانيين مستهزيًا بهِ وطلب خالد فبارزهُ المذكور ولم يمضِ برهة حتى القى خالد خالوس قتيلاً يخبط في دماهُ فسار اسايل لاخذ ثار خالوس فالحق بهِ واذ رأى الجيش اليوناني قايديهِ قتيلين في ساحة الوغى استولت عليهِ الجبانة ودخل المدينة وعلى وجههِ لوائح الفشل والكدر وعلى الفور رفضت سكان المدينة تسليمها اما العرب المسلمون فاخذوا لهم مستشارًا احد معاوني ومتوظفي الامبراطور (هراكليوس) ومنهُ

استعملوا جميع الوسائط التي كانت تمكنهم من قهر اعداهم وهكذا ابتداوا ان يحاربوا المدينة وغب برهة استولى الخوف على قلوب اليونانيين فارسلوا يطلبون المعونة والاسعاف من امبراطورهم الذي لم يجبهم اما جهلاً واما عجزًا فطلب سكان المدينة حينئذٍ من خالد ان يرفع الحصار موقتًا عن المدينة ويدفعون له اذ ذاك الف اوقية ذهب ومايتي ثوب حريري فلم يرضَ ثم ان الامبراطور هراكليوس رتب جنودًا واقام عليها رئيسًا اخاهُ (تيودوروس) وامرهُ بالذهاب الى مساعدة رعايا سكان الشام وصد العرب المسلمين عن فتوح المدينة وهكذا تقدم تيودوروس ولكن نظرًا لما كان موصوفًا بهِ من الادعاء والعجرفة افتكر انهُ ينتصر بادنى مهاجمة على الجيوش العربية وهكذا كان تقيم في كل بلدة يمر فيها يومًا او يومين واذ قارب معسكر الاعداء ارسل العرب المسلمون جيشًا صغيرًا تحت قيادة (دهراريوس) لمصادمتهِ قبل ان يصل غير ان اليونانيين نظرًا لكثرة جيشهم الذي كان بالغًا ما ينيف عن ستين الفًا احاطوا جيش العرب الصغير واسروا قايدهُ الامر الذي القى الرعب في العسكر العربي فانهم كانوا قصدوا الفرار لو لم يشجعهم رافع بن عميرة بقولهِ ما ذا والى اين الفرار الم تعلموا ان من فرَّ خوفًا يغيظ الله ونبيهُ فان كان قايدكم أُسر ام مات فان الحكم حيٌّ هو فتشجع العسكر وهجم على اليونانيين واقام يحق المهاجمة حتى وصول خالد القائد الكبير مع جيشهِ العظيم

هذا واذ كان (تيودوروس) قد راى اولاً انهُ على نوع ما غالبٌ ذلك الجيش الضعيف اغراهُ الامل حتى انهُ تقدم لمصادمة ما تبقى من الجنود العربية دون ان يستريح بجنودهِ ودون ان يختار معسكرًا مستقبلا ولما التقى بالعساكر العربية صادمها ولم يمضِ برهة الا ورفرف نسر الانتصار على هامات الجنود العربية الذين شتتوا شمل اليونانيين اما المعمعة فقد اخبرنا التاريخ انها جرت في محل يدعى (كانانا) هذا وان العرب ارسلوا فرقة اقاموا قايدًا لها رافعًا وارسلوها لتخليص (دهراريوس) من العدو فهذه الفرقة كدّت بسرعة حتى ادركت القايد المذكور وخلصتهُ من ايدي فرقة يونانية كانت اخذتهُ معها الى انطاكية عاصمة المملكة

وحالاً رجع دهراريوس مع الجنود التي انقذته الى معسكر خالد الذي لم يتبع من فر من اليونان بل رجع وحاصر دمشق اما (تيودوروس) قايد الجنود اليونانية فقيل انهُ توفي قتيلاً لدى اضطرام نيران الوغى وقيل انهُ ذهب ذاك الحين الى القسطنطينية اما (هراكليوس) فلما علم ما جرى بهِ لم يتقدم بنفسهِ لترتيب جيشهِ بل انهُ امر بجمع جيش ولعدم وجود قواد بهم الكفاءة اللازمة التزم ان يسلم قيادة الجيش الى احد الفرس المسمى (فاهان) (وليثودور ترتيريوس) وهذان ذهبا اولاً الى حمص حيثما جمعا من العرب المسيحيين عدداً وافراً من العساكر حتى بلغ عدد الجيش عشرة الاف نسمة وانهما لم يسيرا سويةً الى الشام بل كل منهما سار على حدتهِ وقبل الوصول الى المدينة حدثت موقعة هالك فيها عدد وافر من اليونانيين اما بطوء مسير الفرقتين فسمح لخالد ان يجمع جنودهُ المشتتة وان يطلب مستنجداً باسعاف حصل عليهِ حالاً وهكذا استعد لحرب انتهائية اما مقر وملتقى الجيوش العربية الاسلامية فكان (ادجنادن) محل مركزه على بعد بضع اميال من جنوبي دمشق وللوصول الى المقر التزم خالد وابو عبيدة للمرور من امام اسوار المدينة العامرة واحدث بعض مواقع تستحق الذكر. هذا وان التاريخ اخبرنا ان شقيقين احدهما بطرس والاخر بولس قد عارضا الجيش العربي الاسلامي بسيره غير ان خالداً قطع راسهما اخيرًا وانهُ في اواخر شهر (جولاي) سنة ٦٣٤ تصادمت الجيوش العربية الاسلامية واليونانية في سهل واسع مرمل موقعة على جنوبي دمشق وبهذه المعمعة كانت بعض النساء الاسلامية مدرعة بآلات الحرب وعلى وجوههنَّ سمات البطش وقد انهزم اليونان بذاك الاوان حتى ان فاهان عرض على خالد وابي عبيدة شروط الصلح ولكنهما لم يقبلا وفي غضون ذلك وفد جيش لمعونة اليونان تحت قيادة (تريتوريوس) واشتد الخصام والقتال بين الطرفين حتى رفرف نسر الانتصار على هامات الجنود العربية الاسلامية ولما راى قايد الجيش الجديد انهُ اوشك ان يقع في ورطة الانغلاب طلب الهدنة فاستجيب طلبهُ وفي الغد تصادم الجيشان وعقب مرور خمس ساعات من ابتداء المعركة

ابتدات الجيوش اليونانية ان تنهزم من امام نيران العرب الاسلام الجبابرة حتى انهٔ اخيرًا لما راى المحاصرون انهٔ لا امل لهم بالخلاص وانهم سيضحون فريسة السيف طلبوا الهدنة قليلا ليفتكروا بامر التسليم فرفض خالد ذلك واما ابو عبيدة رضي الله عنهُ فقبل بهِ وغب برهة فتح المحاصرون باب المدينة لابي عبيدة فدخلها هذا ما كان من امرهِ واما ما كان من خالد الذي سبق الكلام عنهُ انهُ لم يرتضِ بسماح الهدنة للمحاصرين فانهٔ دخل المدينة سالاً سيفهُ وكان يبيد كل من يصادفهُ الى ان سكن روعهُ وهكذا تملك المسلمون تلك المدينة وكان ذلك سنة ٦٣٢

هذا وان ما كان جمع في خزاين الشام من الاموال والغنايم تشتت في الملاهي والحروب الاهلية ثم بعد قليل اصيبت سكان دمشق بمرض عمومي اباد عددًا وافرًا منها غير انها ازهرت واشتهرت بزمن الخلفاء بني امية ولكن منذ حكم العباسيين في حكم ابو جعفر المنصور اول الخلفاء او ابي العباس السفاح ابتدات ان تنحط قليلاً وما ذلك الا لكون الخلفاء العباسيين نقلوا تخت الخلافة الى مدينة بغداد ومع ذلك قام بالشام من الابنية والجوامع والسرايات ما ابقى لها ذكرًا مهمًا وقبل سنة مايتين وتسعين للهجرة ظهر القرامطة الذين خلفوا العباسيين وحاصروا مكة واستفتحوها ثم مالوا الى البلدان السورية وابتدأوا ان يفتحوا بعض بلدانها واذ وصلوا الى دمشق الشام ارادوا ان يلقوا الحصار عليها فسلها سكانها فرغبوا في ان يغزوها لو لم يفتدها ذلك الشعب بالقطع الفضية ومع ذلك كلهِ نهب منها قسم وافر اما سمسق فلما افتتح البلدان السورية ووصل الى مدينة دمشق الشام واراد ان يلقي الحصار عليها قدم لهُ اهلها هدايا وزخاير وخيلاً وصكوكًا فيها يتعهدون انهم يكونون دايمًا طائعين وراضخين لقوانينهم وقدموا قطع فضية وغيرها فعفا اذ ذاك سمسق عنهم وسلم حكومة المدينة الى رجل عجمي يدعى ترك واراد ملك شاه بن الب ارسلان ان يقتفي اثار والدهِ فارسل سنة ٤٦٧ هجرية ابن عمهِ سليمان الى سورية واصحبهُ بجيش عديد واما

هو فتقدم الى ما يلي الاكسوس وهكذا كان هذا الملك مهتمًا بادارة جيشين يبعد مركز احدهما عن الاخر نحو الفي كيلومتر فسليمان ابن عم هذا الملك قد بطش في الاقليم السوري وجاوز حدود املاك الملك شاه فانه طرد الفاطميين حتى اواخر مصر واستولى على اعظم مواقع جبل لبنان وانطيليبان واقام حرسًا على ساير حدود بلدان الاقليم السوري واخيرًا افتتح مدينة دمشق الشام وفي سنة ١١٤٨ اكوّن الصليبيون جيشًا روساؤهُ لويس السابع وامراهُ (كونارد) الثالث وبعض اتباعهِ (وبدوين) الثالث وهذا الجيش سار مع رئيس لمحاصرة دمشق الشام الذى كان حاكمًا فيها وقتيئذٍ معين الدين الذي كان على جانب عظيم من الشجاعة فهذا الامير كان عالمًا جيدًا ان تحصين المدينة الكاين من الناحية الشرقية والجنوبية يمنع العدو عن حصول اربهِ وهكذا صار لان الجيش الصليبي حاصرها زمنًا يسيرًا دون ان يحصل على ارب ولما رغبوا في تجديد قواتهم رشى معين الدين بدوين الثالث بمايتي الف قطعة ذهبية وذلك لكي يرفع الحصار عن دمشق وهكذا كان. ثم ان احمد بن طولون الذي كان حاكمًا مصر وسورية من قبل الخلافة رفض ان يدفع الاموال الميرية وهكذا استقل بهاتين الولايتين ثم انهُ توفي فقام ولدهُ الاكبر وعين مركزًا لاقامتهِ دمشق الشام وقاوم بنجاح في بعض مقاومات اضدادهِ وذلك سنة ٨٨٩ وانهُ منذ ١١٧٤ الى سنة ١١٨٣ استفتح الملك صلاح الدين الذي كان متملكًا مصر اغلب البلدان السورية فاستفتح بالمدن المذكورة حمص وحلب والشام وفي سنة ١٤٠٠ استفتحها تيمورلنك قايد جيوش التتر الذي اقام فيها بروجًا مبنية من جثث القتلى وذلك بسبب اهانة صورة من تملك مصر وسورية بحق احد رسل هذا القائد هذا وان بيوتها عديمة المنظر من الخارج واما من الداخل فهي مزينة بالرصايف والنقوش وقد اشتهرت بصنع اقمشة الحرير وصناعة الذهب وكان سكانها قديمًا مشتهرين بصنع وعمل الاسلحة. واما الان فقد فقدت هذه الشهرة وارضها جيدة التربة وهواها يعطل مرارًا نظرًا لكثرة المياه الجارية في كل من شوارعها وقد قيل ان في مياهها سريرة

لدفع مرض الجزام عن اهلها واوافدها ونشأ في دمشق الشام جماهير من العلماء فمن ذاع صيتهم ودوّن اسمهم في صفائح التاريخ منهم الشيخ محمد بن مالك الاندلسي صاحب الالفية المشهورة بالنحو والشيخ محمد الحريري صاحب الحاشية على شرح الفاكهي للقطر وعائشة الباعونية صاحبة البديعية المشهورة والشيخ حسن البوريني شارح ديوان الفارض هذا وانهُ حول هذه المدينة ضياع وقرى كثيرة فان على مسافة ساعة ونصف منها توجد الهامة وعلى مسافة ساعة دمر وهي الان محل اقامة أكابر التجار في الصيف والى شمالها مقاطعة يقال لها جنة عسال نسبة الى مكان يقال لهُ عسال الورد لكثرة وردهِ ومن اشهر قراها صيدنايا التي فيها الدير المختص براهبات طايفة الروم الارثوذكسيين وهو مشهور ببنائهِ وعلوهِ يزورهُ جم غفير يوماً في كل سنة واما مقاطعة معلولا فهي الى الشمال الشرقي وهذه المقاطعة دعيت هكذا نسبة الى قرية حصينة موجودة فيها مبنية على قمة لا يتوصل اليها الا من مضيق مستوعر وفيها دير عظيم لطايفة الروم وحول معلولا عدة من القرى كعين التينة ونجعة وغيرها والى الشمال الشرقي من معلولا مقاطعة يبرود نسبة الى قرية فيها بعض اثار قديمة وفي جوارها راس العين ومعرة باش كردي وفليطا وسحِل والقسطل والى الشمال الشرقي من القسطل النبك وبين النبك والغوطه يسمى الارض التحتية وفي هذه الارض يمر الطريق من دمشق الى بغداد وفي جوار النبك قاره وهما اعدل مكانين في تلك الديار حتى يضرب المثل بجودة هوائهما ومائهما والى شمال شرقي النبك دير عطيه واما الحميره والحفر وصدد ففي المساحة الكاينة بين دير عطية وتدمر وبين تدمر والدير على الفرات الحيكر والطيبة والسخنة وارك ووادي الفرات هناك يسمى الزور وعلى غربي النهر مسكنا والحمام ورصافة هشام والرحبة وغيرها

وفي وادي نهر بردى ومن شاليهِ وجنوبيهِ قرى وضياع كثيرة منها الفيجة التي يخرج منها النهر العظيم الذي يصب في دمشق وبلودان والزبداني وفيها نبع ماء يختلط بماء الفيجة وفي هذه القرى يكثر التفاح والبساتين متصلة من هناك

لدمشق وتلك الديار اكثر البلاد ماء وفاكهة ومنتزهات تقصدها الناس كالصالحية وقارة والنبك ويثرب والربوه والمنشار وبيت راس التي ماتت فيها حباة الجارية المشهورة

وقد دعيت الشام شامًا نسبة الى سام بن حام عليه السلام وهو اول من سكن فيها وكانت تقول العرب من خرج الى الشام نقص عمرهُ وقتلهُ نعيم الشام فانشد ثعلب

يقولون ان الشام يقتل اهلهُ فمر بي ان لم آتهِ بخلودِ
تفرق اباي فهلا مراهم عن الموت ان لم تشئموا وجدودي

ولهذه المدينة باب يلقب بالشرقي وكذلك باب توما وهما شهيران وهي على مسافة ١٢٥ كيلومترًا من جنوب شرقي الاستانة وسكانها من الاسلام والنصارى واليهود . انتهى .

بعلبك

أان بعلبك المسماة في الكتب (هه ليوبولي) اي مدينة الشمس هي بالقرب من انطيلبنان على مسافة خمسة وسبعين كيلومترا من شمال غربي دمشق الشام في ٢٤ ٣ طول شرقي وعرض شالى ٣٣ ٥٨ وخراباتها عديدة ولكن اقل اعتبارًا من خرابات تدمر وعوضًا عن ان تكون محورًا متسعًا فهي مجتمعة بعضها ببعض مكونة حايطًا يبلغ طولهُ سبعة او ثمانية اقدام واذا تسلقنا هذا الحايط على الحجارة الهائلة التي يبلغ اتساع بعضها ثلاثين قدمًا نصل اخيرًا الى تراكم يسبي العقول اذ نشاهد بلاطًا مجروفًا واعمدة مقلوبة وافاريز متفرقة على الارض واقبية وقببًا ليس باقي سوى طرفها وليس بنايات هذه المدينة قد انحطت عن قدرها ولكن نباتاتها التي نراها مدت بعلوها الخالد الصلب ونباتاتها الصغيرة ايضًا التي فصلت ما بين اقوى الاسوار وفرقت حشايشها على اعظم العمارات المرتفعة وسحقت الركايز تقريبًا بهيش جبالها وخرقت الاسقفة برؤوس اجذاع جميزها واختلاط البنا والنبات

هذا يقدم للنظر مرسحا جميلا وان يكن لدى التفكر محزنا اخبرنا هنريون في تاريخه مجلد ا كتاب ٧ سنة ٣٢٧ وجه ٣٤٨ عن هذه المدينة وما اجراهُ فيها الملك قسطنطين الكبير فانهُ اقام فيها كنيسة متسعة وكانت هي الاولى لحد ذلك الاوان ورتب جمهورًا من الاكليروس لخدمتها والكفار اقاموا فيها نصبة على اسم الزهرة الهة العشق والتنزه وعندما قبل الصبغة قسطنطين الكبير امر بهدمها وبناء اخرى باسم والدة الخلاص وارسل لها اسقفا وشمامسة وما زال في هذه المدينة كنيستان احداها على اسم القديسة بربارة وهي بيد الروم والاخرى باسم السيدة بيد الموارنة وعدد سكانها ليس هو الان سوى الف ومائتي نسمة وقد اخذها ابو عبيدة نائب عمر ثم استفتحها تيمورلنك سنة ١٤٠١ وسنة ١٧٥٩ هدمتها الزلزلة القوية هذا وانهُ يوجد بعض اثار قايمة وهيكل قديم وهذه البقايا هي ستة عواميد ضخمة حجرها مصفر بصفار ذهبي واقل بهاء من البلاط وهذه العواميد يظن انها قسم من هيكل كان اولا ولكن هدم بزلزلة فشيد مقامهُ هيكل اخر ولكن اقل اعتبارًا منهُ اما الهيكل المحفوظة بالاكثر بقاياهُ هو الهيكل المبني في زمن انطونيوس وفي سنة ستماية واربع وثلاثين الموافقة للسنة الخامسة عشر هجرية حارب العرب المسلمون بعلبك فاستلموها وما ذلك سوى من عدم ادارة حاكمها هربيس الذي ارتكب الغلط الذي يرتكبهُ اعتياديا اليونان فانهُ بدون تقدير عواقب تقدم لمحاربة العرب المسلمين وكسر قسما منهم ولو كان مفتكرًا بمستقبلهِ لكان قدر ان يجبرهم لرفع الحصار غير انهُ لما تقدم بالمحاربة سد العرب المسلمون طريقة الدخول وهكذا أُسر في خرابات دير كان التجا اليهِ اخيرًا واذ ذاك اجبرهُ العرب المسلمون على امضاء تسليم المدينة فامضى بتسليمها واكد لنا التاريخ ان هذا التسليم كان سهلا خاليا من ادنى ضرر للسكان فانهُ لم يدخل المدينة احد من المسلمين حتى ان قائد الجيوش العربية الاسلامية لم يدخلها بل بقي بالقرب منها بمحل مخصوص حتى استلم القطع الذهبية التي اتفق عليها لدى التسليم . وهكذا سار ابو عبيدة واقام رافعا نائبا عنهُ امام بعلبك وكان هذا القائد شجاعا مامورًا بان لا يتعدى على حقوق

السكان في بعلبك كما ان لا يدع ولا جندياً يدخل المدينة وهكذا كان غير انهُ غب برهة قد جرت المواصلة بين الفريقين بالبيع والشرا واخيرًا لامور دنيوية قتل اليونان قايدهم الشجاع هريس وفتحوا ابواب المدينة لرافع وجنودهِ الذين فيما بعد استولوا على جبيل واللاذقية وطرطوس وانهُ في سنة مايتين وتسعين للهجرة لما استولى القرامطة على اغلب الاقليم السوري وبعد ان استفتحوا مدينة دمشق الشام حاصروا بعلبك التي لم تسلم اولاً غير انها اخيرا دخلتها قواد القرامطة وجيوشها ونهبوها ثم ان سمسق القائد المشهور بعدما استولى على انطاكية وحمص ذهب لفتح بعلبك فضادهُ شعبها وغب ذلك حاصرها واستفتحها بعد ما قتل كثيرًا من رجالها ونسائها وجنودها وقاسى اشد اتعاب الحصار

وليس لها اعتبار الان في تاريخ الاقطار مع انها كانت احصن وامنع مدن العالم وكانت فيها اسواق كثيرة وجوامع وحوانيت وسورها مشهور لدى الخاص والعام وكثيرًا ما سطر وصفهُ السياح في كتبهم الشهيرة وقد دفعهُ السيل الهاطل يومًا ما وطفح على المدينة فهدم منها قسمًا وافرًا واما قلعتها فعجيبة البناء نظرًا لركائزها الضخمة ولاعمدتها الهائلة وحجارتها العظيمة وفيها كثير من الاعمدة مسقوفة بالالواح الحجرية وعليها نقوش كثيرة مختلفة الانواع والاجناس ويوجد لوالب في وسط بعض الاعمدة يصعد منهُ اليها وفيها اثار قصر يدعى قصر بنت الملك وكل هذه الابنية التي ذكرناها يظنها المشاهد حجرًا واحدًا نظرا لاتصالها المحكم بعضًا ببعض ولا يقدر المرء ان يصمت عما يشاهدهُ فيها من العجايب الصناعية الهندسية ومع انهُ لم يبقَ منها سوى ما ظفر على كرور الايام فلا تزال تعد من أشهر الابنية وعجائبها زعم بعضهم ان بانيها سليمان بن داود عليهِ السلام وهو غير موكد وبالقرب منها مخرج الليطاني الذي يضاف اليهِ مياه نهر البرذوني الجاري بين زحلة والمعلقة ويضاف اليهِ نهر يحفوفه ونهر عنجر من الجبل الشرقي وعنجر تدعى عين الجر وبقربها المجدل المدعاة مجدل عنجر تمييزًا بينها وبين المجادل الاخر واكثر اهالي بلاد بعلبك متاولة وحكامها القدماء ال حرفوش وبالقرب من عنجر وادي الحرير وهو يخرق الجبل

الكائن في شرقي عنجر ومسيلهُ يجري الى الغرب ثم وادي القرن وهو مضيق كان مكمناً للصوص ووادي بكه الى جنوبهِ ومسيل كليهما الجانب الشرقي والى جنوب وادي بكة ينقسم الجبل الشرقي الى قسمين غربيهما الجانب الشرقي من النهر الليطاني وشرقيهما ينتهي الى جبل الشيخ والوادي الذي بينهما يقال لهُ وادي التيم الاعلى ومن قراهُ دير العشائر وينطه وكفرفوق وبكنفيا وراشيا ويتصل بهِ وادي التيم الاسفل ومن قراهُ ميمس والكفير وعين جرفا وشبعه وراشيا الفخار والفرديس والجديدة وابل وكوكبا والهباريه التي فيها حيطان هيكل قديم طولهُ ستون قدماً وعرضهُ ثلاثون واما حاصبيا وهي مركز الحكومة فهي اشهر جميع هذه القرى ومركزها في وادٍ تجري من تحتهِ مياه النهر الحاصباني المحاط باشجار الزيتون وهذه المدينة كانت سارية على قدم النجاح قبل حادثة سنة ١٨٦٠ حيثما بلغ عدد سكانها خمسة الاف نسمة وكان الامراء الشهابيون اذ خرجوا من الشهب واقبلوا الى محلات وادي التيم التي منها راشيا وحاصبيا كونها كانت محلات عاصية كما يستدل من اسماء بعض المحلات المجاورة لحاصبيا كراس الحما وكعب الحما وعقدة الحبس

والامراء المذكورون بنوا فيها سراية عظيمة ثم ان الامير اسماعيل الشهابي بنا في اعلى الطبقة الرابعة من هذه السراية قصرًا يكاد ان يكون فاقد المثال فيدخل اليهِ باربع درجات وفي صحنهِ توجد فسقية اما عمارهُ فهو جميل جدًّا فيهِ من الحجر المرمر ما يبهج النواظر اما قنطرتهُ فهي مركبة من ثلاث قناطر محبوكة بعضها ببعض بحجر مخرم من الرخام وتوجد بهِ ايضاً رسوم ابنية جميلة وما يزين هذا المنظر الجميل رونقًا سوى المياه المتلاعبة وسط الفسقية غير انهُ في حادثة سنة ١٨٦٠ هدمت السراية مع القسم الاعظم من القصر واسفل المدينة يوجد مزار للنبي رويبل بن يعقوب وجميع ذلك ما يدل على قدميتها وهي محاطة تقريبًا بالاشجار يشتد فيها البرد احياناً في زمن الشتاء وعلى بعد ساعة وربع منها يوجد مكان فسيح المساحة يسمى القاطع وهو في غاية الخصب وموقعهُ بالقرب من النهر الحاصباني وبالقرب من النهر المذكور ابار معدن الحمر وهذه الابار هي في فسحة

ارض ليست بطويلة وبقرب المدينة خلوات الدروز تعرف بالبياضة انتهبت في ايام خديوي مصر وهذه الخلوات ربما الاشهر هي عند الدروز وبالقرب من جنوبيها على نحو خمس ساعات موضع يقال له تل القاضي وهو موقع دان المسماة في الانجيل قيصرية فيلبس ومن هناك مخرج نهر يجري الى بحرة الحولة والمغارة التي يخرج منها هذا النهر كانت حسبما اخبرنا المورخون لاله من آلهة الرومانيين اسمهُ (بان) ومن ثم دعي ذلك المحل بانياس وهيرودس الملك بنى فيها هيكلاً باسم اغسطوس قيصر لم تزل اثارهُ وقلعة من ابنية المسلمين وكانت تدعى الصبيبة وبالقرب من بحرة الحولة المكان المسمى حولة وهو ملجا للعربان خصب جداً للغاية ومن هذه البحرة يخرج نوع وافر من السمك وقد تكثر الامراض في تلك النواحي وهو معلوم اما جبل الشيخ وهو المسمى في الكتب الدينية جبل حرمون للجنوب الشرقي من اقليم البلان ومن قراهُ عرنه وبيت جن وذنل وقلعة جندل وغيرها والى نحو الجنوب من دمشق وادي العجم ومن قراهُ الجديدة وقطنا وعرطوز وداريا ودير علي او العادلية وصحنايا والى جنوبي وادي العجم مقاطعة الجيدور ومن قراها بواريت ودير البخت ودير العدس والصبين وكفرشمس وغيرها واما ارض الجولان فهي الى شرقي الحولة وطبرية اما ارض حوران هي الى جنوبي دمشق قال امرء القيس ولما بدت حوران والال دونها نظرت فلم تنظر بعينيك منظرا تنقسم الى النقره واللجاة وجبل حوران وهي بلاد يسكنها البدو والغارقون في بحور التوحش الشاسعة اما النقرة فهي سهل واسع ممتد من وادي العجم للبادية ومن غربيهِ الجيدور والجولان وجبل عجلون ومن شرقيهِ اللجاة وجبل حوران وهي مخصبة جداً بالزروع وفيها قرى وضياع كثيرة منها اشمسكين وهي قاعدة حوران كلها ومنها عسان واما اللجاة فهي ارض مستوعرة صعبة المسالك جداً لكثرة الحجارة والصخور وما حولها يدعى لحف اللجاة ومن قراها الشرقية وبراق والصوره ومن الشمالية شعاره وكريم وخبب ومن الغربية جنين واذرع ومن الجنوبية بصر الحريري ونجران ودير الاسمر وام العلق وقاعدة اللجاه داما ومن قراها جدل وسور

وحران وجدبا وسلاخد والخرساه وصميد ودور بني اسرائيل واما جبل حوران فاعلى روؤسهِ يدعى جبل كليب ويظن انهُ كان بركاناً ومن قرى هذه الجبال الجنينة وعره وعزه وشهبا وغنبل وقنوات والى شرقي جبل حوران ارض البثينة قيل انها كانت ملكاً لايوب الصديق عليهِ السلام ومن قراها البتينة ودومه وعيون ومجدل وصلخد وهي ذات قلعة مرتفعة وليس وراء عملها من جهة الجنوب والى الشرق البرية واكثر ابنية هذه البلاد متينة وفي بصرى بيت ينسب الى سركيس الراهب مركب من خمسة حجارة اربعة منها حيطان والخامس سقف واكثر بيوتها تحت ابيات اخر عميقة في الارض واصعب اراضيها الوعرة التي تحصنت فيها الدروز ضد ابرهيم باشا وهي في ارض مستوعرة لا يدخل اليها الا من مضيق حرج كثير المكامن في الجانبين واهل البلاد عرب ودروز ونصارى متبدية ايضاً في الملابس والعوايد واكابر الدروز هناك بنو حمدان اصلهم من قرية كفرة في الغرب الاعلى من جبل لبنان . اما مقاطعة جبل عجلون فمشتملة على الاراضي الواقعة بين نهر اليرموك شمالاً ونهر الزرقاء جنوباً تنقسم الى ثمانية اقسام الكفار والسرو والجهامة ويقال لها ايضاً البطين والواسطية وبنو عبيد والكور وجبل عجلون المعراض واما دارة وابيلا واربيلا فهي في حيز الخراب ومحنة وراحب وقلعة الربض وتدعى الباعوشة هي الى غربي قرية عجلون وجرش التي اكتشف خراباتها السائح (ستزن) في جنوبي بصرى على بعد اثني عشر ميلاً وكل من طالع التاريخ يعلم ان هذه المدينة المعروفة باسم كراسه سابقاً قد اشتهرت اشتهاراً فائقاً وهي لا تبعد اكثر من ساعتين عن صوف ومركزها في بقعة مخصبة يستوسطها نهر جميل وقبل ان يدخل اليها ينظر عدد وافر من القبور ومن هذه القبور قبر مكتوب عليهِ باليونانية ومع ان سورها في حيز الدمار لم يزل يشاهد كل طولهِ وكانت حجارتهُ بلا شك عظيمة ومن ناحية النهر فسحة للبلد عظيمة وقد انبانا هذا السائح انهُ نظر جملة من المحال العامة المتقنة الصنعة منها محلان كان كل منهما (امفي تياترو) من الرخام المتين بالاعمدة التي لم يوثر فيها كرور الزمن بل لم

تزل قائمة وبعض سرايات وثلاثة هياكل احدها كان له اثنا عشر عمودًا التي لم يدمر منها سوى واحد وفي غيره يوجد عمود مطروح يعد من اجمل صناعات المصريين واحد ابواب المدينة المركب من ثلاث قناطر المزين بالنقوش لم يزل محفوظًا ويوجد في هذه المدينة طريقان طويلتان منعطفتان بين صفين من اعمدة الرخام احداها محاطة بستين عمودًا وحيثما تنعطف الطريقان يجد في كل من الاربعة الزوايا قواعد على طول الانسان وعلى ما يستدل انها كانت مختصة بتماثيل ويوجد قسم كان مرصوفًا بالاحجار الصغيرة فحسبما اخبر السائح المذكور انه عدّ منها مئتي عمود ولم ينظر سوى نصف المدينة لان النصف الثاني في الناحية البحرية وجرش هذه هي كراسا القديمة من مدن زكابولس اي العشر مدن واطلق على هذه المدينة اسم جلعاد وفيها كنيسة من عهد الصليبيين تسمى (جاراس) وبقرب قرية عجلون الى جهة قلعة الربض وتسمى الباعوشة ايضًا والى جنوبي نهر الزرقا الى النهر الموجب البلقا وشماليها جبل الصلط وليس فيها محل مسكون الا قرية الصلط ومن اماكنها القديمة جلعاد وعمون وهي الان عمان وحشبون وهي الان حسبان والعال ونبا وماعين وعراعر وذيبان وفي جنوب هذه المقاطعة كانت قديمًا ارض بني عمون والجنوبي النهر الموجب وهو نهر ارنون ايضًا الى الاحسا ارض الكرك وهي ارض مواب او ارض قوم لوط ومن قراها الكرك وهي قير مواب وربة وهي ربة مواب وزعرا ويقال انها صاغر

ثم البصرى وهي من اشهر بلاد حوران التي مركزها الى جنوب شرقي دمشق قال ابو الفدا انها كانت من ديار بني مره وقد ذكرت في التاريخ تحت اسم بوسترا ولا يعلم المحققون تمامًا زمن بنائها وقدميتها وقد اخبر التاريخ ان الملك ترجانوس الذي تولى سنة ٩٨ للمسيح اخذ هذه المدينة واقام عليها محافظين وذكر اسقفها في عدة مجامع وخراباتها التي هي على هيئة كروية تمتد من الشرق للغرب وهي اشهر البنايات وكل هذه الاثار منذ عهد القياصرة الرومانيين قيل انه يوجد فيها جامع كبير منذ عهد اوائل الاسلام وقلعة حصينة جدًا

فينيقية

يسمح لنا المطالع ان نتكلم قليلاً عن اقليم فينيقية وما حاز اهلهُ قدماً من الاشتهار قبل ان نبتدي بالكلام عن تاريخ مدنها فنقول . . . انهُ قد اختلف المورخون في تحديد تخومها فمنهم من قال انها تبتدي لجهة الشمال من نهر (بالانيا) اي نهر بلنياس حيث قلعة المرقب فتمتد طولاً لجهة الجنوب من وراء جبل الكرمل الى قلعة الغرب المعروفة الان بالطنطورة (وهي دورا القديمة في بلاد نابلس) وعرضاً تمتد من شرقي البحر المتوسط من وراء لبنان ودمشق حتى بادية العرب وحسب جغرافية بطليموس هي البقعة الواقعة بين الطنطوره الى جنوبي راس جبل الكرمل والنهر الكبير لشمالي طرابلس واذا اتبعنا التاريخ الموسوي نرى ان (صيدون) اي صيدا الان كانت اقصى تخم فينيقية الشمالي وغزه اقصى تخمها الجنوبي غير انهُ يقول لما كان الفلسطينيون قد ابتدأوا منذ ايام ابرهيم ان يزاحموا الفينيقيين المستوطنين في الجهة الجنوبية حتى دفعوهم رويداً رويداً نحو الشمال الى دورا اسمي الطنطورة وجب ان نجعل هذه المدينة الاخيرة حد تخم فينيقية الجنوبي وتخوم الفينيقيين لجهة الشرق كانت غير معلومة وعلى ذلك تكون مملكة الفينيقيين قد انحصرت في رقعة ضيقة من الارض ممتدة من شاطي البحر الى قاعدة الجبال من جهة الغرب وهي حسب الجمهور تقسم الى قسمين بحرية ولبنانية فالبحرية تشتمل على مداين وهي صور عكا حيفا صيدا بيروت لاذقية جبيل بترون طرابلس طرطوس ومدن اللبنانية دمشق بعلبك عرقا عكار وبانياس واما اسمها فاختلف فيهِ فذهب بعضهم الى انها دعيت اقليم فينيقي نسبة الى فينيكس اخ قدموس وذهب اخرون الى ان هذا الاسم تفسيرهُ بالفينيقية نخيل فدعي بهِ هذا الاقليم لكثرة النخل بهِ واما مدن فينيقية حسب التاريخ الموسوي فهي دور وعكا واكزيب وصور وصرفند وصيدون وبيروت وجبيل والبترون وعرقا وارواد وجبله وزمره وطرابلس واللاذقية وربما مدن اخرى وذهب بعضهم الى ان جبيل

كانت اول مدن فينيقية وخالفة بعضهم مدعيًا بان صيدون هي الاقدم وهو المرجح كما يستدل ذلك من كلام يعقوب ابي الاسباط وهوميروس الشاعر المشهور هذا ولا يقرر التاريخ عن الاماكن التي اتى منها الفينيقيون اولاً ونرى المورخين في سكوت عن شيء اخر وهو هل هم اول من سكن فينيقية بعد الطوفان او وجدوها معمورة فان كانوا وجدوها معمورة هل طردوا سكانها ام تغلبوا عليهم وسكنوا بينهم فهذه مسائل مجهولة ويبين ان اسمهم القديم كنعانيون واسم بلادهم كنعان ولم يصل الينا ولا تاليف من قلمهم به يخلد ذكرهم وقد اضمحلوا حتى انهُ لم يوجد منذ الف وخمساية سنة احد ممن يوجد فيهِ نقطة من دم فينيقي والان نذكر الانهر التي في فينيقية فمنها الاردن والارنط المعروف بالعاصي وفيسون الذي يصب قرب الكرمل والليطاني. وهو الفاصل بين بلاد بشاره وبلاد الشقيف ويدعى القاسمية عند مصبهِ بقرب مدينة صور ومخرجهُ من بلاد بعلبك مارًّا في سهول البقاع وجنوبي لبنان وشمالي صور ونهر الاولي شمالي صيدا والدامور وهو تاميروس باليوناني بين بيروت وصيدا كثيرًا ما تجتمع به في اوان الشتاء المياه الغزيرة والماغوراس اي نهر بيروت الذي يصب بقرب مدينة بيروت شمالاً في الخليج المسمى بخليج ماري جرجس ونهر الكلب ويدعى (ليكوس وسبرى) وقد اقام الملوك الرومانيون وخاصة الملك انطونيوس الحليم الذي تولى المملكة الرومانيــة بعد المسيح بماية واربعين سنة جسرًا لهذا النهر فهدم فنهض سنة ١٢٩٢ سيف الدين بن الحاج ارقطاي المنصوري الناصري وامر بعمارة جسر اخر هايل حضر الافرنج في عمارتهِ فاستقام زمانًا ولما هدم اقام الامير بشير الشهابي بن الامير قاسم بن الامير عمر بن الامير حيدر جد الامراء الشهابيين الموجودين بلبنان جسرًا اخر غيرهُ فوق المكان الذي كان فيهِ سنة ١٨٠٩ وهو ثابت للان ثم نهر ادونيس اي نهر ابرهيم ونهر قاديشا وبالانيا ونهر غكار ونهر عرقا والبارد ونهر ابروش الذي يتفرع منهُ النهر السبتي عند اليهود والنهر الكبير وهو الفاصل بين جبال النصيرية وجبل لبنان الى جهة الشمال ونهر سين جنوبي جبلة وانهر ونهيرات اخر كثيرة لا حاجة

الى ذكرها هنا ونقول ان رحل الفينيقيين في افريقيا وما عمروا من المدن والاقاليم هو ما يكشف عن وصفهِ كل بارع لبيب فمن مصر الى اقصى المغرب الاقصى ازدحمت منازلهم وكثير من المدن في (ليبية) حيث طرابلس وفي (نوميديه) حيث اسلامبول وبعض مملكة تونس وفي فاس والمغرب الاقصى حتى الصحراء ومن غرائب ما يحكي عن ارتحالاتهم انهُ وجد ما بين سكان اميركا القدماء انفسهم قومًا من الفينيقيين

واهلها من ذرية حام بن نوح عليهِ السلام اختلطوا مع ذرية سام قيل ان كدموس ابن ملك فينيقة ارتحل الى المورة وهناك بنى مدينة (تيبس) وعلّم اهل المورة غرس الكرم ثم ان الفينيقيين هم الذين استنبطوا فن سفر البحر وبذلك يشهد لهم المؤرخون باتفاق قال بوجولا السائح المشهور ترى من تجاسر ان يطرح نفسهُ في بحر يهِ تتلاطم الامواج على دفة من خشب سوى اهل فينيقية وهم الذين استنبطوا الحروف الهجائية وافادوا بذلك جميع الاقطار وقد استنبطوا عمل الزجاج واشتهروا في عمل الصباغ ولا سيما في لون الارجوان وبنوا في شمالي افريقيا مدينة قرطاجنة التي اشتهرت بالثروة وبنوا في جنوبي اسبانيا مدينة قادس ومدنًا اخر وهم الذين توغلوا في سفر الابحار اذ خاضت عماراتهم لجج البحور فتاجروا في الهند وفرانسا واسبانيا وانكلترا وما بينهم نُظّار اعظم الملاحين واشهرهم وسليمان عليهِ السلام حينما ابتدأ ببناء هيكلهِ في القدس الشريف جلب بنائين من صور وهم اسسوا بعلبك حيث توجد حجارة طولها نحو ثلاثين ذراعًا وارتفاعها نحو سبعة اذرع والحاصل نرى ان هذا الشعب هو الاول بين شعوب الكرة الارضية تجارةً وحذقًا وفطانةً واما ديانتهم فكانوا يعبدون الاصنام كبعل اله الشمس وعشتاروت الهة الحسن وكان عندهم غلام جميل المنظر جدًا يدعى تموز قتل في الصيد فتاسفوا عليهِ جدًا ودعوا الشهر الذي قتل فيهِ شهر تموز وبقي هذا الاسم ليومنا هذا واما لغتهم فكانت كاللغة العبرانية ولم يوجد الان لها اثر وقبل المسيح بنحو الف وخمساية سنة استفتح سوزوسترس ملك مصر اقليم فينيقية وكتب تاريخ

افتتاحها على بعض الصخور عند نهر الكلب وكان ذلك قبل خروج بني اسرائيل من مصر بسنين قليلة وكان دخولهم ارض الميعاد قبل المسيح بنحو الف واربعماية وخمسين سنة وبعد ذلك بنحو سبعماية وخمس وعشرين سنة اتى سنحاريب ملك الاشوريين وفتح فينيقية وحاصر صور نحو ثلاث عشرة سنة وخرب المدينة القديمة المبنية على البر وبقيت المدينة المبنية على الجزيرة فقط وقد بقيت فينيقية تحت سلطة ملوك نينوى و بابل الى ظهور اسكندر الكبير الملقب بذي القرنين الذي خضعت له البلاد عدا صور فحاصرها وردم البحر الفاصل بينها وبين البر باخشاب وحجارة من بقايا خرابات صور القديمة وجاز عليها فهدم المدينة واحرقها وقتل خلقاً كثيراً وبعد وفاة الاسكندر دامت فينيقية في ايدي خلفائه تحت ولاية مصر وغالباً تحت سلطة ملوك انطاكية ثم انتقلت الى الرومانيين وفي سنة ٦٥ قبل المسيح صار والي سورية وفينيقية وفلسطين من قبل الرومانيين وبقيت في ايدي الرومانيين سنين كثيرة وعمروا البلاد وفي سنة ستماية واثنتين وثلاثين مسيحية ارسل الخليفة عبد الله جنوداً لافتتاح سورية فافتتحوا بعد الحصار دمشق ثم بعلبك وحمص وحلب واورشليم وقيسارية وانطاكية فكانت دمشق اذ ذاك عاصمة سورية وانتقلوا الى بغداد. وفي سنة ١٠٩٩ اتى الصليبيون واستخلصوا اورشليم من المسلمين وتملكوا جميع شاطي البحر وصارت فينيقية بيد الافرنج وقد قسم الافرنج هذه البلاد فيما بينهم واقاموا احد امرائهم ملكاً على اورشليم وجرى بينهم وبين المسلمين حروب كثيرة الى ان انتصر عليهم صلاح الدين يوسف الملك الايوبي سنة ١١٨٧ للمسيح ورجعت فينيقية تحت ولاية المسلمين وفي سنة ١٤٠٠ غزاها تيمورلنك قائد جيوش التتر وفي سنة ١٥١٦ حارب السلطان سليم العثماني متملكي البلاد واستولى عليها وفي سنة ١٧٩٩ قدم بونابرت بجيوشه وحاصر عكا التي كان مستولياً عليها احمد باشا الجزار فلم يقدر على افتتاحها فتركها وانصرف الى بلاده وفي سنة ١٨٣١ اتى ابرهيم باشا بجيوش كرارة وحاصر عكا تسعة اشهر واستولى عليها في اليوم الحادي والعشرين من شهر ايار ورويداً

رويدًا استولى على جميع سورية غير انهُ في سنة ١٨٤٠ حضرت العساكر البحرية فتسلمت المدن وبرهة يسيرة اسلمت عكا فرجع ابرهيم باشا الى مصر وصارت سورية مع فينيقية تحت ولاية السلطان عبد المجيد العثماني الذي خلفهُ السلطان ابن السلطان السلطان عبد العزيز خان سلطاننا الحالي ادام الله تعالى ملكهُ

فمن يطالع هذه الزبذة المختصرة بلا شك يتعجب من كثرة الملوك الذين شنوا الغارة على فينيقية وافتتحوها وتشهد لنا بذلك الآثار التي وجدت في بعض بلدان هذا الاقليم فانهُ في بعض قرى جبل الشوف وجد صنم اشوري وفلوس ضرب خلفا الاسكندر وفلوس قيصرية ورومانية واخرى عربية اسلامية ثم تركية عربية ورؤوس سهام ورماح وبالاختصار قد وجد القوم آثار كل امة استولت على هذه البلدان ما عدا آثار الافرنج الصليبيين. ويوجد على صخور نهر الكلب صوَر تذكرنا غلبة المصريين القدماء وولاية بني اشور ويوجد صخران احدهما مورخ باليونانية يخبر عن اصلاح عساكر رومية الطريق والآخر يخبر عن افعال السلطان سليم في هذه البلاد وما يشاهدهُ المتامل من الرسوم القديمة في كل من بلدان هذا الاقليم هو عجيب كاساسات الحصون والرسوم والاعمدة الموجودة بمينا بيروت وخارج المدينة فما على المرء الا التامل بالماضي ومقابلته اياهُ بالحالي

اللاذقية

هي على ريف البحر المتوسط من الناحية الشمالية تبعد مسافة ١٢ ميلاً عن جبلة و٤٨ ميلاً عن انطاكية وهي في درجة ٣٥ ودقيقة ٣٥ من العرض الشمالي ودرجة ٣٢ ودقيقة ٤٢ من الطول الشرقي وهي على الشمال الغربي من راس داخل في البحر ويوجد ما بين المينا والمدينة نحو نصف ساعة. روى ابو الفدا بانها ذات صهاريج ومركزها على ساحل البحر ولها مينا جميلة واما دير الفاروض الموجود فيها فهو حسن البناء وحسبما يستدل انها قديمة جدًّا وتشهد

بذلك اثرها الشهيرة فكانت من المدن المعتبرة سابقًا وكانت مركز اقامة التنوخيين وفيها توفي الامير محمد بن اسحق التنوخي وذكر ذلك في جملة تواريخ وقد رثاهُ ابو الطيب المتنبي في هذه الابيات واولها

انّي لاعلم واللبيب خبيرُ   ان الحيوة وان حرصت غرورُ

الى ان يقول

والشمس في كبد السماء مريضةٌ   والارض واجفة تكاد تمورُ
وحفيف اجنحة الملائك حولهُ   وعيون اهل اللاذقية صورُ

قيل ان (لاوديس) ام سلوقوس نيقاتوروس قد بنتها فسميت (لاودية) اي لاذقية وقيل ان سلوقوس المذكور لما جدد بناءها دعاها باسم والدتهِ وذهب جان وابز اميرا الى انهُ هو بانيها ويوجد عدة مدن مسماة بهذا الاسم منها لاذقية ليكم المسماة قبلاً (ديوسبولس) ثم لاذقية روهاس وهي الان المدينة المدعوة اسكي حصار في فريجيا ثم لاذقية كامبوسنيا واليوم لادبق في ليكاونيا ومركزها على بحيرة في ارض فولكانية ولاذقية بيسيديا ثم لاذقية لبنان وكانت بين حمص وبعلبك

اما اللاذقية التي نحن بصددها فدعيت لاذقية العرب تمييزًا بينها وبين غيرها وكان اسمها قديمًا (راماثا) اي المرتفعة وذهب بعضهم الى انها دعيت راماثاس مركبة من راما واتاس وتاويل ذلك الاله السامي مذ وقعت كباقي المدن السورية تحت سلطة الرومانيين وقد سلم الديوان الروماني هذه المدينة الى كاسيوس عند وقوع خلاف بين حزبي قيصر وبروتوس فقاوم اهلها كاسيوس الذي حاصرها وافتتحها وبعد وفاتهِ عفا خلفهُ السكان من الجزية وروى (لاكوبان) ان يوليوس قيصر هو الذي جعلها حرة ودعاها بولية باسمهِ وساويروس اوغسطوس سبتيموس منحها الحق الممنوح للمدن الرومانية وابطل امتيازات مدينة انطاكية العظمى نظرًا لانعطاف اهلها نحو بشيانيوس نيجر احد اعدائهِ فارسل نيجر المذكور جنودهُ الى اللاذقية واخربها ثم انتصر عليهِ ساويروس فدعا اللاذقية سبتيميا الساويرية ودُعي اهلها سبتيميين نسبة اليهِ

وآمن سكانها بالمسيح في مبتدإ الانذار به واوشيوس كان اول اسقف عليها ومن اساقفتها اناتوليوس الذي اخبرنا عنه ماري ايرونيموس واوسابيوس اذ قالا انه اشتهر بالفضائل السامية والعلوم الفلسفية وخلفه جاورجيوس وهذا تخلف تاودوروس ثم ابوليناريوس الذي قاوم بورفيريوس المنافق واشهر ما ينيف عن ثلاثين كتابًا محاماة عن الكنيسة وعد لاكوبان من اساقفتها ثمانية عشر اسقفًا

افتتح المسلمون هذه المدينة في سنة خمس عشرة للهجرة النبوية الموافقة لسنة ستماية وسبع وثلاثين مسيحية وذلك رواهُ ابو الفدا ذكر البطريرك اسطفانوس ان الافرنج الصليبيين لدى افتتاحهم اياها سنة ١٠٩٩ استفكوا منها الاسرى وروى بتاريخ سنة ١١٢٠ ان الملك بلدونيوس اعطي ابنة جبلة باللاذقية وبالقرب من هذه المدينة حدثت المعمعة التي كاد ان يقتل فيها الملك لويس السابع ملك فرنسا المتوجه بالصليبية سنة ١١٤٧ وفي سنة ١١٨٨ اخذها من الصليبيين الملك صلاح الدين الايوبي وذلك دونه المقريزي في كتاب الخطط ثم استرجعها الافرنج وذكر في مختصر تاريخ العثمانيين ان الملك قلاون في سنة ١٢٨٦ اخذها منهم وسنة ١١٥٧ وسنة ١١٧٠ هدمت الزلازل منها قسمًا وافرًا

قال ابن بطوطة في كتابهِ تحفة النظار انها بلدة قديمة على ساحل البحر زعم بعضهم انها بلدة الملك الذي كان ياخذ كل سفينة رغمًا وقال ان بخارجها دير الفاروض وهو اشهر اديرة بر الشام وكان لمدينة اللاذقية قديمًا تجارة بالخمر اما الان فبالتتن الذي يجلب اليها من الاماكن التي في جوارها ولها متجر بالقطن والحرير والسمسم والحنطة والشعير والذره والزيت والعسل والسمن والشمع والصوف وبما انها ربما مجاورة لاراضي فولكانية كثيرًا ما نسمع عن حدوث زلازل فيها واما اهلها فهم من كرم الاخلاق ومحبة الغريب على جانب عظيم فيبلغون نحو اربعة الاف نسمة واما راس ابن هاني مزار النصيرية فليس ببعيد عنها وبالقرب منهُ توجد منارة للمراكب الخايضة لجج البحور ثم راس البسيط وبين هذين الراسين كانت مدينة هرقلية ومدينة بوسيديون كانت في محل البسيط

وهاتان المدينتان كانتا قبل اللاذقية واما مدينة نبتايوم فكانت شمالي الجبل الاقرع او الاسود المدعو قديمًا كاسيوس وعلى ما قبل ان ارتفاع هذا الجبل عن البحر الف وتسعماية متر مما يحكى عنهُ ان الواقف على قمتهِ يقدر ان يشاهد الليل والنهار معًا باشرافهِ على كل من طرفيها وذكر ذلك بلنيوس المورخ ورغب الملك ادريانوس اختبار ذلك فمنعتهُ عواصف شديدة وعندما استفتح السلطان سليم الاول سورية سنة ١٦١٥ دخلت اللاذقية تحت ولاية الدولة العلية العثمانية ثم لما تساطا ابرهيم باشا على مدن الاقليم السوري استولى عليها وفي سنة ١٨٤٠ رجعت للدولة العلية العثمانية قال مولف سورية وهو داود المورخ المدقق في احوال البلاد الشرقية ان اليونانيين حيثما وُجدوا كانوا يتحدثون بجودة خمر اللاذقية التي هي حسب رايهِ المدينة الثالثة التي بناها سلوقوس نيقاتوروس ودعاها باسم والدتهِ كما تقدم ومركز ميناها امين من هول العواصف

وكانت ترسو فيها في زمن اشتهارها مراكب عديدة حتى بلغ عددها احيانًا المائة ويقول انا نرى الامم التي تولت هذه المدينة مختلفة الاجناس ومع ذلك ما كملوها ولا اعادوا لها رونقها الاول بل سقطت عواميدها القرنتينية واحدة فواحدة والان قد زاد تاخرها بسبب عدم الاهتمام بها فانا نرى كثائب رمل البحر المتوسط تغمر يومًا بعد يوم تلك الميناء التي طالما كد بتحسينها فطاحل فرسان سالف الزمان وبالحقيقة ان المرء يتاثر لدى مشاهدتهِ هذه المدينة التي كانت من اشهر المدن اليونانية واقفت جفلى مما فعلتهُ بها يد النوائب تترنم بصدى اسمها الشهير سكرى من خمرة التقلبات التي طرات عليها

جبلة

ان مدينة جبلة هي الى شمال مدينة بلنياس وعلى مسافة اربعة وعشرين ميلًا منها واثني عشر ميلًا من اللاذقية وقد اشتهرت في سالف الزمان وخصوصًا في زمن سطوة الرومانيين غير ان كرور الايام وشدة التقلبات لم تبقِها على حالها

فانها قد نزلت عن قدرها السامي وامست بلدة صغيرة ذكر ابو الفدا في الجغرافية ان جبله بلدة صغيرة ولها مزار وقد اشتهر انهُ قبر ابرهيم بن الادهم قال في المقريزي ومدينة جبلة اكبر من مدينة بلنياس وما يظهر من مولفات المتاخرين انهُ لا يوجد فيها الان ما يستحق ان يذكر سوى جامع قد بناهُ السلطان ابرهيم مع اثار ساحة يظهر انها كانت محلاً للملاعب اليونانيين وهذا المكان هو على شكل قوس دائرة مقاعدهُ صفوف حول الساحة المتوسطة وكل صف مرتفع عما تحتهُ ونصف قطر الدائرة نحو ١٥٠ قدماً ومحيطها الخارجي ٤٥٠ وتوجد المرابض التي كانوا يضعون فيها الوحوش المستحضرة للملاعب المرسومة تحت المقاعد

ذكر في التاريخ ان ابا عبيدة افتتحها مع قسم وافر من المدن السورية في سنة خمس عشرة هجرية الموافقة سنة ٦٣٧ للميلاد وما تكلم به تاوادوريطوس عنها انها بلدة ذات منتزهات بها تنفى هموم المشاهد في سنة ١٠٩٩ تملكها الصليبيون الذين امتدت بينهم المخاصمات في ذالك الاوان المسببة عن الطمع في القبض على زمام الرياسة وروى المقريزي في الخطط وابو الفرج بن العبري في تاريخ الدول ان الملك صلاح الدين الايوبي اخذها منهم سنة ١١٨٥ ثم استرجعها الافرنج وفي سنة ١٢٨٣ كان غوبي المتولي عليها اذ ذاك يحاول ويهتم بافتتاح مدينة اطرابلس وروى ذلك ميشور في تاريخ الصليبيين وفي سنة ١٦٢٤ صدرت الاوامر من الباب العالي بتنصيب الامير فخر الدين معن المشهور واليًا على ساير مدن عربستان من حلب حتى اورشليم فزار اذ ذاك الامير المذكور مدينة جبلة حيثما قدم لهُ اهلها ما يلزم من وفور الاحترام واهداء المتوجبات واهل جبلة الان نحو ثمانية الاف نسمة هذا وانهُ توجد سهول مخصبة بين جبلة وطرطوس وهي واسعة وقديمة تشهد بثروة السكان السالفين

قال مولف سورية المقدسة وهو داود الشرقي اذا توجهنا شمال مدينة بلنياس ننظر اثار مآذن بيضاء تبشر القادم بوصولهِ الى مدينة جبلة المشهورة سابقًا وخصوصًا في زمن السطوة الرومانية وانهُ في وسط المدينة توجد عين ماء

منها تندفق المياه الجميلة وفوقها مسطر باحرف ذهبية اية من القرآن الشريف وهي بسم الله الرحمن الرحيم الى ان يقول واذا اتبعنا هذه الطريق الضيقة نصل الى المينا فهناك نشاهد اناسًا واقعين تحت حمل الاشغال الثقيلة مسرعين فلا يشاهد المتامل سوى راحات مرفوعة نحو الجبهة دلالة على السلام الى عابري الطريق ثم تنظر حمالين ايضًا حاملين اشياء مختلفة وبالاخص رزم قطن ثم بستانجية متربعين وبفيهم الشبق او الغليون جالسين بالقرب من ساحة فيها البطيخ والخيار وشبانها تقريبًا عراة بكبران احمر وبحزام متسع متسلحين بالطبنجات او الخنجر ولا بد ان المرء يلاحظ قبح اللفظ وشناعة الكلام الذي يستعملونه فان كلامهم غير مصحح ابدًا ومنه ما ليس تقبله حاسية السمع وهذه المدينة الان هي بلدة صغيرة وليست ذات اعتبار كالمدن المجاورة

طرطوس

ان هذه المدينة المسماة قدمًا انترواد اي تجاه ارواد هي بالحقيقة الى الجهة الشمالية من الجزيرة المذكورة ومع اننا اذا طالعنا التواريخ نرى انها قد عادت في سالف العصر في ساحة ميادين التقدم اذ امتطت جواد النجاح نراها الان راكبة اعرج التاخر والهوان اذ انها ربما هي التي دعيت قدمًا ارتوسيا وخالف ذلك اخرون وروى تيريوس ان اصلها كارواد ودون ذلك مولف سورية واما ابو الفدا فيدعوها انطرطوس وبناء على ذلك يكون اسمها الحالي منقطع منه وقد هدمت مرارًا كثيرة وفقدت ما كان لها من الاهمية رغمًا عن جد وكد اهلها الذين رغبوا في ان يرجعوها الى حالتها السالفة ولم يقدروا وذكرها كثيرون من المورخين كاسترابون المورخ المشهور واتفق راي الاكثرين على قدميتها خلافًا لما توهم بوجولا في كتابه مراسلات الشرق روى اكليمنضوس الاسكندري ان بطرس لم ينذر بها في الايمان وقد قيل انه بنى فيها معبدًا باسم والدة الخلاص

كان مشتهرًا جدًّا حتى ان الناس كانت تتوارد اليه من كل صقعٍ ونادٍ واشتهر عدد وافر من اساقفتها واخصهم كرتاريوس واسكندر ونونوس الذي امضى الرسالة المرسلة للملك لاون وقيل انهُ كان لها ولارواد اسقف واحد وفي السنة الخامسة عشرة للهجرة الموافقة لسنة ٦٣٧ افتتح هذه المدينة القائد الشهير ابو عبيدة وكان اذ ذاك حضرة عمر بن الخطاب كما دون ذلك في اشهر كتب المورخين وفي سنة ١٠٩٩ لدى اجتياز الصليبيين الى مدينة اورشليم افتتحوها وتولاها اذ ذاك الكافلير رايمون وروى المقريزي مولف تاريخ القطر المصري في كتاب الخطط بان الملك صلاح الدين الايوبي اخذها من الافرنج سنة ١١٨٥ ولم تمضِ برهة من الزمان حتى استرجعوها منهُ الى ان اخذها منهم صلاح الدين خليل احد ملوك الدولة التركية في مصر سنة ١٢٩٠ واخذها بطرس لوسينيان في سنة ١٣٦٦ قال مولف سفر الاخبار انهُ لم يزل فيها اثار برج من ابنية الصليبيين والى الناحية الجنوبية يوجد كنيسة هي لا شك قديمة جدًّا اذ اخبرنا المورخون انها لم تزل قايمة منذ الجيل الثاني عشر غير انها الان ماوى للمواشي ولا نعلم اذا كانت هي الكنيسة المنوَّه عنها في سفر الاخبار انها من ابنية اهالي الجيل السادس وهي الان قريبة من الخراب واهلها نحو ستماية نفس وهم يسكنون في بيوت داخل قلعة واسعة وهذه القلعة ربما كانت من ابنية اهل فينيقية قال مولف سورية انهُ اذا تركنا مدينتي المرقب وبلنياس وقطعنا بضع بحيرات نصل الى مدينة طرطوس او اوركوسياس القديمة وان هذه المدينة الصغيرة تقدم للمتامل منظرًا معاكسًا منظر مدينة جبلة الحالي لاننا ننظر المراسم باختلاف كلي والسكان الذين يسكنون طرطوس والمحلات المجاورة هم روم ولاتينية وبعض من الارمن الذين يتعاطون الصيرفة هذا وان ليس فيها حكومة متصرفية بل يوجد فيها نائب وطرطوس هي من جملة المدن التي قلبتها يد النوائب فانزلتها عن سامي قدرها واما بناؤها فلم ياتِ بتاريخهِ احد من المورخين سوى مولف القاموس العمومي اذ قال انها بنيت في الجيل الخامس انتهى

وعلى ما يظهر انهُ لم يعلم احد من بناها وهي على مسافة اثنين وستين كيلومترًا من شالي مدينة طرابلس ثم توجد مدينة اخرى تدعى طرطوس وهي في اسبانيا على مسافة اربعماية وعشرة كيلومترات من شمال شرقي مدريد عاصمة اسبانيا

وفي تلك النواحي على بعد ساعة ونصف من طرطوس توجد اثار خرابات مدينة مرانوس من مدن فينيقية وهي تدعى عمريت او امريت وهذه المدينة هي غير مسكونة الان لكن يوجد اعمدة قديمة شاهدة على قدميتها وعلى مسافة ست ساعات من شمال شرقي مدينة طرطوس توجد قلعة المرقب قال ابو الفدا المرقب حصن او قلعة احدثها المسلمون سنة ٤٥٤ هجرية وهي قلعة حسنة البناء منها يشاهد البحر وبلنياس اسم لبلدتها والمسافة الكائنة بينهما هي فرسخ تقريبًا اما هذه المدينة فهي نزهة المنظر فيها رياض واشجار وانواع الفواكه المختلفة اما الان فالمرقب هي اسم قرية في جوار القلعة المسماة بهذا الاسم ومدينة بلنياس على ساحل البحر الى الشمال منها وكرور الايام لم يبقِ سوى اثار طفيفة لهذه المدينة .ذهب بعضهم الى ان المرقب في المساة مارانوس وماراكيا وخالف ذلك بعضهم ويستدل من تواريخ ماراتيوس انها كانت في زمن المورخ استرابون دمارًا وقد اقتسم اراضيها بعد حرب حدثت بها اهالي ارواد وعد استرابون ما بين مدينة اللاذقية والنهر الكبير عدة مدن صغار منها ارتوسيا لعلها طرطوس و بلنياس وسيميريا وغابالا وهي جبلة وقد اقام الصليبيون على قلعة المرقب حربًا شديدة نيرانها فافتتحوها غب اتعاب وروى البطريرك اسطفانوس الدويهي انهُ في سنة ١٢٨٥ استرجعها منهم الملك قلاون وفي سنة ١٦٢٣ أُلقي القبض في هذه القلعة على الامير حسين بن الامير فخر الدين المعني ومدبره الشيخ ابي نوفل نادر الخازن الماروني

(جزيرة أرواد)

هي الى الجنوب الغربي من طرطوس واتفق راي المورخين انها تبعد مسافة

ثلاثة اميال عنها وهي جزيرة قد بلغ محيطها نحو الف وخمساية خطوة وروى بلينوس ان محيطها بلغ سبعة فراسخ وهذه الجزيرة مشهورة في تواريخ المدققين مع انها كانت صغيرة وفيها كثير من بقايا ابنية الفينيقيين من قلاع واسوار متينة روى (بومبانيوس ميلا) ان مدينة ارواد كانت مبنية على سطح هـذه الجزيرة كلها وليس فيها ماء سوى ما يجمع في الابار من ماء المطر وفيها مرسى امين للسفن حادث من حيطان ضيقة اخرجت الى البحر من طرفيها واهلها الان قلائل وسائر اعمالهم متوقفة على الاعمال البحرية روى مولف سورية انها دعيت بهذا الاسم من اراديوس بن كنعان بن حام بن نوح قال داود المورخ المدقق في احوال الشرقيين لدى انهاء كلامه عن مدينة طرطوس هلم اتركوا لننظر هذا الصخر البحري الذي صار قديمًا مشيخة ارواد الفينيقية والذي ليس هو الان سوى صخر شاسع فهي جزيرة عريانة مقفرة ليس فيها مدماك ولا زاوية ولا اثر سكن فان ما حل بها من الانحطاط لم يحل بسواها وحسبما اخبر سترابون ان هذا الصخر المكون هذه الجزيرة كان قديمًا مملوًا من البيوت التي فاق ارتفاعها اعظم بيوت رومية وان جور الصخر كانت مكونة ميناء بها كانت تاتي وترسو المراكب الصيدونية والصورية وان اهالي ارواد نظرًا لما كانوا عليه من الحذاقة قد اكتشفوا على ينبوع ماء حلو في عمق الابحار المالحة ومن هذه النبعة كانوا يستقون بواسطة قساطل في زمن الحرب وكانوا قد اتقنوا فن البناء والملاحة حتى انهم كانوا يصنعون مراكب متينة يبيعونها للسواحل الفينيقية ذكر اوسابيوس القيساري ان الصيداويين هم الذين بنوها وذكر في تاريخ العهد القديم على سنة ٢٢٩٠ ق م ان الارواديين اي نسل ارادواي كانوا يسكنون مدينة ارادوس القديمة التي موقعها تجاه الجزيرة والمدينة المسماة بهذا الاسم ثم ان مدينة ارادوس دعيت انثارادوس بعد تاسيس ارادوس في الجزيرة المجاورة التي ليست ماهولة سوى من سكان الاولى ذكرت في نبوة حزقيال الاصحاح ٢٧ انه اشتهر اهلها كما تقدم في الصولة والسطوة في البحر وقد خضعت اولاً لملوك صور ثم اقاموا عليها

ملكنا كان تحت سطوة ملوك مادي روى بعضهم انهُ كانت لاهل ارواد ملك كباقي مدن فينيقية وقد سلمت هذه المدينة الى اسكندر ذي القرنين دون حرب فقبل اسكندر التكريم من لدن ملكها وكانت من حزب سلاوقوس كالينيكوس في زمن السلاوقيين خلفاء اسكندر وذلك عند خصام سلاوقوس المذكور مع اخيهِ انطيوخوس واذ سمح لهم ان يقبلوا من يفر من المملكة ولا يجبرون فيما بعد على تسليمهِ نجحوا النجاح الكلي في توسيع املاكهم وقد اخضعها بومبايوس الولاية الرومانية وحينئذٍ تشددت عليهم من قبل الرومانيين الجزية فحمل حينئذٍ اهلها السلاح على كوريتوس وسالسبوس القائدين وذلك هيج عليهم غضب الرومان الذين لم يلبثوا الى ان قتلوا عدداً وافراً من اكابرهم قيل انهُ كان فيها منارة للمسافرين وربّ هذه المنارة هي ذلك البرج المشار اليهِ في اشهر كتب المورخين واليها نفى والس الملك الاريوسي القديس برسا اسقف الرها وذكر موكيموس اسقف ارواد في المجمع القسطنطيني الاول وفي رسالة اساقفة المشرق الى الملك لاون محاماة للمجمع الخلكيدوني وعدّ (لاكوبان) [illegible]

روى مولف سورية في الوجه السادس والسابع والتسعين من كتابهِ الثاني ان معاوية بعد ان افتتح في سنة ٦٤٧ قبرس وجه عمارته البحرية نحو رادوس او ارواد بقصد افتتاحها هذا وان سكان رواد لكي يحفظوا ثروتهم كانوا لدى سطوة الفرس والمكدونيين والرومان محافظين على الهدو غير انهم لم يسروا بهذا المسرى مع العرب فانهم اذ تاكدوا قوة اسوار جزيرتهم لم يخافوا العمارة العربية ولم يسلموا وهكذا هجم معاوية على المحلات التي كان يزعم انها ضعيفة لكن لم يقدر على شيء واذ لم يرغب ان يبقى طارحاً نفسهُ تحت اهوال الامطار الشديدة ارسل اليهم (توما ركل) اسقف حماه ينذرهم للطاعة والتسليم فمسكوا الاسقف عندهم وهكذا رجع معاوية مخجولاً ورجع في السنة التالية فحاصرها وسلم اهلها بشرط ان تكون لهم الحرية بالذهاب اينما شاءوا فدخلتها الجنود واحرقتها ومنذ ذلك الحين انحطت عن قدرها ولم ترجع قط عما كانت عليهِ وتملكها الصليبيون

ثم بارحوها في اخرزمن مبارحتهم الاقليم السوري في سنة ١٢٠٢ وفي سنة ١٧٣٠
نفي اليها الاسقف ابريهام اسقف الارمن الكاثوليك في حلب وبقي المذكور منفيًا
نحو سنتين ثم اتى وسكن كسروان وصار بطريركًا لطائفة الارمن الكاثوليكيين

اما اهل ارواد فيعيشون من صيد السمك وجمع الاسفنج والتجارة في زبل المواشي فانهم يوسقونهُ في السفن الى المحلات المجاورة لها حيثما يستخدمونهُ لادمال البساتين

جبال النصيرية

هذا ما جاء عن هذه القبائل واطلالها في المراة الوضية هي الى شرقي ما قد سبق الشرح عنهُ من المدن كاللاذقية وجبلة وغيرها وهذه الجبال تنقسم الى اقسام ومقاطعات جمة واول هذه المقاطعات هي مقاطعة الخوابي موقعها الى جنوب شرقي قلعة المرقب فيها عدد وافر من القرى واكثر اهلها من النصيرية وفيها اسماعيلية ومسلمون وزوم وحكامها مسلمون من بني عذرا يلقبون اغاوات وقلعة الخوابي هي مركز اقامتهم ثم مقاطعة المرقب ومركز حكومتها قرية زمرى وقلعة المرقب واهلها نصيرية ومسلمون ونصارى وهذه المقاطعة تحتوي على تسعين قرية تقريبًا ثم مقاطعة القدموس وحكامها اسماعيلية ينقسمون الى طائفتين الجباوية والسويدانية ولهم لقب امراء ومن كان منهم متوليًا يسكن قلعة القدموس وحسبما اخبر مولف المراة الوضية ان في هذه المقاطعة ٧٧ قرية اهلها اسماعيلية ونصيرية ومركزها الى شرقي المرقب

والى الشمال منها مقاطعة سميت قبلي وهي ثلث حلل بنو باشوط وبنو عثمان الساكنين في قرية الحصان وبنو ابي عاص يسكنون في عين قيطو وحلة الحمام لبني حجاج وهم يسكنون في قرية الحمام وحلة السرامطة لطائفة البشالدة وهم يسكنون قرية بعبدا ودوير بعيدة وبني غريب وهم يسكنون قرية الدالية وسائر

هذه القبائل نصيرية ومقاطعة بني علي حكامها بنو ابي شلحه يسكنون في عين الشقاق ويلقبون مقدمين وفي هذه المقاطعة نحو ٢٦ قرية واهلها غالبًا نصيرية ومقاطعة القرداحة وحكامها بنو احمد يسكنون في قرية بتنبول وبنو جركس في مرج معيربات وبنو علي في القرداحة وبنو الصيلي وشهاب الدين فيها ايضًا وبنو حصون في بشلام والبراج وبنو علوش في كلماضو وجميعهم نصيرية ويلقبون مقدمين وفي هذه المقاطعة نحو ٠٨ قرية ومقاطعة جبل المهالبة وحكامة بنو غصن يسكنون قرية اللدين وبنو خيربك يسكنون قلعة المرسالية وجميعهم نصيرية يلقبون مقدمين وفي هذه المقاطعة ٤٧ قرية واهلها نصيرية ومقاطعة المزيرعة حكامها بنواحمد وبنو محمد وبنو علي وهم نصيرية ايضًا يلقبون مقدمين ايضًا وهي ثلاثة اقسام المزيرعة والعمارة وساحل المزيرعة وفي هذه الاقسام نحو ماية وعشرة من الضياع والمزارع . ومقاطعة صهيون وحكامها بنو جندي مصطفى يسكنون في قرية الحفة وطائفة الارشوكية وهم يسكنون قرية شير القاق وبنو جندي ابرهيم يسكنون في مسيخيلا وطائفة الزنانفة يسكنون في قرية الزنتوفة جميعهم مسلمون يلقبون اجنادًا وبذي المقاطعة نحو ٤٧ قرية ومدينة صهيون . التي قال ابو الفدا انها ذات قلعة حصينة لا ترام من مشاهير معاقل الشام وبقلعتها مياه كثيرة تجتمع من الامطار وهي على صخر اصم بالقرب منها وادٍ من المحصنات لا يوجد مثلة في تلك البلاد وتظهر من عند اللاذقية وبينها نحو مرحلة وهي في الشرق بميلة عن الجنوب الى اللاذقية (انتهى)

اما ساحل اللاذقية فيحتوي على ستين قرية من قرى النصيرية والى الشمال الشرقي من اللاذقية توجد مقاطعة البهلولى وحكامها من طوائف شتى كبني علي وبني شمسين وبني منصور وغيرهم وكلهم نصيرية وفي هذه المقاطعة نحو ٤٧ قرية واهلها نصيرية ايضًا والى جهة الشمال الشرقي منها مقاطعة جبل الاكراد وحكامها عدة عشائر من المسلمين وبها ضياع واهلها نصيرية واكراد وارمن وفي الجبل الاقرع والى شرقيه كثير من الضياع والمزارع والقرى سكانها تركمان واكراد

ارمن ونصيرية هذا وانهُ لا يخفى ما هم متورطون بهِ هولاء الانام من الغباوة والجهل اللذين لا يخفيان على كل ذي بصيرة ثم الى الشرق من طرطوس بميلة الى الجنوب نحو ست ساعات صفيطه سكانها نحو ٥٠٠ نفس روم و ٢٠٠ اسلام وفي سائر المقاطعة يوجد نحو خمسة وثلاثين الف نسمة وهناك برج على تل من ايام الرومانيين والى الجنوب الشرقي منها دير الحميرا المنسوب الى ماري جاورجيوس وبالقرب منهُ عين دورية تجري منها المياه مدة ثم تنقطع اخرى وهذه العين هي النهر السبتي المنوه عنهُ في تاريخ يوسيفوس الى الجنوب الشرقي من هذا الدير على مسافة يسيرة توجد قلعة الحصن وهو المعروف قدمًا بحصن الاكراد وكان مقام ولاية السلطنة قبل فتح طرابلس قال ياقوت ان الملك صلاح الدين يوسف ابن ابي ايوب حاصرهُ زمانًا ثم امتنع عنهُ ثم افتتحهُ . وتحت القلعة والدير المذكورين وادٍ يجري فيهِ النهر الكبير وهناك منتهى جبال النصيرية ومبتدا جبل لبنان

ذكر صاحب الدر المنظوم في وجه ٢٤١ من كتابهِ الطائفة النصيرية القاطنة في القرى والحصون المجاورة طرطوس اعفاها الماريكوس ملك القدس من تادية الالفي درهم التي كانت مفروضة عليهم في كل عام لفرسان الهيكل وذلك حيث ان هذه الطائفة تعمدت في سنة ١١٧٣ وما زالت الى الان تحفظ بعض عوائد واعياد نصرانية وان كان على اسلوب مخالف ومن رام معرفة اصل ونسل هذه الطائفة فعليهِ مراجعة الجزء الاول من كتابنا

بلاد عكار

هي متصلة بجنوبي مقاطعة الحصن التي تقدم الكلام عليها ولها الطرف الشمالي من جبل لبنان الذي سوف ياتي الكلام عليهِ وهي تمتد من هناك حتى البحر وكل من زار تلك البلاد يوكد ان فيها من الغياض الواسعة ما ليس يوصف وخصوصًا سهل عكار الذي هو الى شمال اللاذقية وهو شهير

بخصبه وجودة تربته وتجري في كل من نواحيه عدة من الانهر والنهيرات المندفقة بغزارة امياهها الصافية واخصها النهر الكبير الذي دعاهُ القدماء (افوناروس) وهو حسبما نص بعض المورخين حد الاقليم الفينيقي من جهة الشمال واما الشعرة التي طالما كلمنا عنها اجدادنا هي في الجبل وهي سهول قفراء واسعة وحسبما تاكد وظهر انها مكمن للصوص وفي هذه المقاطعة يوجد نحو ١٤٠ قرية وجملة مزارع واكثر اهلها من الروم الذين بلغ عددهم ما ينيف عن ثمانية الاف نسمة وفيها نصيرية نحو ٣٥٠٠ ومتاولة نحو سبعة الاف وموارنة نحو اربعة الاف وخمساية نفس ومن اشهر قرى هذه المقاطعة عكارا التي حسبما نص مولف الدر المنظوم انها كانت مقر الامراء بني سيفا الذين انقرضوا من ايالة طرابلس سنة ١٦٢٧ وذلك بسبب اثارتهم فتنة على الدولة العلية العثمانية التي حاربتهم واحرقت عكار وقرضت سلالتهم بالكلية فلم يبق لهم اثر ومن ذلك الحين خربت عكار ولم تعد الى ما كانت عليه

عرقا

موقعها في سفح لبنان لجهة الشمال اشتهرت في سالف الزمن اشتهارًا عظيمًا ودعيت حسبما اخبر مولف الدر المنظوم قيسارية لبنان وقد اتى اليها الملك تيطس الروماني بعد ان حارب وافتتح مدينة اورشليم وهناك حسب العوايد قدم في هيكل الزهرة ذبائح شكر للالهة على انتصاره على شعب اليهود ولما مرّ الصليبيون على طرابلس في سنة ١٠٩٩ قاومهم والي الحكومة الذي كان في عرقا حينئذٍ فانتصروا عليه وافتتحوا عرقا مع مدن اخرى فافتداها الوالي المذكور بجزية وهدايا فاخرة وروى ابن العبري انهُ في سنة ٥٥٢ هجرية الموافقة سنة ١١٥٧ مسيحية خربت عرقا في الزلازل التي حدثت ولم تلبث حتى احالت عددًا وافرًا من البلدان ايضًا الى حالة الدمار وكان اول اسقف عليها لوشيانوس وفي سنة ٣٨١ عقد المجمع القسطنطيني بحضرةُ اسكندر اسقف عرقا

هذا ولم يزل كثير من آثار ابنية الفينيقيين قائمًا كشاهد لقدمية هذه المدينة واما هيكل الزهرة المذكور فيها فقد بناهُ الاسكندر بن فيلبس المكدوني وولد فيهِ القيصر الروماني اسكندر سيفيروس وهي مولد اسكندر ساوبروس ابن خالة الملك عاليوغبل الذي شيد في رومية هيكلاً للشمس وادخل عبادتها عند الرومانيين وبسبب فتنة حدثت بويع اسكندر المذكور في سنة ٢٢٢ وقتل عاليوغبل واما بلاد الثنية فهي الى جهة الجنوب من عكار وهي فسيحة المساحة واهلها من مسلمين وروم وموارنة لم تشتهر في سالف الزمان لذا نرى المورخين ضاربين عنها صفحًا وفيها نوع من العنب اسود صلب ولذيذ الطعم وقد روى بعضهم انهُ نظرًا لصلابتهِ يحمل في الجوالق ولا يتأثر

طرابلس

هي في طول شرقي ٣٠ ٤٤ ٥ . وعرض شمالي ٣٦ ٢٦ ٤٢ وروى مولف سفر الاخبار ان موقعها في درجة ٣٤ ودقيقة ٢٦ من العرض الشمالي وفي درجة ٣٢ ودقيقة ١٢ من الطول الشرقي وقد دعيت مدينة اخرى بهذا الاسم وموقعها في شمال الزينية في المغرب فاختلف المورخون في كيفية الفرق بينهما فذهب ياقوت في المشترك الى ان الشامية مسبوقة بهمزة فتكتب هكذا اطرابلس والاخرى طرابلس وعكس الامر بعضهم قال المتنبي

اكارم حسد الارض السماء بهم وقصرت كل مصر عن طرابلس

غير انهم يفرقون بينهما الان بقولهم هذه طرابلس الشام وتلك طرابلس الغرب وهو المعول عليهِ ذكر ابو الفدا الذي ولد في دمشق وتولى حماه وتوفي سنة ١٣٣١ انها مدينة رومية على طرف داخل في البحر فتحها المسلمون سنة ٦٨٨ وقال بعضهم سنة ٦٧٨ قال مولف تقويم البلدان اطرابلس وهي على ساحل البحر قد افتتحها المسلمون سنة ٦٨٨ هجرية وخربوها وعن بعد ميل منها بنيت مدينة اخرى باسمها وهي كثيرة الاشجار والبساتين وقصب السكر بينها وبين بعلبك

٥٤ ميلاً وقد ذكر اطرابلس (ديودوروس سيكولوس) والمورخ استرابون الشهور وغيرها واتفق المورخون على انها دعيت هكذا لتالفها من ثلاث محلات كما يدل على ذلك اسمها فان معناها باليونانية ثلاث مدن غير انهُ اختلف في موقع هذه المحلات والاشهر ان احداها كانت في محل الميناء الحالية وتشهد بذلك الابنية والاثار القديمة التي تجاورها وموقع الثانية في الرفقانية في شرقي المدينة الحاضرة ودليل ذلك بعض اثار واخصها اثار قناة ماء يونى بهامن جهة التصنية وذي الاثار ظاهرة باجلى بيان بطواحين السكر في ارض مجدليا والمحلة الثالثة قيل انها كانت في جهة البحصاص ومن يطالع التواريخ يظهر له ان المحلة الثانية والثالثة خربتا قديمًا وانهُ في الاجيال المتوسطة كانت المدينة في محل الميناء وما يحوط بها على انهُ في كل حال لا نقدر نقول ان محل المدينة الحاضر كان برّية دون بناء وان سكان المحلات الثلث كانوا من صور وصيدا وارواد وروى ديودورس انهُ كان للفينيقيين في طرابلس ديوان يتفاوضون بهِ في مهام الامور وتدبيرها ولا احد يقدر ان ينكر ان هذه المدينة هي من اقدم مدن العالم وذكرت في سفر المكابيين الثاني ص ٤ عدد ١ حيث قيل ان ديمتريوس بن سلاوقوس اتى اطرابلس مذ فرّ من رومية بعد موت ابيهِ وجاء ليحكم سورية اذ كان يحق لهُ الملك فيها وكان ذلك نحو سنة ١٦٠ ق م وعندما انتشر الايمان المسيحي امن بهِ بعض سكان المدينة وقد ذكر موالف التاريخ العمومي انها في درجة ٣٣) ١٣ طول شرقي ٣٤° ٢٦َ عرض شمالي وهي تبعد مسافة ماية وخمسة وخمسين كيلومترًا عن شمال غربي دمشق الشام وهي مدينة جميلة وفيها جامع شهير كان سابقًا كنيسة واسواقها كثيرة ومياهها غزيرة ونواحيها مبهجة المنظر انتهى وسكانها يبلغون نحو ثلاثة عشر الف نسمة ثلثة ارباع اسلام والباقي نصارى وجميعهم مشهورون بعزة النفس والباس ولهم ميل وافر الى اجتناء المعارف وهي مقسومة الان الى قسمين المدينة وهي على جانبي نهر ابي علي والمياه دائرة في شوارعها وبيوتها والميناء التي سكانها نحو ٤٠٠٠ نفس ويوجد في هذه البلدة جملة

منتزهات وبساتين فيها تكثر انواع الاثمار والفواكه التي من جملتها السفرجل التي قد بلغ وزن بعضها وزن بطيخة متوسطة ونسب بعضهم بناء قلعتها الى ريمون من تولوس عند مجيء الافرنج الى جبل لبنان في الجيل الثاني عشر من التاريخ المسيحي وقد احترقت في افتتاح المدينة اذ ذاك المكتبة الشهيرة التي اخبر بعضهم انها كانت مشتملة تقريباً على ثلاثماية الف مجلد في اللغة العربية والفارسية واليونانية التي اعتنى بجمعها القاضي ابو طالب حسن وقد افتتح هذه المدينة المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب وذلك بواسطة حيلة يوكينا الذي اعتنق الديانة المحمدية وساعد المسلمين في جميع حروبهم ولم تتوطد فيها ولاية الخلفاء روى ابن الفرج بن العبري ان معاوية غب استفتاحه قبرس وارواد وافى الى اطرابلس براكبه فاستفزت الغيرة اخوين اطلقا الاسرى النصارى غب قتلهما بعض حراس السجون وكونا فرقتين احداهما قتلت الوالي والاخرى احرقت عمارة معاوية في الميناء وفر الاخوان الى القسطنطينية وسبباً وفود قسطنت الثاني بعمارته القاصدة افتتاح سورية فالتقت بعمارة معاوية تجاه كيليكيا بين رودوس وخليج بمفيليا وحدثت حرب اذ ذاك لم يات تاريخ الامم بذكر مثيل لها وقد دارت الدائرة على عمارة قسطنت وانتصر المسلمون واستمرت اطرابلس تحت حكم الخلفاء حتى افتتح سورية نيكافوروس فوقاس سنة ٩٦٢ ولم تلبث سوى زمن يسير تحت حكمهم حتى استرجعها المسلمون ولبثت تحت حكمهم حتى افتتحها الصليبيون سنة ١١٠٩ وذلك بعد ان قاسوا امر اتعاب حصار دام خمس سنوات واقاموا والياً عليها الكونت رايمون باني القلعة التي لا تزال حتى الان وكان اهلها يرسلون الى البلاد الاوروبية قصب السكر الذي استخرجوا منه السكر الابيض وحتى كان لم يزل مجهولاً عندهم وروى ميشود المورخ انه كان فيها نحو اربعة الاف معلم ينسجون الاقمشة الحريرية وكان مركز واليها في عرقا وذكر البرتوس ان الافرنج عند اجتيازهم في ارض اطرابلس وجدوا قصب السكر فلذ لهم طعمه فنقلوا منه الى ايطاليا ثم الى غيرها من الممالك وفي سنة ١١٨٨

حاصر اطرابلس على الافرنج صلاح الدين الايوبي فحدثت هدنة بينه و بين (بيوموند) واليها واذ ذاك تقوت العساكر الاوروبية وطردوا عساكرهُ روى ذلك ابن العبري وفي سنة ١٢٦٤ حاصرها بيبرس البندقاري وانهزم عنها وفي سنة ١٢٨٧ وافاها السلطان المنصور سيف الدين قلاوون احد ملوك الدولة التركية في الديار المصرية فسعفهُ حسام الدين لاجين وشدد عليها الحصار فاخذها في ٢٦ نيسان وقتل كثيرًا ممن جاءوا لاسعافها ومن رجالها وقد توفي بيوموند صاحب اطرابلس سنة ١١٨٧ وهو الذي بنادبر بلمند فوقها وجعلهُ سراي للتنزه فيها وحرق المدينة التي تركها الجنود قاعًا صفصفًا وفي سنة ٥٥٢ خربت اطرابلس بزلزلة شديدة هدمت كثيرًا من البلدان المجاورة وفي سنة ١١٧٠ هدمت بزلزلة اخرى وقد درس في ذي المدينة ابن العبري المشهور الفصاحة والطب على رجل نسطوري اسمهُ يعقوب وقد زارها في اواسط الجيل الرابع عشر بن بطوطه من طنجر وكتب عنها في كتابهِ المعنون تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ما نصهُ ثم وصلت الى مدينة اطرابلس وهي قاعدة الشام وبلدانها الضخام تخترقها الانهار وتحفها البساتين والاشجار ويكتنفها البحر برافقهِ العميمة والبر بخيراتهِ المقيمة ولها الاسواق العجيبة والمسارح الخصيبة والبحر على ميلين منها وهي حديثة البناء واما اطرابلس القديمة فكانت على ساحل البحر وتملكها الروم زمانًا فلما استرجعها الملك الظاهر خربت واتخذت هذه الحديثة وكان فيها نحو اربعين من امراء الاتراك واميرها طيلان الحاجب المعروف بملك الامراء وكان يسكن في الجامع المنسوب اليهِ وهو غربي المدينة الى قولهِ وفي هذه المدينة حمامات حسان منها حمام القاضي القرمي وحمام سندمور المنسوب الى احد امرائها (انتهى) وفي سنة ١٣٦٤ اهتم بطرس اللوسيناني ملك قبرس بتجديد الصليبية فلم ينجح ومع ذلك غزا بمعونة قوم من البندقية وفرسان رودوس وبعض فرسان من اوروبا الاسكندرية فملكها ثم احرقوها ووافوا الى سوريهِ فملكوا اطرابلس ولم تثبت ولايتهم بل استمرت اطرابلس في حكم سطوة

الدولة التركية ثم الدولة الجركسية في مصر الى ان ظهر ذلك البطل الهمام السلطان سليم الاول العثماني الذي سلمت له اطرابلس بعد محاربته حلب سنة ١٥١٦ وفي سنة ١٦٠٥ عصى جان بولاد متولي حلب السلطان احمد الاول واراد ان يستولي على سورية باسرها ولذلك لم يلبث حتى حارب والي اطرابلس فاخذها منه وفي سنة ١٦٠٧ استرجع السلطان احمد اطرابلس وباقي مدن سورية بتدبير الصدر الاعظم محمد باشا وفي سنة ١٨٣٢ ارسل اليها ابرهيم باشا بن محمد علي باشا الامير خليل شهاب مصحوبًا بالف مقاتل للمحافظة عليها من عساكر الباب العالي وتبعه ابرهيم باشا باربعة الاف جندي واذ بلغ ذلك عثمان باشا وزير السلطنة العلية العثمانية قدم اليه بجنود فخرج الامير خليل اليه بعسكره وكسره ثم رجع اليه ثانية وابتنى متارس حول المدينة وجدد الحرب فخرج اليه حاكمها مصطفى بربر باربعمائة مقاتل من عسكر النظام فانكسر بربر واستنجد بالامير خليل فنجده وتجدد القتال وتاخر عسكر عثمان باشا الى البداوي وفر من هناك بجنوده الى حماه وفي سنة ١٨٤٠ خرج منها العسكر المصري الى نواحي قرية مجدليا لمحاربة الثايرين من اللبنانيين ضد الحكومة المصرية وانكسر اذ ذاك اللبنانيون ثم خرج العسكر المذكور الى قرب ايعال واحرق بعض بيوت في قرية كفرزينا فانكسر العسكر المصري وقتل منه نحو خمسين رجلاً وفي غضون ذلك وافت مراكب الدول الاوروبية المتحدة لاجل ارجاع سورية من ابرهيم باشا الى الدولة العلية واطلقت عليها بعض المدافع فسلمت مع باقي مدن سوريا واقامت فيها الدولة ولاة الواحد بعد الاخر حتى الان وهي متصرفية من اللوا الراجع الى ولاية سورية وتحتوي على جملة قضاوات منها قضا اللاذقية وجبله والمرقب وعكار وغيرها اما تجارتها فمقتصرة على الحبوب والحرير والاسفنج والصابون والعفص والتبغ وبعض الاقمشة الافرنجية وعدد سكانها الان نحو سبعة عشر الف نسمة منهم اثنا عشر الف ومائة من المسلمين والباقي من النصارى واكثرهم من الروم الارثوذكسيين وفيها قليل من اليهود وفي الميناء نحو اربعة الاف ما بين

اسلام وروم موارنة ونرى على شاطئ البحر من الجانب الشمالي من اللسان ستة ابراج بنيت للمحافظة بحرًا ومن راس اللسان نرى سلسلة جزائر صغار تمتد الى جهة الشمال الغربي نحو عشرة اميال هذا وما من احد ينكر منتزهات هذه المدينة وحدايقها الواسعة الجميلة ومياهها الغزيرة وعما تتقدم اليه من درجات النجاح ولو كان تقدمًا بطيئًا

وقد ذكر مولف تاريخ سوريا في وجه (٣) من مجلده ما نصهُ ان طرابلس هي في وطء جبل يبعد نصف ميل عن البحر وسهولها وحدائقها مسقية بمياه غزيرة وهي تقدم للمتامل قاعدة المدن باسرها اذ قد حوت ضمنها اناسًا مختلفي الاجناس ولقد نرى اثار الامم مختلفة في وسطها هذا ويلزم ان نلاحظ بانهُ رغمًا عما تزينت به هذه المدينة من الحدائق والاثار الشهيرة قد يعسر الاقامة بها في زمن الصيف وذلك لسبب تكاثر الحميات والامراض المسببة من جرى مياهها المنتقعة . وقد نشا في اطرابلس جملة من العلماء الافاضل الذين انتشر صيتهم واشتهر كاشتهار النار على علم فمنهم بهذا العصر الشيخ عبد الغني الرافعي العلامة الشهير بالعلوم الادبية والشرعية والشعرية ولهُ منظومات فائقة واقوال رائقة وقد حضر سنة ١٢٩٠ هجرية الى دار السعادة العلية فحاز بين علمائها اعلى درجة من الافتخار والاعتبار وبعد ان قدم فحصًا مدققًا في مجلس مشيخة الاسلام الجليلة ذهب بامرها نائبًا للشرع الشريف في مدينة تعز من توابع ولاية اليمن وكذلك مكرمتلو الشيخ ابرهيم الاحدب العالم الفاضل والعلامة الكامل الذي سارت تشير بمدحه الركبان وصار يشار اليه بالبنان الحائز درجة من الفخر يقصر عن وصفها اللسان البارع بالعلوم العربية والشرعية والشعرية والادبية ولهُ المنظومات الفائقة والسرعة بالنظم التي شوهدت عيانًا وهو قاطن مدينة بيروت ومتولج فيها بركالة نيابة المحكمة المكرمة وحائز على اعتبار الاهلين واولياء الامور ومنها السيد النصيح الشيخ الميقاتي الذي لهُ اليد الطولى بالعلوم العربية وملحقاتها وفنونها وغيرهم ممن لا يسع المقام لتعداد اوصافهم الحميدة

بترون

تدعى عند اليونانيين بتريس وحسبما يستدل من مطالعة تواريخ الفينيقيين انها من اقدم المدن وحسب الجمهور ان بانيها الكاهن ايتوبعل الذي كان معاصرًا لايليا النبي وذكر (لاكوبان) ان الكاهن المذكور هو ملك صور وروى يوسيفوس المورخ اليهودي ان ايتوبعل هذا بناها في سنة ٩٣٠ ق م ولا شك انهُ قد حل بها ما قد حل في كلٍّ من جبيل واطرابلس وغيرها من التغييرات العمومية وعلى مسير نصف ساعة منها قلعة المسيلحة وهي على راس صخرة هائلة على جانب الطريق المودي الى اطرابلس اشتهرت سالفًا غير انها الان مكمن اللصوص وذكر بعض المورخين انها قد هدمتها زلزلة حدثت واخربت معها عددًا وافرًا من البلدان السورية اما الزمن الذي حدث به ذلك فمجهول عند المورخين وقد ذكر بطريرك اليعاقبة انقطاع جزءٍ كبير من راس وجه الحجر ووقوعهُ في البحر ولم يذكرها مع المدن التي هدمتها زلازل اواسط الجيل السادس ولا (تاوفان) ولا البطريرك اسطفانوس الدويهي وروى ابن العبري ان الزلازل الحادثة سنة ١١٥٧ اخربت مدنًا ولم يأتِ بذكرها . ذكر ميشود في مجلدهِ الاول من تاريخ الصليبيين انهُ غب عبورهم اطرابلس حين سفرهم الى اورشليم اجتازوا ارض جبيل والبترون هذا واذا طالعنا الوفًا من تواريخ الصليبيين فلما يوجد ذكر هذه المدينة روى (دي لاروك) في الكتاب المنبي عن حوادث سياحتهِ في سوريا ولبنان في اواخر القرن السابع عشر انهُ لدى وصولهِ اليها شاهدها خرابات مهدومة باسرها ولم يرَ الا مسيحيًا واحدًا دعاهُ للمبيت معهُ تحت لواء الاشجار

واما الميناء التي هي بالقرب منها فمكونة حسب قول اشهر المورخين من قطع الجزء العظيم من راس وجه الحجر بالزلزلة اذ وقع هناك الجزء حذاء البترون وكون الميناء التي لم تكن موجودة قبلاً ووجه الحجر هو راس بالقرب من البترون

هكذا دعاهُ القدما ولم يزل مسمى بهذا الاسم حتى الان واسترابون دعاهُ وجه الله واما مولف سورية فبعد ما انهى كلامهُ عن اطرابلس قال وما اجمل منظر سوى لدى قدومك الى البترون التي ارتفاع موقعها يقدم لكم منظر بلدان سورية عمومًا وذاك من ساحل اللاذقية حتى خليج عكا فتشاهد امامك من المناظر الطبيعية ما يستدعي التعجب الوافر ووراءك سلسلة جبال هائلة تشبه عن بعد بحرًا تترجم عن فسيح منظره عمارات شاهقة مع جملة نهيرات منفجرة على الرمول حتى تصل البحر ومن اجمل هذه النهيرات الطبيعية واهمها نهر ابرهيم الذي دعاهُ المورخون ادونيس الذي بالقرب من مصبهِ توجد بيبلوس القديمة اي جبيل الان واما اهل البترون فهم نحو ثلثة الاف نسمة واغلبهم موارنة وما بقي روم وعلى الجانب الشمالي من الراس المذكور فيما تقدم يوجد دير النورية الذي هو في علو شاهق لصعوبة مسلكهِ وقد يعسر الوصول اليهِ ومنها يجلب الحرير والزيت والاسفنج

جبيل

قال مولف سورية في وجه ٢٤ من المجلد الثاني انهُ عند مصب نهر ابرهيم توجد بيبلوس القديمة وهي جبيل الان وقد دعاها العبرانيون جيبال انتهى . وروى مولف سفر الاخبار ان اسمها كان اولاً افايا وهذه المدينة كانت مركز احد ملوك فينيقية الصغار وبها اقام سراية لم تبقِ لها الايام اثرًا وقد اقام بجلها الرومان مرسحًا لم تزل حتى الان بعض اثاره وروى بعض المورخين ان ساتورنوس بناها وعلى ما هو شائع في كتب تاريخية غير مدقق بها ان اسمها بيبليوس هو نسبة الى بيبيلا ابنة ميلانوس

اقام بها الصليبيون على صخرة بناية عظمى ذات علو شاهق حتى قال بعضهم ان الفارس يقدر ان يسير ساعة في ظلها واقام بها في زمن الاسلام السلطان ابرهيم جسرًا او جامعًا مع محل واسع للمرضى وقد ورد ذكرها مرارًا

في الكتب الدينية وكان بعض الجبيليين يخدمون كنوتية في مراكب اهل صور ومن جملة رموز ومطالعات تاريخية تبين ان جبيل كانت اسقفية وحضر احد اساقفتها المجمع الخلكيدوني وكانت مستقلة عن صور وصيدا وكانت مركزًا للقبيلة الجبيلية واشتهر اهلها بعبادة ادونيس قال استرابون كانت مدينة ملوكية لشينيراس ومكرسة لادونيس وكان يدعى ادونيس تموز وهو معشوق الزهرة خرج ذات يوم الى الصيد فافترسهُ وحش ضارٍ وقتلهُ فبكتهُ الزهرة وحسب اعتقاد الوثنيين انها اقامتهُ من الاموات ويظن ان الصور المنقوشة على صخر في قرية الغينة في معاملة الفتوح تنبي عن ذلك وفي المشنقة التي هي احدى المحلات التابعة اعمال جبيل حكاية اعادة الزهرة ادونيس الى الحيوة .

غير ان جسرها الجميل الذي هو على نهيرها وعواميدها الرخامية المذهبة الباقية رسومها من مرسحها القديم والزهور الجميلة التي تنمو بقلعتها مع جملة اشيا قديمة تجلب افكارنا الى ساحة التامل بلذيذ نعيمها الماضي وقد هدمها ودك قلعتها في سنة ١٢٩٠ الاشرف صلاح الدين خليل ابن الملك قلاون

روى مولف سوريا انهُ كان فيها هيكل شهير وانهُ لدى انذار الرسل بالايمان قد آمن سكان هذه المدينة التي لم تلبث حتى خربت في اواسط الجيل السادس مع عدد وافر من مدن فينيقية بالزلازل التي اكد حدوثها عدد عظيم من المورخين . روى مولف كتاب الاحتجاج انها كانت في الجيل السابع موطنًا لامراء الموارنة وملخص ما ذكرهُ هو انهُ في مبتدا دولة العرب الاسلام كان يوسف ملكًا على جبيل وكسرى ملكًا على الداخلية المدعوة كسروان وخلف المذكورين الامير ايوب ثم الامير ايلياس وتخلف هذا يوسف ثم (يوحنا) الذي كسر العرب في سنة ١١٨٥ ولشدة ما كان منطويًا عليهِ من شراسة الاخلاق غزا البقاع والبلاد التي كانت بيد معاوية وخلف يوسف ابرهيم وهو ابن اخت يوحنا مارون وكانت وطن فيلون مترجم كتاب سانكونياتون احد الفلاسفة البيروتيين

الى اللغة اليونانية وقد قال بعضهم ان دودفلت برهن انهُ هو المؤلف هذا التاريخ وليس مترجمهُ ذكر لوسنيان انها غب ان خلعت نير ولاية ملوك صور ابتدأت ان تودي جزية الى ملوك الفرس ولما دخل اسكندر ذو القرنين البلاد السورية سلمت لهُ دون حرب فدخلها غير انهُ اخبر بعضهم ان اهلها قد اشتركوا مع اهالي صور في محاربة اسكندر المذكور وغب ان سقطت ولاية السلوقيين الولاة الذين خلفوا اسكندر تولى شينارا على سورية البحرية وكان ظالمًا غير ان بومبايوس قتلهُ واحيلت جبيل الى الولاية الرومانية هذا وقد روى اكثر المورخين ان اهالي جبيل اشتهروا بصنع السفن وقطع الاخشاب وقد طلب سليمان الملك عليهِ السلام من حيرام ان يقطعوا لهُ الاخشاب من ارز لبنان وينقلوها الى يافا بحرًا واكد بعضهم انهُ لم يزل حتى يومنا هذا اثر للارز في جبيل وفي خلافة عمر بن الخطاب وقعت جبيل تحت ولاية الاسلام وفي سنة ٩٦٢ اخذها سمسق الذي كان وزيرًا مشهورًا لدى نيكوفورس فوقا وكتب سمسق للملك ارمينيا هكذا . وسافرنا لنفتح قلعة جبيل التي هي اقدم والحصن فاخذناها بعد الحرب بعض ساعات واسرنا سكانها وفزنا بغنيمة غنية . وغب ثلاث عشرة سنة استرجعها الاسلام مع باقي مدن سورية وبقيت تحت ولايتهم الى سنة ١١٠٩ اذ تملكها الصليبيون . روى (لاكويان) في مجلدهِ الثالث انها سلمت سياستها الى الكونت (برترامتوس) وفي اواخر الجيل الثاني عشر اخذها من الجنود الملك صلاح الدين الايوبي . ذكر ذلك ابن العبري في تاريخ اندول والمقريزي في كتاب الخطط ولم يمضِ زمان يسير حتى استرجعها منهُ الصليبيون وبقيت تحت حكمهم الى سنة ١٢٩٠ اذ اخذها الاشرف صلاح الدين خليل الذي غب هدم صيدا وبيروت قد دك قلعة جبيل وهزم الافرنج منها في سنة ١٣٠٢ واتهم النصارى سكان الجبل انهم امدوا بالاسعاف من تعدى عليهم في ذاك الاوان من الافرنج فجمع جمال الدين اقوى العساكر الشامية لمقاتلة النصارى سكان الجبل واهل كسروان وانتشبت بينهم وبين مقدمي جنود الموارنة حرب

عند جبيل فصنع مقدمو الموارنة كمينين احدهما في وادي المدفون والاخرى وادي الفيدار فغلب المقدمون وقتلوا عدداً وافراً من العساكر فمن فرّ يقع في يد المكمنين فنهب وغزي . روى ذلك ابن الحريري ولما اخذ مصر والمدن السورية في سنة ١٥١٧ البطل الهمام السلطان سليم الاول خضعت جبيل لولايتهِ دون حرب وفي سنة ١٦١٨ تسلم بالامان قلعتها الامير فخر الدين المعني ثم كتب لولدهِ الامير علي ان يهدمها فكان كذلك وفي السنة نفسها زار الامير فخر الدين جبيل والبترون معّاً في سنة ١٧٧٨ حاصر الامير سيد احمد الشهابي مدينة جبيل ضد اخيهِ الامير يوسف حتى رد الجزار قائد هذا الجيش عن جبيل واقام الامير يوسف حاكماً متقلداً امر ادارة الولاية وعزل اخويهِ وفي سنة ١٨٠٧ قتل فيها الشيخ عبد الاحد باز . وسنة ١٨٤٠ وصل اليها مركب من مراكب الدول المتحدة على ارجاع البلاد السورية للباب العالي وكان مشحوناً سلاحاً واخرج رجالاً من بعد اطلاق المدافع على القلعة فالتزمت الى التسليم اخيراً ذكر مولف القاموس الجغرافي انها على مسافة ثلاثة وخمسين كيلو متراً من جنوبي اطرابلس وعلى كلّ ان يتامل في ما طرأ عليها من التقلبات ويشاهد خراباتها التي منها رسوم بعض ابراج واقبية قلعتها ثم كنيستها التي ذهب بعضهم الى انها منذ اجيال الكنيسة الاولى والاصح انها منذ زمن الصليبيين واهلها يبلغون الفي نسمة فعلى كل ذي بصيرة ان يتمعن بحالة ماضيها مقابلاً اياها مع حاضرها فيرى العجب .

بيروت

هي على جانب الشمال الغربي من لسان طويل داخل في البحر وراس اللسان في طول شرقي ٢٨ ٣٥ وعرض شمالي ٥٠ ٣٣ وهي مدينة شهيرة ومن اقدم المدن السورية وقد اختلف اشهر المورخين في صحة بانيها فمن هولاء من ذهب الى ان بانيها هو جرجسابوس او الجرجسي الخامس من ابناء كنعان اذ انهُ

وضع اولاً اساساتها وروى اسطفانوس البيزنطي ان ساتورنوس بناها وصادق على ذلك بياجيوس احد المورخين المشهورين والارجح لدى الجمهور ان بانيها مجهول واما اسم بيروت فحسب قوم ان اصله باريت احد معبودات الكنعانيين المنوه عنه في سفر القضاة وآخرون ذهبوا الى ان اسم بيروت ماخوذ من بيرويا بنت الزهره وادونيس ومنهم من قال ان الزهره نفسها كانت تدعى بيروت وانه كان للزهرة معبد فيها وبعضهم قال ان ذلك مشتق من باروث التي تاويلها بئر اذ لم يزل فيها حتى الان ابار قديمة ودعاها اغسطوس قيصر جوليا فيلكس باسم ابنته وتعد نزهة الاقليم السوري مرساها غير امين للسفن وكانت في سالف الزمن في ولاية ملوك مادي تساس بشرايع اهلية ذكر استرابون ان تريفون قد هدمها فجدد بناءها الرومانيون حينما عظم اشتهارها في زمن سطوتهم واقامت فيها نحل رومانية ومن ازدياد ما قد تسامت واكتسبت من رفيع الشان شرفها اغسطوس قيصر باحسانات عديدة واولى سكانها حقوق الرومانيين نفسها وسمح ان يدرس بها علم الشريعة وبنيت فيها هياكل ومشاهد لاجتماع العموم ومخازن للتجارة وجعل فيها مشهد حرب اذا اتبعنا رواية يوسيفوس نرى انه كان يقتل فيه الف واربعمائة رجل من المحكوم عليهم بالقتل وقد شيد فيها اغريبا مشهداً اخر عجيباً ونقل اليها صورة من اشتهر من القدماء والتماثيل الاكثر شهرة

وفيها حلف سيلاوش امام والي سورية وفينيقية انه قادر ان يرد في برهة ٣٠ يوماً رجالاً من كورة انطرخون (اي بلاد الشقيف) كانوا اقاموا تعديات في نواحي الاقليم السوري وبموجب راي اغسطوس قيصر جمع هيرودس في بيروت جملة من الرومان وحكموا بقتل والديه وان يكن ظلماً وكان وقع يوسيفوس اسيراً في ايدي الرومان فحُلَّ في بيروت من سلاسل قيوده وولد في بيروت ثاودورس احد فلاسفة المدرسة الافلاطونية واشتهرت من تكاثر عدد النازحين اليها والغربا وكانت غنية بالتجارة ووصلت اليها عبادة المشتري واشتهر اهلها بنقل الاقمشة والتجارة وكانت تدعى في زمن يوستنيانوس الاول سلم فينيقية وسكانها

امنوا بالمسيح على يد الرسل واول اسقف عليها كان كوارتوس وقد قال احد المورخين المدققين انهُ منذ الجيل الثالث اشتهرت بتعليم الشريعة مدرسة بيروت العظمى ووافقهُ بذلك جمهور المورخين ونص مولف سفر الاخبار ان الملك يوستنيانوس لما صمم على تاليف كتب الشريعة دعا اليهِ من جملة العلماء دوروتاوس العظيم وهاك ما تكلم هذا الملك عنهُ في احد مراسيمهِ اذ قال دوروتورس العظيم والمترجم المقام في مدينة الشرايع اي بيروت البهية الذي اردنا ان يحضر لدينا ويشترك بهذا العمل وقد حملنا على ذلك مزيد اعتبارهِ هذا وما كان يوذن لاحد ان يتعلم الشريعة سوى في المدن الملوكية وبيروت مرضعة الشرايع حيث تيل هذه الكتب الثلثة التي الفناها تسلم اليهم في المدن الملوكية وفي مدينة بيروت الكلية البها التي نريد ان تدعى مرضعة الفقه والشرايع لا في اماكن اخرى لم تستحق هذا الانعام من اسلافنا ومن تجاسر ان يعلم تلامذتهُ تعليمًا يخالف هذا وخارجًا عن المدن الملوكية وبيروت يغرم بوزنات من الذهب وهذا الامر سبب تقاطر الشبان من كل صقع وناد الى بيروت البهية (انتهى) . وقد درس بها ترتغيلوس وامفيانوس الشهيد وذكر سقراط ان غريغوريوس العجائبي درس اصول الناموس المدني في بيروت

القابها

نظرًا لما نالتهُ بيروت من الاشتهار في سالف الزمان مدينة تلقبت بالقاب جميلة فلقبها نونوس موطن الناموس ومدينة الفقها ومرضعة الحيوة وغريغوريوس العجائبي مدرسة الشرايع الرومانية ويوحنا اناطوليوس كرسي النعم واونابيوس ام النواميس وسماها يوستنيانوس مرضعة الشرايع ومن طالع هذا سيتضح لهُ جليًا ما حازتهُ هذه المدينة الذايعة الصيت من الشهرة والافتخار في سالف الزمان غير انهُ اذا رتعنا بجنان المعارف مقلبين بيد المطالعة صحف التاريخ نرى انهُ في اواسط الجيل السادس قد حطت بيروت عن سامي قدرها الزلازل المتتابعة

التي اخربتها مع قسم وافر من الاقليم الفينيقي . روى اغاتوس في تاريخ الملك يوستنيانوس انهُ قتل بها اذ ذاك جم غفير من السكان فنقلت المدارس حينئذٍ الى صيدا حتى رمت خرابات المدينة التي لاشك ان الاهالي تكبدوا اتعاباً جزيلة لارجاعها الى ما كانت عليهِ من العظمة وقد استمرت بيروت بقبضة زمام الخلفا حتى استفتحها منهم سنة ٩٦٢ احد خلفاء اسكندر المكدوني نيكافوروس فوقا بواسطة وزيرهِ المشهور المعروف بسمسق واستمر حاكماً بها ثلث عشرة سنة وغب ذلك اخبرنا نكاليس اسكندر ان المسلمين استرجعوها منهُ مع سائر ما كان اخذهُ من مدن اخر وفي سنة ١١٨٧ استفتح هذه المدينة الملك صلاح الدين الايوبي واسترجعها من الافرنج فبقيت مدة عشر سنوات عاصمة سورية لحكومة الاسلام الى حين حرب القاسية بين الجنود الصليبية وعساكر الملك العادل الايوبي وفي تلك الموقعة انتصر الافرنج وانكسر الاسلام ففروا الى بيروت فاتوا اليها فوجدوها خالية من الاعداء ولكنها مخزونة من المون فاغتنمها باسرها الافرنج وبقيت بيروت تحت سطوة الافرنج حتى سنة ١٢٩١ واذ ذاك اخذها منهم الملك الاشرف صلاح الدين خليل وهو الثامن من ملوك الترك في الديار المصرية وهدم اسوارها ودك قلعتها وبقيت بيروت تحت ولاية الدولة التركية التي انقرضت في مصر سنة ١٢٨١ والدولة الجركسية التي انقرضت سنة ١٥١٧ اذ استفتح السلطان سليم الاول البطل العثماني الهمام المدن السورية وصارت منذ ذاك الحين في سطوة الدولة العلية العثمانية وسنة ١٧٧٣ ولى الامير يوسف شهاب على بيروت احمد الجزار الذي شرع حالاً بالتاهب للحرب فعرف الامير ذلك وجمع عسكراً غير ان الجزار ابدى الطاعة وطلب مهلة اربعين يوماً لتسليم المدينة ولم يسلمها اخيراً فارسل اليهِ الامير عسكراً واستنجد بظاهر العمر الذي لاجل مساعدتهِ وافت المراكب المسكوبية لبيروت اذ كان متحداً مع كاترينا ملكة الروس على محاربة الدولة العلية فارسل الظاهر المراكب المسكوبية الى بيروت حيثما التى على المدينة حصار عظيم فالتزم ان يخرج الجزار منها ويذهب الى عكا

وهكذا رجعت بيروت الى سطوة الامراء الشهابيين . وسنة ١٧٧٦ اخذ احمد باشا الجزار من الامير يوسف هذه المدينة فاخرجهُ منها حسن باشا وزير البحر وسنة ١٧٩١ اخرج الجزار الافرنج منها وبنى السور بحجارة ابنية الشهابيين التي دكها . وسنة ١٨٢٥ اطلق عليها عبثًا الاروام العصاة بعض مدافع وسنة ١٨٣٢ اخذها ابرهيم باشا خديوي مصر ورصف بعض ازقتها بالبلاط وفي سنة ١٨٤٠ اتت مراكب الدول المتحدة وهدمت بالمدافع جانبًا وافرًا من احسن ابنيتها وارجعتها الى الدولة العلية واذ ذاك كانت مركزًا ومقرًا لوزير ايالة صيدا

اما المكان المعروف بخان الصاغة الكائن على ساحل البحر بالقرب من مينا الحسن كان (امفيتياترو) مختصًا بملاعب الحيوانات كما يستدل من شكلهِ وهيئتهِ ورسومهِ لدى التامل وفي سنة ٢٢٣ مسيحية شيدت فيها مدرسة الشرائع الرومانية التي اشتهرت وكان ذلك بايام اسكندر سافيروس قيصر المولود سنة ٢٠٥ في عرقا من لبنان ذكر مولف جواهر ياقوت في تاريخ بيروت انهُ ضُرِب (لنير ون) فيها بعض نقود ولكلاوديوس ايضًا ثم باسم يوليوس قيصر المالك سنة ٤٩ ق م وطيباريوس سنة ٤١ بعد المسيح وتريانوس سنة ٩٦ وهوريانوس سنة ١١٧ وانطونيوس بيوس سنة ١٣٨ وباسم اورليوس سنة ١٦١ وشبيموس ثافاريوس سنة ١٩٣ وكاراكلا سنة ٢١١ ومكرينوس سنة ٢١٧ والاكابولس سنة ٢١٨ وكرديانوس سنة ٢٣٨ وباسم هوستليانوس سنة ٢٥١ وكاليانوس سنة ٢٦٠ وفاليريانوس سنة ٢٧٦ وغيرهم

وممن اشتهر في هذه المدينة سانكونيانون المورخ الشهير الذي الف الكتب الشهيرة بديانة الفينيقيين والمصريين ولهُ رسائل جمة بالطبيعيات وغيرها ترجم بعضها الى اليونانية في الجيل الثاني قبل المسيح ولم يبقَ منها سوى بعض حواشٍ وقطع طبعت سنة ١٨٢٦ وهو مولود فيها حسب قول بعضهم قبل المسيح بالفي سنة وهو مولف بالميتولوجيا (اي علم الهة الاقدمين) والفلسفة في عصر سيزوستريليل بن فرعون في الجيل السابع عشر وصورتهُ لم تزل على صخور عند

جسر نهر الكلب واما الاثارا التي لم تزل في نواحي مينا الحصن فهي اثار احد الابراج المتقابلة التي بنتها الملكة هيلانة والدة الملك قسطنطين الكبير من القدس الى اسلامبول وفي سنة ١٤٠ ق م هدم هذه المدينة تريفون قايد جيش انطيوخوس ابيفانوس و بقيت خرابًا خمسًا وسبعين سنة حتى ايام بمبيوس الروماني الذي جلس على كرسي رومية سنة ٦٥ ق م وسنة ٣٤ اخذها العرب الاسلام في خلافة عمر بن الخطاب وسنة ٧٧٣ الموافقة سنة ١٧٥ مات فيها الامام الاوزاعي الفقيه المولود ببعلبك سنة ٧٠٤ مسيحية و٨٨ هجرية وكان امام اهل الشام قد اجاب في سبعين الف مسئلة رثاهُ بعضهم بقوله

جاد الحيا بالشام كل عشيةٍ قبرًا تضمن لحدهُ الاوزاعي
قبرٌ تضمن فيهِ طور شريعةٍ سقيًا لهُ من عالمٍ نفاعِ
عرضت لهُ الدنيا فاعرض مقلعًا عنها بزهدٍ ايما اقلاعِ

وقبرهُ الان مشهور خارج المدينة جنوب غربيها على الساحل البحري قيل انهُ توفي في الحمام الصغير وقد بنى سبيلاً للزاويتين الكائنة احداها جنوبي سوق الطويلة اذلم تزل حتى الان معروفة باسمهِ لانهُ كان يدرس بها دومًا والثانية هي زاوية الشيخ محمد خضر العراقي وتاريخ السبيل ثابت شهر ذي القعدة الحرام سنة ٩٢٥ وفي سنة ٧٨٧ توفي الامير ارسلان بن مالك بن بركات في سن الفيل فحمل لبيروت ودفن فيها ولهُ مواقع شهيرة مع مردة لبنان وسنة ٨٠١ قدمت مراكب الروم واستاسرت من امام الاوزاعي الامير عون ابن الامير ارسلان الذي فداهُ سنة ٨٠٤ م القاسم بن هرون الرشيد وسنة ٨٧٠ تولاها مع صيدا الامير النعمان بن عامر الارسلاني وحصن سورها و بنى دارًا شهيرة واشتهر فيها قاضيها العباس بن الوليد العذري وسنة ٩١٥ قدمت سفن اوربية الى بيروت فصادمها الامير النعمان الذي توفي سنة ٩٣٦ ودفن فيها فتولى بعدهُ الامير منذر ولقب سيف الدولة واشتهر حينئذ ابو الريحان محمد بن احمد البيروتي بعلوم الاوائل وسنة ٩٦٣ وقعت بيد نيكافورس فوقا ملك

القسطنطينية وسنة ١١٨١ واتى لساحلها السلطان صلاح الدين الايوبي وغزا برها وقتل كرومها واذ صدمهم ابن بلوزي رجع للموصل غيرانه لما رجع اليها سنة ١١٨٦ احاصرها ثمانية ايام واخذها في ٢٩ جمادي الاولى وفعل افعالاً شهيرة سنة ١١٩٥ تجمع افرنج السواحل وحاصروها واخذوها دون قتال فاعطاها الكونت هنري شامبلين حاكم سورية الى جون ديبلون بالمبادلة عن كونت تلي القدس وضرب فيها جون نقوداً وبقيت في يدهم حتى زمن الملك الاشرف وسنة ١٢٩٠ ارسل الملك الاشرف سنقر جياعي بفرقة من العسكر ففتحها عقب محاصرته اياها وهدم سورها ودك قلعتها وجعل كنيسة مارى يوحنا جامعاً وهو الجامع الكبير وسنة ١٣٢٢ حضرت مراكب افرنجية دخل من بها المدينة واخذوا الاعلام السلطانية والمركب كينلان الذي اتوا لاجله فكان ذلك سبب تكدير خاطر امير الامراء على تركمان كسروان وامراء التنوخيين وغيرهم وسنة ١٣٤٥ ارسل الامير يلبغا الاتابكي بيدمر الخوارزمي لعمار شون وحمالات ومراكب عظيمة ولاتقان تحصينها وان امراء الغرب يسكنون فيها للمحافظة وسنة ١٣٤٢ نكبت بالطاعون وسنة ١٣٥٠ توفي فيها الامير ناصر الدين الحسيني بن خضر التنوخي وله عمائر شهيرة في بيروت وعبيه والغرب وغير ذلك وسنة ١٣٨٨ استظهر اهل كسروان على امراء الغرب التنوخيين وكانت هي محل المعمعة وسنة ١٤٤٤ توفي فيها الامير عز الدين صدقة التنوخي وكان ذا سطوة شهيرة وكان شديد العداوة مع الامراء اولاد الحمراء وسنة ١٤٥٤ توفي فيها الامير زين الدين عمر بن عيسى التنوخي الباني فيها قصراً مشهوراً وسنة ١٥١٧ قرض السلطان سليم الاول دولة الجراكسة في مصر وسورية اذ دامت بها (٢٦٥) سنة فصارت بيروت كباقي البلاد تحت سطوة الباب العالي وسنة ١٥٧٢ امتدت ولاية الامير منصور العساف من نهر الكلب الى حماه وبنى جامع دار الولاية المعروف باسمه وسنة ١٥٩٨ تولاها الامير فخر الدين المعني وجدد فيها بناء برج الكشاف الذي صار مكان جبخانة ثم هدم سنة ١٨٧٤ وبني مكانه وتجار وسوق

وسنة ١٦٣٢ توفي الامير منذر بن سليمان التنوخي الباني جامع النوفرة وسنة ١٦٦٠
تولاها محمد باشا الارناووطي باسر الصدر محمد باشا الكبرلي وفيها عزل وناب عنهُ
قبلان باشا في صيدا واذ ذاك اطلقت عليها الوزارة وسنة ١٦٦١ طلب علي
باشا مالاً من ناظر كنيسة مار جرجس فتعذر فضبطها وجعلها جامعاً وهي
معروفة الان بالخضر وسنة ١٦٦٣ تولاها محمد باشا والي صيدا وسنة ١٦٧٥
تقررت الايالة على اسمعيل باشا وسنة ١٦٧٧ تقررت على محمد باشا وسنة ١٦٧٩
تقررت على خليل باشا بن كيوان وسنة ١٦٨٠ تقررت على محمد باشا وسنة
١٦٩٣ تقررت على مصطفى باشا وسنة ١٦٩٧ تقررت الايالة على حسن باشا وسنة
١٦٩٨ تقررت على قبلان باشا المطرجي وارسلان باشا ثم تداولتها الامراء الشهابيون
واولهم الامير بشير الشهابي وناب عنهُ ارسلان باشا وسنة ١٧٠٦ عزل ارسلان باشا
وتولى اخوهُ بشير باشا وسنة ١٧١٥ عزل عثمان باشا وسنة ١٧١٧ توفي الامير عبد الله
زوج اخت الامير فادعت زوجتهُ براءتها منهُ واخذت جزيرة بن معني و بستان ابي
كمكه وسنة ١٧٢٩ سلم الامير الولاية لولده الامير ملحم واذ ذاك بنى الامير
سليمان اللمعي في بيروت قيسارية البارود وسنة ١٧٣٦ تولى صيدا سعد الدين
باشا العظم وسنة ١٧٤٨ عزل وقام مقامهُ عثمان باشا المحصل وسنة ١٧٤٩ عزل
وخلفهُ مصطفى باشا القواص وسنة ١٧٦١ مرض الامير وتوفي وكان بنى فيها
خان الملاحة وتخلفهُ اخواهُ الامير احمد والامير منصور وبنت اذ ذاك زوجة
الامير احمد القيسارية العتيقة والبرج المستدير بجانب الصور الذي هدم وبني
مكانهُ مستشفى العساكر السلطانية وفيها ورد فرمان بتولية الامير قاسم فدخل
بيروت بالعسكر بغتةً واخذها وفر عثمان غير انهما ارجعا بعد عزل الامير
قاسم وسنة ١٧٦٣ تنافر الامير منصور والامير احمد فاصبحت الولاية للامير
منصور فبنى في بيروت طاقة النصر جنوب شرقي الكبوجية والديوان وميزان
الحرير والقيسارية المعروفة باسمهِ حتى الان واخوهُ بنى قيسارية الصاغة
وداراً بقرب البرج الجديد وسنة ١٧٦٤ تولاها محمد باشا عثمان ثم محمد باشا

ثم تولاها درويش باشا وسنة ١٧٧٠ تنازل الامير منصور لابن اخيهِ الامير يوسف عن الولاية وسنة ١٧٧١ حضرت السفن المسكوبية من عكا الى بيروت قبل انها اطلقت عليها ٦٠٠٠ مدفع طلقًا واحدًا وسنة ١٧٧٦ الموافقة سنة ١١٩٠ تولى صيدا احمد باشا الجزار وعزل عنها محمد باشا وفي السنة نفسها نهض الجزار من صيدا الى بيروت ورفع سلطة الامراء الشهابيين الذين ضبطت ارزاقهم وهدمت دورهم سوى دار الامير مراد وجعل كنائسهم اصطبلات وسنة ١٧٩٨ وُلي عوضًا عن الامير يوسف الامير بشير عمر وسنة ١٨٠٤ توفي الجزار فخلفهُ اسمعيل باشا الذي مذ قتل ناب عنهُ سليمان باشا وفي سنة ١٨١٩ توفي سليمان باشا فخلفهُ عبد الله باشا الخزندار وفي سنة ١٨٢٦ اتت مراكب الاروام الى امام برج ابي هدير ونصبوا السلالم شرقي المدينة على السور ودخل بعضهم المدينة واخيرًا لما راوا ما راوهُ من بسالة الامير بشير الشهابي اقلعوا اخيرًا الى بلادهم وسنة ١٨٣٢ وقعت تحت سلطة الامراء آل شهاب وذلك اذ اخذ هذه البلاد البطل الهمام ابرهيم باشا بن محمد علي باشا فارسل الامير بشير منسلمًا عليها الامير ملحم حيدر وفي ذاك الاوان زرع حرش الصنوبر الذي لم يزل فيها ثم بموجب امر صادر من ابرهيم باشا تولى المدينة محمود بك الذي صار اخيرًا باشا وفي سنة ١٨٤٠ اتفق ملوك اوربا مع السلطان عبد المجيد على اخراج ابرهيم باشا من الاقليم السوري واستخلاصها من يد والده محمد علي باشا فحضرت المراكب التي بلغ عددها اربعين مركبًا واذ لم يسلم المدينة محمود بك اطلقت المدافع عليها فاستلمها الكوميدور الانكليزي وسنة ١٨٤٠ نقل تخت الوزارة من صيدا الى بيروت وعزل ذكريا باشا ونصب عوضًا عنهُ سليم باشا ثم خلف هذا عزت باشا وسنة ١٨٤٢ تنصب عوضًا عن عزت باشا اسعد باشا الذي جدد سرايا الحكومة سنة ١٢٥٩ وسنة ١٨٤٥ تنصب وجيهي باشا بدلاً من اسعد باشا ثم كامل باشا وسنة ١٨٤٧ تولى عوضًا عن كامل باشا مصطفى باشا الارناووطي وسنة ١٨٤٨ مصطفى وامق باشا فخلفهُ وامق باشا وسنة

١٨٥٥ نقل اليها جسد العالم العلامة مارون نقاش من طرسوس مبدع المرسح العربي وهو من فحول الشعراء برع بفنون المعارف والادب حتى صار يضرب به المثل وله تاليف جمع به ما الفه من الروايات التي اشتهرت بما احتوته من النصائح والحكم وله جملة مراسلات مع الشعراء تظهر براعته وبلاغته فهو الشهير وامام الخطباء الغراء وفي سنة ١٨٥٧ تولى عوضاً عن وامق باشا خورشيد باشا وفيها توفي العالم عالي سميث الامركاني مترجم الكتاب المقدس على نوع واصطلاح يليق بها المدح وسنة ١٨٦٠ تولى عوضاً عن خورشيد باشا احمد باشا وبسبب الحادثة المشهورة باسم تلك السنة دخل بيروت قسم وافر من اهالي القرى والشام وغيرها وبها ارسل الباب العالي مع الدول المتحدة مراكب ونوابا لرفع الانشقاق واتت عساكر فرنسا تحت قيادة الجنرال بيفور وفيها توفي العلمان الشهيران سعيد بك بن الشيخ بشير جنبلاط الذي دفن في مقام الامام الاوزاعي وفريد دهره ووحيد عصره خاتم البلغاء والادباء محمد افندي الحوت الذي دفن في مقبرة الباشورة وسنة ١٨٦٢ عزل احمد باشا وخلفه قبولي باشا وفي ٢٧ ذي الحجة من السنة المذكورة توفي العلامة الشيخ عبد الله افندي خالد الذي كان اماماً في جامع الامير منذر التنوخي وسنة ١٨٦٣ عزل قبولي باشا وتولى عوضاً عنه خورشيد باشا وعزل سنة ١٨٦٤ اذ صارت سورية ولاية ومركزها دمشق الشام فتولى سورية رشدي باشا وصارت بيروت متصرفية امور مهامها منوطة بامر والي الولاية وسنة ١٨٦٥ عزل رشدي باشا وتولى عوضاً عنه اسعد مخلص باشا الذي خلفه في سنة ١٨٦٦ محمد راشد باشا الذي بأياديه غرد هزار النجاح على فنون ايك معارف البلدان السورية وبقي حتى سنة ١٨٧٢ اذ خلفه صبحي باشا الذي لم يستقم سوى سنة واحدة فانه في السنة الثالثة والسبعين تولى سورية حالت باشا وسنة ١٨٧٤ تولى هذه الولاية مع مشيرية الاردوي الهمايوني الخامس الوزير الاعظم والمشير الافخم من خضع له السيف والقلم صاحب الدولة والابهة اسعد باشا الصدر الاسبق وكان تشريفه الى بيروت في السابع والعشرين من

شهر ايلول وبعد ان صرف بضعة ايام فيها صار الى الشام مركز الولاية الجليلة .
وفي ليلة الاربعاء ثامن شباط مسيحية سنة ١٨٧١ توفي في هذه المدينة الامام الفاضل والعالم الكامل اللغوي النحوي والبارع اللوذعي من اشتهر بفنون علوم العربية كاشتهار النار في افق العلم وصار في ميدان السباق من الشهرة ما يكف عن وصفهِ القلم الناثر الاديب والشاعر اللبيب الشيخ ناصيف اليازجي وهو قد حاز اعلى درجات الفخر ولهُ الكتب الشهيرة التي منها فصل الخطاب وارجوزة الصرف وجوف الفرا وهي ارجوزة في النحو قد وعت اشهر واعم الاساليب المستحسنة وعقد الجمان وهو يشتمل على المعاني والبيان والبديع والعروض ولهُ المقامات المعروفة بمجمع البحرين فهي اشهر من ان تذكر وقد قرظها اشهر شعراء الامة العربية وابرعهم . ولهُ ايضاً كتب شتى تشهد لهُ بالفضل وتلامذتهُ تلألأت بانوار المعارف والعلوم وكان رحمهُ الله بالغاً جداً في نظم الشعر فلهُ قصائد يحق ان تسطر بماء الذهب وقد تواردت اليهِ من كل قطر رسائل الشعراء مثنية على حسن اوصافهِ فاجاب بما يفتن الالباب وقد جمعت مراسلاتهُ بكتاب دُعي فاكهة الندما من الاطلاع عليهِ يعلم شان وقدر كذا شخص قلما يجود الزمان بمثلهِ
وكان لها هيكل عظيم لم يبقِ الزمن سوى اثارهِ ويدعى دير القلعة واما الماء فكانت تاتيها فوق قناطر شهيرة لم تزل حتى الان وهي المعروفة بقناطر زبيدة التي اثارها قائمة في وادي مجرى نهر بيروت واختلف في حقيقة باني هذه القناطر فقال بعضهم زنوبيا ملكة تدمر وذهب اخرون الى ان الباني هو بطليموس ايبفانوس الذي حكم سنة ٢٠٤ والماء الذي كان ياتي بيروت عليها منبعهُ ينبوع نهر بيروت حسب قوم وحسب اخرين من ينبوع العرعار واما الاثار والحجارة الشهيرة وما اشبه التي وجدت في هذه المدينة فهي اشهر من ان تذكر وعلى باب الدركة عتبة منقوش عليها طروس باليونانية تفسيرها ايها الداخل في هذا الباب افتكر بالرحمة وفي المقام المعروف بالرجال الاربعين لم يزل يشاهد المتامل عواميد قائمة ومطروحة قد ظن بعضهم انها مكان المجلس

العالي الذي كان يقام في بيروت

وما يبرهن عظم هذه المدينة السالفة هو انهُ اخبرنا التاريخ انهُ وجد وضرب فيها نقود باسم انطيوخوس الرابع وهو بها متوجًا وملتفت للشرق من الجهة الواحدة ومن الاخرى صورة (نبتون) اله البحر ثم باسم ديمتريوس الرابع المتملك سورية سنة ١٤٦ ق م فهو من جهة صورة راسهِ متوج ملتفت للشرق ومن الاخرى صورة (نبتون) واقفًا وبيدهِ صورة وحسب بعضهم سوط واهل بيروت اي سكانها قد اشتهروا قديمًا وهي الان آخذة بالنجاح والتقدم يومًا بعد يوم فقد كثرت فيها اولاً المدارس التي ربما ترجعها يومًا ما لسالف ما كانت عليهِ من الاشتهار فانهُ يوجد فيها عدة مدارس الاولى المدرسة المعروفة بالكلية المختصة بالمرسلين الامركانيين وهي مقسومة الى قسمين الاول المدرسة الطبية وهي التي فيها يدرس الشبان الكاملو السن الدروس الطبية على يد اشهر الاطباء والثانية العلمية وفيها يدرس العلوم الرياضية والفلسفة والكيميا والنبات والهندسة والطبيعيات والمساحة وسالك الابحر والمثلثات والهيئة وغيرها من اللغات كالعربية والفرنساوية والتركية والانكليزية بسعي كلي وهي نظير استعداد لتعليم الطب وقد ظهر من هذه المدرسة بغيرة من تولى زمامها عدد وافر من الشبان الذين انهوا دروسهم الطبية وابانوا لنا بواسطة معالجاتهم الشهيرة ثمر ما قد جنوهُ كما وقد ظهر من تلامذة القسم الثاني عدد وافر ممن درس العلوم واللغات متكللين بشهادة بكلوريوس الدالة على انهائهِ دروسهُ العلمية ومركزها في منتهى راس بيروت وهي تبعد نحو ربع ساعة عن الخستخانة البروسيانية وهي من اشهر مدارس القسم الاول وثانيًا المدرسة الوطنية الموسسة بسعي صاحب الغيرة الوطنية عزتلو بطرس افندي البستاني وهذه المدرسة هي اقدم مدارس القسم الاول ومن اشهرها قد اشتهرت بدرس العلوم واللغات العربية والفرنساوية والتركية والانكليزية واليونانية وعلم التصوير والبيانو وغيرها وهي الان ساعية سعيًا وتقدمًا عظيمًا والثالثة البطريركية المشيدة بمساعي كلي الغبطة غريغوريوس يوسف بطريرك

الروم الكاثوليك ومركزها في حي المسيطبة من اجمل احيا المدينة وفيها تلامذة من سائر الاقطار ويدرس فيها العلوم واللغات العربية والفرنساوية والتركية والانكليزية عدا عن علوم اخر رياضية ومعلموها من المشهورين بالمعارف والادب ثم مدرسة الروم الارثوذكسية والمدرسة اليسوعية وهي تحتوي على جملة مكاتب للذكور والاناث واما اشهر مدارس النسم الثاني فمدرسة الراهبات العازارية بالقرب من باب الدركة ما زال يبذل الجد روساؤها بتهذيب البنات السوريات وهم بغاية الشفقة على الفقراء والمساكين ثم دير الراهبات البروسيانية وهو مشهور ايضًا ثم المدرسة الكلية السورية الانجيلية المؤسسة من مادام بوين طمسن مع توابعها وهي في ذات حي المسيطبة بقرب المدرسة البطريركية ومادام بوين طمسن المذكورة اسست جملة مدارس غيرها في بيروت وسائر الاقليم السوري ولها الفضل الجزيل رحمها الله وفيها يوجد معلم لتعليم العمي ذكورًا واناثًا القراءة بواسطة حروف نافرة وهذا جدول المكاتب والطلبة الموجودة في مدينة بيروت سنة ١٨٧٢

عدد طلبة	عدد مكاتب	مكاتب ابتدائية
مكاتب صبيان ابتدائية لتعليم القراءة والكتابة العربية وفي بعضها الفرنساوية		
١٠٣١	١٦	مكاتب اهل الاسلام
٨٤٧	١٤	مكاتب الروم الارثوذكسيين
٧٠٣	٧	مكاتب الموارنة
٩٠	٣	مكاتب الروم الكاثوليك
٣٠	١	مكاتب الارمن
٣٦٠	٢	مكتب القسوس اليسوعية
١٠٥	٤	مكاتب اليهود
٥٠	١	مكتب فتوريني
٣١١٦	٤٨	

عدد طلبة	عدد مكاتب	تابع مكاتب ذكور ابتدائية
٣١١٦	٤٨	
١٣٨	١	مكتب الجمعية الاسكوتسية
١٥	١	مكتب العميان
		مكاتب اناث ابتدائية للخياطة والقراءة العربية
٣٤٠	١	مكتب الروم
٤٥	١	مكتب سكوتلاند
٧٥٠	١	دائرة الراهبات العازارية (ومن اصلها مدرسة داخلية)
٢٣٨	١	دائرة الراهبات العازارية لليتامى (داخلية)
١٣٠	١	مكتب الراهبات البروسيانية
١٣٠	١	مكتب الراهبات الناصرية الفرنساوية
٦٦٧	٨	مكاتب جمعية انكلوسريان ومنها مكتب للعميان
		مكاتب كبرى (بانسيونار)
		مكاتب صبيان للعلوم واللغات المتنوعة
٢٠٥	١	المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك
٣٠٠	١	المدرسة الوطنية لعزتلو بطرس افندي بستاني
٠٦٦	١	المدرسة الامركانية الكلية السورية للعلوم والطب
٥٩٣٠	٦٧	مجموع عدد الطلبة تقريباً ٥٩٣٠ خمسة الاف وتسعماية وثلاثون وعدد المكاتب ٦٧

وفيها ايضاً نحو احدى عشرة مطبعة وكلها مختصة بالنصارى والان مبادر

المسلمون لتاسيس مطبعة خاصة لهم وفيها ينشر جملة جرائد تبلغ نحو عشرة فمنها حديقة الاخبار والجنة والجنان والجنينة والبشير والثمرة الاسبوعية والنجاح والتقدم والطبيب وكلها باللغة العربية النفيسة سوى الحديقة فانها عربية فرنساوية وكادت تضاهي الجرائد الاوربيــة المشهورة بما تغرسهُ من جذوع المعارف وسط رياض المدينة واشهر حماماتها الحمام المعروف بالحمام الجديد جانب باب الدركة ويوجد فيها ايضًا عدة مستشفيات فمنها البروسيانية ثم العازارية ثم مستشفى العسكرية وفيها عدد يسير من الصيدليات المتقنة واطباء مشهورون وبسبب عدم الرخصة بتعاطي فن الصيدلية دون شهادة حضر هذا المولف الفقير وبعد تقديم الفحص في دار السعادة نلت الشهادة وما ذلك سوى صيانة على حقوق الصيدلية المختصة بنا وهي جانب الدركة واذا اخذنا بالتمعن نراها من اجمل وافضل بلدان الاقليم السوري تربة وهواء فشتاؤها ربيع وصيفها بالنسبة الى غيرها مقبول وقد يشتد فيها الحرّ في بعض السنين انما بعض التجار وغيرهم يصرفون اشهر الحر في الجبال وهي في المملكة العثمانية واهلها يبلغون نحو ثمانين الف نسمة ما بين اسلام وروم وموارنة وكاثوليك وبروستانت ويهود واوروباويين وغيرهم واغلبهم منصبون على اكتشاف المعارف والعلوم ومما يشهد لنا بنجاح هذه المدينة الابنية والعمارات الجميلة المقامة فيها والتي تجدد في كل يوم وفيها نحو ثلاث وعشرين كنيسة وخمسة عشر جامعًا التي اقدمها جامع السراية وقد توفي فيها جملة معلمين ممن اشتهروا بالاداب والعلوم . انتهى

صيدا

هي صيدون القديمة وقد تسمت هكذا نسبة الى صيدون بكر كنعان بن حام بن نوح عليه السلام وهي حسب ما يتضح من كلام اشهر المورخين انها اقدم من صور وهي الى الناحية الجنوبية بينهما مسافة يوم على ساحل البحر وقد اشتهر سكانها بالتجارة وسفر البحر وبالارجوان الذي به سطر فضلهم في صحائف التاريخ

وفي سنة ١٨٤٠ هدمت المدافع الانكليزية جانبًا من سورها وقلاعها المتينة وقد فتحت ابوابها الجنود اسكندر المكندوني وكان اخذها نحو ٧٢٠ سنة ق م شلمناصر ملك اثور ثم انها خضعت لسطوة الملوك المصريين والسوريين ثم للرومانيين واخبر مولف القاموس العمومي انه في سنة ١٠٢٥ خضعت لسبريس وبعدما خضعت للافرنج تسلمت الى الملك صلاح الدين الايوبي سنة ١١٨٧ ثم استرجعها الافرنج وبقيت في يدهم حتى سنة ١٢٩١ قال مولف سورية في وجه ٢٤ من المجلد الثاني من كتابه الشهير ولننزلن الساحل البحري المرمل على مسافة ١٧ و٨ فراسخ من مدينة بيروت بعدما نكون قطعنا امواج ذلك النهر المسمى بالدامور الى تلك البقعة التي بها مدينة صيدا الشهيرة سابقًا ولندع التاريخ يخبرنا ويعلمنا عما حازته هذه المدينة من الافتخار والسطوة العظيمة التي لم يبق لها اثر فاذا امعنا النظر نرى ان هذه المدينة متاخرة كثيرًا بالنسبة الى عصرها السالف ولعمري ان تلك البقعة التي كانت مزهرة قدمًا قد اعتاضت بالعمارات الجميلة التي كانت تحيط باواب بحرية بها كانت ترسو المراكب العديدة بنباتات الطبيعة التي تعجب المتامل فان اثار تلك السراي المذخرفة بالبناء السامي المزدهر قد ابادها كرور الزمن وقابل حادثات جرت بها وتلك القلعة التي كانت ابراجها متصلة بها بواسطة جسرمتين قد هدمته منذ يسير المدافع الانكليزية ولم يبق من تلك المبتدعات التي اوجدتها تلك الامم الفينيقية المشهورة والرومانية واليونانية سوى اثار ازقة وسخة وتعلات مشحونة بالحجارة المتراكمة ورمال هائلة ومنذ ابتدا حكم الباشاوات كان عدد سكانها عشرين الف نسمة غير انه منذ خمسين سنة اخذ بالتناقص حتى انه بالكد يبلغ ربع العدد المذكور واذ ذاك ابتدا الاورباويون ان يهاجروها رويدًا رويدًا حتى لم يبق منهم ما بالكد يذكر وقال اخيرًا على الساحل الغربي في السلسلة اللبنانية على السواحل البحرية توجد مدن شهيرة قدمًا وهي طرطوس طرابلس بيروت وصور وصيدا التي لم تزل سكرى من خمرة صيتها واشتهارها السالفين

واما تجارتها فكانت شهيرة جدًّا غير انها قد تحولت الآن الى مدينة بيروت مع ان نسبة الايالة لم تزل الى صيدا وذلك باعتبار الوضع وكانت دار الوزارة حتى زمن احمد باشا الجزار الذي قد اختار عوضًا عنها مدينة عكا نظرًا لما كانت ولم تزل مشتهرة من الحصانة القوية وهذه المدينة منذ تسليم الافرنج اياها ثانية حتى اوائل الجيل السابع عشر بقيت في حالة الدمار والخراب وابتدا الامير فخر الدين المعني المشهور ببناء ابنية فيها وفي ذلك الاوان كان للفرنساويين بها تجارة واسعة مشهورة اذ ان صيدا كانت على نوع ما عاصمة بر الشام غير انه في سنة ١٧٩١ طردهم منها احمد باشا الجزار واما قرية صرفند فهي الى جنوبي صيدا على طريق مدينة صور واذا نظرنا حاليًا الى هذه البلدة نراها حاوية من السكان ستة الاف نسمة وبها الرياض والحدائق الجميلة المزدانة بكل ما لذّ وطاب من انواع الفاكهة والاثمار كيف لا وجنائنها الواسعة المتقدمة امام المشاهد توضح ذلك بالامتحان ومنظرها عن بعد كعمارة خائضة او ثابتة بين امواج البحر العجاج وقد انتقلت اليها في سالف الزمن مدرسة الشرائع الرومانية التي كانت في بيروت واما مياهها فمن ماء النهر الذي يعد من افضل المياه عند مخرجه من الباروك غير ان ذلك الماء يتكدر كثيرًا لدى وصوله الى المدينة وذلك بسبب خوض المواشي به وجريه مسافة طويلة تحت الشمس ومخالطة بعض اوساخ ويدخل الى المدينة في اقنية مبنية تحت الارض فيصل سخنًا غير انا قبل ان ننهي كلامنا عن هذه المد[illegible]ل ان فطانة اهلها وحذقهم الشهير يوديانهم يومًا ما الى ايصال بلدتهم الى م[illegible]تلك الدرجة السامية الذين طالما بسعيهم وغيرتهم سبقوا الشعوب حتى اخيرًا بوفور سعيهم الكامل قد رتعوا برغد العيش . . . . قال بوجولا احد السياح المشهورين ان صيدون المشهورة في الزمن القديم ليست الان سوى قرية صغيرة واما عمق المياه التي كانت ترسي بها اشهر مراكب العالم فلا ينيف عن متر واحد واذا امعنا النظر في هذه المدينة نرى انها كانت مهد المعارف والعلوم وقد دعاها القدماء ام كل

المدن الفينيقية ومصباح العالم واهلها قد استنبطوا فن سفر البحر والحروف الهجائية و بذلك قد اقاموا لهم ذكرًا سوف يخلد مدى الدوران وانهُ منذ وفود الصليبيين اختصت بملوك لاتينية وقبل وصول لويس التاسع حاصرها الاتراك وهدموا اسوارها وفي سنة ١٢٥٣ بنى هذه الاسوار ملك فرنسا وكان يشتغل بها ما ينيف عن مائة الف فاعل ولم يمضِ زمن الا وهاجم التركمان الساكنون في رؤوس الجبال المجاورة اهالي هذه المدينة وذبحوا منهم الفي شاب مسيحي فالقديس والملك لويس كان وقتئذٍ في صور فلدي استماعهِ ما حل في سكان صيدا جمع قسمًا من جيوشهِ وهاجم التركمان وكسرهم فانهزم هولاء مدبرين وكان ذلك بقرب بانياس على مسافة يوم من صيدا الى ان انتهى اخيرًا وقال ان صيدانيين عن بعد كمارة عائمة على وجه ذياك البحر العجاج المتلاطمة امواجهُ وهي الان بلدة بها عدد وافر من الرياض النامية بها انواع الفواكه اللذيذة ولا شك انها سوف تتقدم يومًا فيومًا حتى تدرك ما قد خصانة في غابر الزمان

قيل ان بانيها هو صيدون بن كنعان بن حام بن نوح نحو سنة ١٩٠٠ للخليقة في اوائل الجيل السابع قد اقام بها الامير فخر الدين المعنى ابنية جميلة وكانت لها تجارة واسعة وهي الان ملتوية الاسواق ضيقتها وكان من الممكن ان يشاهد اثر ميناها الجليلة التي لم تزل كانها صخور طبيعية وفي هذه الميناء نقدر ان نوكد ان صيدا بقيت في محلها الاصلي والى ناحية الجنوب على بعد نحو نصف ساعة نشاهد برجًا يدعى المنطرة يظن انهُ كان احد هياكل عشتروث ووجد بهِ صنم ويظن ان جملة محلات كانت مركزًا لعبادة الاصنام كقلعة المستعزة ومقام مار الياس وغيرها ووجد في هذه المدينة من الاثار ما يشهد بقدميتها منها ما ظهر في سنة ١٨٤٣ وهو ناووس من الرخام وعليهِ تصاوير نافرة جميعها اشخاص كانها كانت في معمعة حرب بعضها على الخيول وبعضها على الاقدام وكانوا قد اخرجوا قطاهذا الناووس قبل بعامين وكان عليهِ صورة حرمة ورجل

وفي شهر كانون اول سنة ١٨٥٢ وجدوا ببستان الدويدر حينما كانوا يحفرون الارض ثلاث قلل رصاص فيها مسكوكات ذهبية اخفتها النعلة الى ان ظهر اخيرًا هذا الامر لدى الحكومة وصار تحصيلة منهم وكانت السكة سكة فيلبس وسكة ولده اسكندر وكان وزن الواحد مثقاليت الا ستة قراريط وسكة فيلبس كانت من الناحية الواحدة صورتهُ ومن الاخرى مركبة براسين من الخيل ومكتوب عليها اسم الملك باليونانية وسكة اسكندر كان مكتوب عليها من الجهة الواحدة صورتهُ وعلى راسهِ الخوذة ومن الجهة الثانية صورة الهة مختلفة وفي ١٩ كانون ثاني سنة ١٨٥٤ وجد ناووس عظيم كان محفور عليهِ اثنان وعشرون سطرًا باللغة الفينيقية وترجمتها هكذا . في شهر بول في السنة ١٤ توفي الملك اشمونعيد ملك الصيدونيين بن الملك تينبت ملك الصيدونيين قال الملك اشمونعيد ملك الصيدونيين انا قد حملت قد ابتلعت في مدفني انتهت المشقات في رواقي وانا راقد في حظيرتي وقبري في موضع قد بنيتهُ ودعاي مع دعا كل الممالك هو ان لا يفتح احد موضع راحتي ولا يدخل داخل موضع رقادي كيف حالة البشر في محل نومي ولا ينزع حيط مكان راحتي ولا يرفع ما داخل موضع راحتي ان دخلت موضع راحتي وان كنت انسانًا الحاكم الاعلى بل فلنسمع دينونة من كل الممالك والذي يفتح مكان مراحتي والذي يرفع ما داخل مراحتي فلا يكون لهُ راحة بين الجبابرة ولا يدفن في قبر ولا يكن لهُ عقب وليكن لهُ شر في الموضع السفلي ومن عصا فليدن من الالهة المقدسين ومن المملكة بواسطة السلطة العظمى لابن ملك الصيدونيين على الممالك من فتح مدخل موضع راحتي من رفع حائطي فليختبر في نفسهِ صحة هذا القول ليت من فمل لا يعدلهُ حقل راحة لذيذة بين معالي النور بين العائشين تحت الشمس مثل راحتي قد حملت قد ابتلعت في مدفني انتهت المشقات في رواقي انا اشمونعيد ملك الصيدونيين ابن ابن الملك اشمونعيد ملك الصيدونيين بن الملك تينبت ملك الصيدونيين وامي معشتروت كاهنة عشتروت سيدتنا وملكتنا ابنة الملك اشمونعيد ملك الصيدونيين

ها قد بنينا بيت الالهة بيت حكم البر والبحر وشيدنا بيت عشتروت فليتعالَ اسم النور نحن الذين بنينا بيت امنا رحبًا غنيا النور على الاكمة وبنينا مقامي ليتعالَ النور وبنينا الهيا كل لالهة الصيدونيين في صيدا البر والبحر هيكل بعل صيدون وهيكل عشتروت يتعالى اسم بعل حتى يعطينا رب الملوك فخر اللذة والحسن بلاد سورجنة الساحل قد امتلكنا المحاسن التي وضعت لاجل سرانوس وزدناها قلاع اطراف البلاد لحماية الصيدونيين الى الابد . انتهى . وفي سنة ١٨٥٥ وجد ناووسان بهيئة واحدة لم تكن عليهما كتابة قط وعلى الغطا صورة راس لقرب الاكتاف وظن انها صورة عشتروت وفي شهر شباط سنة ١٨٥٩ وجدت قلة صغيرة على مسكوكات نحاسية وعليها صور مختلفة بعضها صورة الاثني عشر برجًا وبعضها صورة هيا كل وبعضها صورة الهة للوثنيين وجميعها سكة قضا صيدا وعلى التكليس تصاوير طاووس وعصافير واشجار ملونة جميعها وربما ان هذه المغارة هي احدى المدافن في هاتيك الاعصر التي قد مرت

صور

هي الى الناحية الشمالية من عسقلان على مسافة يوم ونصف من عكا من اشهر مدن العالم ومن مطالعة تواريخ المتاخرين يتضح لنا جليًا انها قد امتطت قدمًا جواد التقدم والنجاح وهي على راس لسان داخل في البحر تبعد مسافة يوم عن جنوبي صيدا وقيل ان بختنصر هدمها سنة ٥٧٢ وبعد برهة جدد بناها وخرابات صور تدعى صور القديمة وكان لها بابان وكانت اسوارها منيعة جدًا وهذه المدينة كانت ملكة البحر وقد كونت مملكة من اشهر ممالك الفينيقية وكانت مولد اشهر فلاحي الكرة باسرها وتجارتها امتدت حتى الاوقيانوس الاتلانتيكي وحكمها كان جمهوريًا في الفترة منذ سنة ٥٧٢ الى سنة ٥٥٤ ق م واشهر لنا التاريخ اسم احد ملوكها بيكماليون اخ ديدون واما معبوداتها فكانت ملكارت الملقب بهركوال واسترته اوفهنيس وعوز

وادونيس وفي سنة ٣٣٢ استفتح هذه المدينة البطل الهمام المشهور بالشجاعة اسكندر بن فيلبس المكدوني الملقب بذي القرنين وذلك لان صور بقيت وحدها غير خاضعة له لما دخلت سورية وفينيقية في ادارته واذ دنا منها اجتمع الصوريون معًا واتفقوا على انهم يرسلون اليه هدايا واشيا فاخرة تكون لايقة بشانه بيدان الاسكندر اراد ان يدخل الى صور كي يقدم بها ذبيحة لهرقل فلم ياذن له الصوريون بالدخول. واذ ذاك القى عليهم الحصار ليخضعهم لاوامره فاستعد الصوريون للمدافعة عن انفسهم فكان لصور سور علوهُ مائة وخمسون قدمًا محاطًا بالبحر فحصنوا الاسوار وازخروا في بلدتهم اوفر المون وقلدوا شبانهم السلاح ولم يفتروا في ذاك الوقت عن ان يشتغلوا ليلاً ونهارًا في عمل الاسلحة واما الاسكندر فاذ راى ما هم عليهِ من البسالة والاستعداد للمدافعة وقوة اسوار المدينة خاف من اطالة الحرب فارسل حسبما اخبرنا التاريخ رسلاً يخابرونهم بالصلح ولكن لم ينجح بمقصدهِ اذ ان الصوريين استقبلوهم بحد السيف واهانوا قدرهم الامر الذي سبب غيظ الاسكندر وحينئذٍ غار على جواد الافتكار الى ان اتت فاكرته براي مديد وهو انه عزم على بناء سد في الماء وكان ذلك سهلاً عليهِ نظرًا لما كان في صور القديمة التي كانت بازائهِ من الحجارة والاخشاب الوافرة اللازمة لتكميل مقصدهِ وقد استجلب من لبنان الذي لم يكن بعيدًا عنهُ ما احتاجهُ بعد ذلك وكان هو بنفسهِ مناظرًا على الجنود المنهمكة بهذا العمل ونظرًا لبعدهم عن السور وعدم استطاعة المحاصرين على الخروج اليهم كانوا يشتغلون دون مانع غير انهم كانوا كلما اقتربوا من المدينة كانوا يصادفون مشقات اكثر من جرى عمق البحر وسهام الصوريين وكان اهل صور يقولون لدى مشاهدتهم جنود الاسكندر حاملة ما يلزم لسد الماء انظروا ما اجمل من ان نرى قاهري العالم حاملين على ظهورهم كالحمير ساخرين بهم ولما صار السد كافيًا للاستحكام على المدينة خرج الصوريون مقلدين باوائل الحرب وفتكوا بالفعلة حتى ابادوا قسمًا وافرًا منهم ولم ينفكوا عن فعلهم حتى هدموا كلما كانت

الجنود المكدونية تعبت ببنائهِ وانزلوا مركباً مملوءًا من الكبريت والقطران مع مواد اخرى قابلة الالتهاب ووضعوا في سواريهِ زيتاً وفي موخرهِ حجارةً ورملاً غزيراً لاجل احراقهِ واذ سنحت لهم الفرصة خرجوا الى السد واضرموا النار في المركب ونجوا هم بانفسهم فهبط السد وصارت تلك الجمعة النارية المهولة ورام المكدونيون اطفاء قسم من تلك النيران المشبوبة غير ان سهام الصوريين التي كانت تنحدر عليهم كالمطر من اعلى السور منعتهم عن ذلك فحينئذٍ هلك كثير من الفعلة فالقى البعض انفسهم في البحر والاخرون كابدوا اشد العذابات واما ذلك فلم يضعف قوة ونشاط الاسكندر بل ضاعفها حتى صار السد قريباً للسوريين بيد ان ريحاً عاصفةً هبت فهاجت امواج البحر ومن عظم غلوها هدم ذلك السد فكاد الاسكندر يقع في ورطة الياس وقال ان هذه المدينة هي ملكة البحر حقاً فاتحد مع ملك قبرص وهيا سفناً حربية وافرة وابتدا ان يهاجم صور وارسل برفقة ملوك قبرص والسواحل الفينيقية مراكب للقتال ورام الصوريون خرابها ولكن انكفوا عن العمل اذ علموا ان تلك المراكب منتظرة اخرى فلبثوا في المينا سادين الطريق عن السور واذ ذاك تقدم الاسكندر نحو الجزيرة ولم يتوقف عن القتال سوى لدى مشاهدته ضيق المينا فانتظر النجدة وكان اذ ذاك السد قد تحسن وكمل فاتى طبق مرغوب الاسكندر وما ذاك سوى بعد مشقات وافرة فوضعوا عليهِ كل نوع من الالات لهدم الاسوار بضرب المنجنيق والسهام النارية ووضعت السفن القبرصية في مقابلتهِ فنهيا الصوريون للممانعة من جهة السد وكانوا ياتون بالقوارب ويقطعوا حبال السفن قيل انهم كانوا باوائل هايلة يحمون الرمل لاعلى درجة ممكنة ويطرحونهُ من فوق الاسوار على الجنود المكدونية فكانت تدخل دقايقهُ بين اثوابهم وتحرق اجسامهم واما الاسكندر فلكي يمنع الصوريين عن قطع حبال السفن ربطها بسلاسل حديدية واذ ذاك ارسل الصوريون نساءهم واولادهم الى قرطجنة قيل انهُ كان تمثال ابولون في تلك المدينة وكان يسجد لهُ كل الصوريين في

احدى ليالي الحصار راى احد السكان ان ابولون سيتركهم ويذهب الى الاسكندر فقام مرتعبًا واخبر بذلك الاهلين فهرعوا جميعًا الى ابولون وقيدوهُ بسلاسل ذهب وربطوهُ على مذبح هرقل ليمنعوهُ من الفرار ونزل الصوريون اخيرًا الى المراكب القبرصية وغزوا ما كان بها واولا مبادرة الاسكندر الى ردهم لتجمعت الخسارة وهذا حمل الملك المكدوني اي الاسكندر الى جمع جيوش وافرة ومهاجمة اخيرة قال المورخ فحدثت اذ ذاك موقعة قلما ياتي تاريخ العالم بذكر شبيه لها لانهُ انتشب القتال الشديد فكان الفريقان يتصارعان كالاسود وقد تسلق الاسكندر بنفسهِ على برج من الصور وكان بالهيئة الملوكية وملابسه الذهبية فكان هدفًا لمطامع الاعدا فاظهر كل بطش وشجاعة ويدهِ اباد حبوة قسم ليس بيسير من حامي الاسوار وبذاك شجع جنودهُ فتملكوا برجين وخرقوا الصور بضرب المنجنيق فهدمت بعض جوانبهِ ثم امتلكوا القلع واخذوا المدينة من الجهة البحرية وقد زاد نشاط المكدونيين الذين لم يفتروا عن الاخذ بثارهم من الصوريين الذين وقعوا في ورطة الحيرة اما الاسكندر فاصدر اوامرهُ بابادة اهل صور واثارهم ما عدا الذين هم ضمن الهياكل اذا كانوا بنات واطفالاً وامر باضرام النار في كل مكان وقد نجا بواسطة مراكب صيدا قسم من الشيوخ اما عدد الماسورين من الاهالي والغربا فبلغ ثلاثين الفًا بيعوا جميعًا وقد اخبرنا المورخون ان الاسكندر اخذ الفين من الاسرى وربطهم بعضًا ببعض وصفهم على ساحل البحر وهناك صلبهم ثم قدم ذبيحة الى هرقل بالاحتفال الوافر وفك قيد (ابولون) ودعاهُ (فيلالسكندر) اي صاحب الاسكندر فخربت صور تمامًا ولم يمض زمن طويل حتى رجع اليهـا بعض من الذين خلصتهم المراكب الصيدوية وتعاطوا التجارة وبنوا باعتناء خرابات مدينتهم وعادت اليهم البنات التي ارسلت لقرطجنة وحينئذٍ كانت صور اتصلت بالبر بواسطة السد الذي كما سبق الكلام قد امر الاسكندر ببناءهِ بواسطة البحر الذي كان يقذف عليهِ رمالهُ فاستولى ذلك الرحيق وصار ارضًا فخسرت ملك البحر وبعد ١٨ سنة

حاصرها انطونيوس قيصر فرماها هذا الحصار بالاستعباد والاهمال ثم تنبهت ورجعت الى مسراها وكادت تحصل تالك الدرجة العليا وقد انصب اهلها على ارتكاب الفواحش فتطهرت اخيرًا بدخول الانجيل اليها وقد ازدهرت في زمن الصليبيين ازدهارًا مدهشًا الى ان خرجوا منها سنة ١٢٩١ وخربت خرابًا كاملاً لم يزل يتزايد حتى يومنا هذا وفي سنة ١٢٠ ق م نال الصوريون الاذن ان يساسوا بشرايعهم الذاتية ثم وقعت تحت سطوة الرومان ثم تسلط عليها الاتراك . وفي سنة ١١٢٤ اخذها الصليبيون والفرنساويون سنة ١٧٩٧ وكانت من اشهر مدن العالم واليها ينسب استنباط لون الارجوان الجميل فحسبما قيل انهُ في شهري حزيران وتموز من سنة متاخرة جدًّا قذف البحر اصدافًا الى ساحلهِ الرولي فصدف وجود بعض اولاد بذلك الساحل فجُلب مقدارًا وافرًا من هذه الاصداف التي اذ رفعت من الماء ولدت لونًا مزرقًا اخضر مائلاً الى البنفسجي فنشروهُ على خرق بيضاء واضافوا اذ ذاك قليلاً من الصوديوم وهو معدن موجود في الطبيعة مع عصر ليمونة صغيرة فظروها اذ ذاك مصبوغة باللون الارجواني الجميل غير ان ذلك لم يوكد في كتب المورخين مع اننا نرى جيونيس مدير الكورنثينا في صور ارسل هذه الخبرية الى ديوان جمعية نابلي العلمية كي تثبتهُ وقد قال موالف سورية لدى تمعنهِ في احوال هذه المدينة الحالية عجبًا من ان نرى صور قد اعتاضت بالمواشي عن تلك الجنود الابطال التي كادت تنهر الاسكندر ملك العالم باسرهِ ومن ان نراها خالية من مدرسة مع انها هي المحل الاول الذي منهُ بزغ نور العلم للعالم اذ ان اهلها هم الذين استنبطوا الحروف الهجائية حسب قول بعضهم وافادوا بها العالم باسرهِ واعجب من ذلك نرى ان مالكة البحر خالية من مركب في ميناها هذا وقد يشاهد بتاثر اثار قناة كانت تجري منهُ المياه الى مدينة صور ومنهُ مياه راس العين الغزيرة الغائرة من تنور محصورة فيهِ ومن هذه المياه تسقى البساتين المجاورة وراس العين يدعى ايضًا ابار سليمان اذ ان هناك مجموع ثلاث ابار تذكرنا باهمية وقدمية

المدينة السورية المشهورة

واهل صور يبلغون الان نحو ٣٠٠٠ نسمة ومعظم تجارتهم القطن والفحم والدخان فمن ذا الذي لا يندهش لدى تعنو بحالة هذه المدينة التي خضعت لسطوتها اشهر ملوك العالم ومشاهدته اياها الان مردومة وبالكد يحق ان تذكر غيران الطمع في الاستيلاء على زمام النجاح يجعلنا ان نوخر احزاننا على حالة هذه المدينة راكبين تخت الامل باهل وعسى ان تستفيق من رقادها المستطيل

عكا

هي على مسافة يوم ونصف من جنوبي صور ودعيت قديمًا عكا ثم بطولومايس على اسم احد بطليموسية مصروهي في (٣٢°٤٦′٠ طول شرقي و٣٢°٥٥′٠ عرض شمالي) ومركزها على البحر على مسافة ١٢٢ كيلومترًا عن جنوبي اورشليم ومن مطالعة التواريخ يتضح ذلك جليًا غير انها لا تعد الان سوى من خرابات الاقليم السوري واشتهرت بحروب كثيرة بين المسلمين والافرنج الصليبيين حتى ايام الملك الاشرف ابن الملك الظاهر برقوق فاستلمها واستمرت تحت سطوة المسلمين الى سنة ١٧٩٩ وكان اخذها الجركس من الصليبيين سنة ١٢٩١ ومن الجيل الخامس عشر الى الجيل الثامن عشر استولى عليها الاتراك واستقل فيها على نوع ما الظاهر ثم الجزار وسنة ١٧٩٩ حضر اليها البطل الهمام نابليون الاول المشهور بالشجاعة فحاصرها وكان بها احمد الجزار واياه فقاومه مقاومة شديدة وضبط عليه البحر القبطان سميث الانكليزي فالتزم نابوليون اذ ذاك ان ينصرف عنها نظرًا لما حصل له من المقاومة وكاد يستولي عليها بعد ان حاصرها ستين يومًا غير انه انصرف بجنوده كما ذكرنا ورجع الى مصر وفي اول يوم من سنة ١٢٤٨ استفتحها ابرهيم باشا خديوي مصر وقبض على عبد الله باشا واليها وذلك عقب محاصرته اياها ثمانية اشهر ومنذ ذاك الحين شرع ابرهيم باشا المشار اليه بتحصينها

وما كان يشترط عن ان يذخربها من الاوايل الحربية ما يكف عن القيام بحق سرده القلم وسنة ١٠٨٤ احضرت اليها مراكب الافرنج وضربتها وفي برهة من الزمن اخذتها . اما بوجولا احد السياح المشهورين قال ان المواقع التي حدثت تحت عكا اشهر من ان تذكر واشهرها تسع مواقع التي باحداها قاوم احد الجنود الصليبية جمهورًا وافرًا من الجنود الاسلامية اذ كان شبيهًا حسبما اخبر المورخ بشيطان جهنمي ومدرعًا بدرع متين وقد اباد عددًا وافرًا من تلك الجنود ولم تقدر الاسهم ولا الاسلحة ان تضرّ به واخيرًا وقع ميتًا بالامطار النارية التي اوقعها عليه اعداؤهُ . قال مولف سورية ان هذه المدينة قد اشتهرت منذ سنين اشتهارًا فايقًا قلما تحصله اشهر مدن العالم فان اليهود كانوا يدعونها عكاء واليونانيون (كون) اما بطليموس فمال الى هذه المدينة ميلاً شديدًا حتى انهُ دعاها بتوله مه باسمهِ وبعدما استولى عليها اليونان والمصريون اصبحت اقليمًا رومانيًا تحت سطوة الامبراطور كلوديوس وفي سنة ٦٣٨ افتتحها المسلمون وفي اوائل القرن الثاني عشر افتتحها الصليبيون واذ ذاك كانت رافلة بيارق الجاه والفخر وكانها درة تتلالا على جبين العالم باسرهِ غيرانهُ غب مرور سنين هدمها وحرقها المصريون الذين قلما فعلوا ما يأول لنجاحها في مدة تملكهم اياها ولذلك قد استوجبوا مذمة المورخين فعسى ذلك يكون نموذجًا لكل من يتولج مهام الامور وادارة احكام الرعايا . ودامت في حيز الاهمال حتى سنة ١٧٥٠ لانها امست اذ ذاك مركزًا لاحمد باشا الجزار الذي لم يتاخر عن بناء جامعها المشهور ويصلح اسواقها . اما سهل عكا فمخصب للغاية غيرانهُ قلما زرع جيدًا فلم يات بالاغلال الواجبة . وقد لام اشهر المورخين احمد باشا الجزار لومًا شديدًا وذلك نظرًا لما اجراهُ في مدة حكمهِ اذ انهُ لم يسمح قط ببيع القطن الى احد سواهُ ولا ان يشتروا لاحد غيره واما صلاح الدين فاذ حاصرها خاف اهلها وغب محاصرتها بيومين استلمها وما ذلك الا لعدم وجود ابطال فيها لان اهلها كانوا تجارًا اما محاصرة الصليبيين هذه المدينة فهو من اشهر واعجب ما

اخبرتنا به تواريخ المتاخرين لانه وفضلاً عن طول المدة التي طواها قد تعالت
قوة الجيشين في حصارها وان صلاح الدين كان احضر (قره كوده) احد
المهندسين الشهيرين حتى يقوي بادارته اسوار هذه المدينة ويجعلها اشهر قلعة
وكان لا يفترعن كلا باول الى تحصينها لانه كثيرًا ما هلكت جيوش مختلفة
الاجناس قبل ان تصل الى تملك اسوارها وقد قال نابوليون الاول لدى
انصدامه عنها بعد محاصرته اياها لو امتلكت عكا لامتلكت الكرة الارضية باسرها
ولنرجعن الى ما كنا في صدده فنقول انه لما علم صلاح الدين الايوبي ان الصليبيين
احاطوا بالمدينة سار راحلاً اليهم بجيوشه الكرارة كي يرى ما الحيلة في انقاذ هذه
القلعة الشهيرة وتخليصها من يدهم غير ان قوات الصليبيين صادمتهم بشدة كلية
فذهبوا حالاً نحو الناحية الشمالية التي كانت بها الجيوش الصليبية قليلة العدد
وبقوة فائقة الحد فتحوا طريقًا لهم ومروا داخلين الى المدينة غير انهم اذ دخلوها
اخذوا في الاهمال وعدم اقتفاء اثر اعدائهم وابتداوا ان يتنزهوا وارسلوا خيولهم
نحو ينابيع المياه بينما كان الصليبيون يستعدون للكفاح والقتال مدبرين ومجهزين
جميع ما لزم للقيام بحق تلك الحرب المزمعة ان تنتشر وهكذا لما حدثت في
الغد الموقعة صادف المسلمون تاخرًا وشاهدوا من الصليبيين قوة غير منتظرة
ومنذ ذاك الحين ابتدا كل من الفريقين ان ينهزم مرة وينتصر اخرى واما
صلاح الدين فكان جسورًا هامًا في المواقع وكان دايمًا في مقدمة الجيوش يشجع
جنوده التي ابتدات من ذاك الحين ان تتهامل وترفض النزول الى ساحة
الوغى وعزم اخيرًا الصليبيون على الرحيل اذ بلغهم ان صلاح الدين منتظر نجدة
من الجنود المصرية غير انا نرى ان اشهر المورخين يمدح صلاح الدين على ما دبره
من الحيلة لخلاص هذه المدينة وذلك انه امر قسمًا من العسكر ان يذهب من
العسكر فلدى مبارحة هذا القسم معسكره ظن الصليبيون ان جيوش المسلمين
قد اهملت امر القتال ولم يعلموا ان ما بقي من الجنود لم يزل مستعدًا للكفاح
وهكذا كر جميعهم على ميمنة الجنود الاسلامية وباثناء ذلك تقدم جيش اليسار

الاسلامي وصادم تلك الجنود ولم يمض زمن يسير حتى وصلوا الى المحل الكامن به صلاح الدين مع قسم وافر من جنوده فحدثت هناك موقعة دارت فيها الدائرة على الجنود الصليبية لان المسلمين انتصروا انتصارًا شهيرًا وكادوا يبيدون جميع اعدائهم مع انهم اسروا مقدارًا وافرًا منهم وكان ذلك في اواخر الخريف فطالب المسلمون الذين كانوا مع صلاح الدين في حرب الصليبيين ان يذهبوا بجيوشهم كي يطووا زمن الشتاء في اوطانهم فاجابهم صلاح الدين قائلاً . انا قد انتصرنا على اعدائنا الصليبيين ولكن غب زمن يسير سوف تفاجينا جنود من اوروبا التي لا شك انية للاتحاد مع اعدائنا فاذا ذهبتم وتركتم الان المعسكر لا شك انهم ينتصرون علينا لدى شبوب نيران الوغى فلذلك ارغب منكم جميعًا ان تبقوا واياي متحدين

غير انهم لم يصغوا الى هذا الكلام ولم يقبلوا بتغيير عوائدهم وهكذا ابتدأوا ان يتفرقوا فمنهم من ذهب قاصدا الشام ومنهم من ذهب لبلاد بين النهرين واخرون لبلاد اخر مختلفة واذ علم الصليبيون انحلال القوات الاسلامية ابتدأوا ان يحيطوا بالمدينة وحصنوا محلاً لجنودهم وعدا الحفر التي اقاموها قد بنوا حائطًا ليقيهم من نيران الاعداء . وبنوا اصطبلات لخيولهم ثم انهم اقاموا معبدًا به يقيمون الصلوة ولم تكن جنود صلاح الدين قادرة على ان ترد الجنود الصليبية عن العمل غير انه وافت لاسعافها جنود اسلامية مصرية فاستعدوا للكفاح وبنوا جميع ما يلزمهم لصادمة تلك الجيوش التي كانت معسكرة امامهم اما صلاح الدين نظرا لما كان عليه من الحذق والدراية فلم يرغب ان ينهي حالاً تلك الحرب خوفًا من انه اذا استفتح الصليبيون تلك المدينة لا يكتفون بها بل يتوجهون نحو المدن البحرية وهكذا كان يبذل الجهد والمجهود في اطالة تلك الحرب ورغمًا عما كان موصوفًا به من الدراية كان جيشه غير منتظم مطلقًا وقد اخبرنا المورخون ان جيشه استاذن منه يومًا ما بان يذهب دونه لصادمة الاعداء فاجاب اني لموكد جيدًا ان جيشي بدوني لا يقدر قط ان يكتسب موقعة فان انتصر

بواحدة فلا بد ان ينهزم بثلاث اخرى وهذا هو كاف ليوكد عدم انتظام تلك الجنود وكل من راجع بتامل مطالعة هذه الحروب لا بد من ان يطنب بمدح هذا الملك الشهير الذي رغمًا عما كان محاطًا بهِ من الموانع كتاخر جيشهِ وما اشبه كان دومًا يفوز بالغلبة والانتصار على اعدائهِ . اما الجنود الصليبية فانتعشت مذ وفد عليها هنري امير شامبانيا مع جنودهِ الابطال اليسيري العدد وهكذا تقدم الصليبيون نحو المدينة لمصادمة الجنود الاسلامية ولم يمكنهم ان يفتتحوها بل كانت دومًا ترجعهم القهقرى وهكذا كان صلاح الدين مع جيوشهِ مستعدًا للكفاح وما زاد تاخر الصليبيين اذ ذاك سوى وفود الطاعون والمجاعة فهاتان البليتان اضرتا اضرارًا بليغة بتلك الجنود التي افقدت منها قسمًا وافرًا واشهر من توفوا اذ ذاك امير سواب الذي كان قد وافى من اوروبا لمساعدة الجنود الصليبية وهكذا كانت حالة الصليبيين تزداد تعاسةً بسبب اختلاف قوادها واذ حضر فيلبوس اوغسطوس وريشارد القائدان الشهيران المتفقان لمساعدة الصليبيين اختلفا عند وصولهما فكان ذلك سببًا لتاخرهم ونجاح اعدائهم لانهُ حينما كان حزب فيلبس يحارب الجنود الاسلامية كان حزب ريشارد منهمكًا في الملاهي والملذات وهذا هو السبب الوحيد الذي اعاق الصليبين عن افتتاح عكا غير انهما اتفقا اخيرًا وعمدا على افتتاحها معًا اذ دام حصارها نيفًا عن اربعة وعشرين شهرًا وكانت الموانع تتجدد يومًا فيومًا وقوات الجنود الصليبية تزداد فارسل اذ ذاك صلاح الدين الى الخليفة الذي كان حينئذٍ في بغداد تحريرًا مضمونهُ انهُ من المستحيل ايها الخليفة المعظم ان اقدر اشرح عن عظم قوات العدو العديدة التي تزداد يومًا فيومًا اذ ان عدد الخيالة المعلوم عندنا خمسة الاف وعدد مشاتهم ما ينيف عن ماية الف وقد ابدنا قسمًا وافرًا منهم بالحروب والمعامع والمهاجمات الوافرة غير ان البحر يفاجيهم بقوات جديدة يومًا فيومًا حتى اصبحوا عددًا وافرًا جدًّا وما يزيد ارتباكنا سوى كوننا لا نقدر ان نتجسس اخبارهم فلا نفهم ما يتكلمون خيرًا ام

شرًا واما الجنود التي تاتي لنجدتنا فلا تصل الينا سوى فريسة الاتعاب والمجاعة لكونها وافدة من بلاد بعيدة و بالاجمال اقول ان جنودنا افرغت كامل قواها في الكفاح ولكن لا امل بالفوز فان التعب قد اعيانا فاسمح لاعدائنا ان ينالوا بروجًا بها وافرغوا الامل في افتتاح هذه القلعة الشهيرة انتهى · واذ شاهد الامراء المسلمون ان لا نجاة لهم سوى بالتسليم ارسلوا حاكم المدينة الى فيلبوس اغسطوس قائد الصليبيين ليتخابر معهُ بامر الصلح فابى فيلبوس وطلب تسليم اورشليم مع كل المدن الحصينة الموجودة في فلسطين فلم يقبل الاسلام بذلك وهكذا تجدد القتال الى ان قدم الاسلام للصليبية اخشاب الصليب الحقيقية مع مائتي الف قطعة ذهبية وكسر قيود الاسرى الصليبيين الذين كانوا ينوفون عن خمسة عشر الف نسمة فقبل الصليبيون هذه الشروط واستلموا عكا وابقوا عندهم الحرس المخصوص مع اعيان البلدة كاسرى حتى يستوفوا ما كان عقد بينهم من الشروط وعندما استولى الصليبيون على هذه المدينة اخذوا بالانشقاق والحسد فان كلاً منهم كان يرغب ان يتقلد ادارة مهام الامور حتى ان ريشارد احد القواد تجاسر في ذات يوم ان يرمي (بريث ليوبولدا) القائد الالماني من علو احد ابراج المدينة وذلك كان سببًا كافيًا لالقاء البغضة بين كل منهما وقد كره المعيشة والاقامة في هذه البلد اغلب القواد المشهورين بالشهامة نظرًا لما كانوا يشاهدون من الاضطراب والقلق الوافر بين كتائب الجنود الصليبية واخص من هاجر ربوع هذه العساكر فيلبوس اغسطوس المشهور عند كل مطالع تواريخ هذه الحروب الشهيرة . ثم ان فريدريكوس الثاني مع قصر نظره وقصر قامته كان دومًا يظهر من امور الشجاعة ما يحق بتاريخ الامم ان يفتخر بهِ فانا نرى انهُ حينما اشهر عزمهُ بالمسير الى الافتتاح حرمهُ البابا ولكنهُ لم يبالِ بذلك بل داوم المسير واذ علم الملك الكامل بقوة وبسالة جنود هذا القائد الشهير ارسل اليهِ سفراء يطلب منهُ ان يخمد نيران الفتنة والحرب التي عزم على اثارتها وياخذ مدينة اورشليم وبيت لحم وهكذا دخل الى هاتين المدينتين

وحدهُ دون الاهل فانهم ابوا لسبب كونهِ محروماً وجرى معهُ في مدينة عكا ما شابه ذلك فانهُ عند دخولهِ اياها لم يعتبرهُ الشعب وكانت الهياكل مغطاة والصلبان مطروحة وما كانت الكهنة تتكلم سوى بصوت منخفض جداً واشياء اخر كثيرة اضطرت الامبراطور المذكور ان يهاجر ربوع هذه القلعة الشهيرة وفي سنة ١٢٥١ حينما رجع الصليبيون من محاصرة ومحاربة بعض الديار المصرية كانوا بحالة يرثى لها وذلك من جرى ما المّ بهم من الجوع والاتعاب وما شابه ذلك فاحاط حينئذٍ بعكا قسم وافر منهم مستغيثين باهلها وحينما ظهر ان موت القديس لويس كان واسطة لانهزام الاوروبيين من المشرق اذ بعدهُ وافى ادورد الانكليزي بسبعة الاف جندي ولكن جيوش بيبارس احد سلاطين المماليك قد ظفرت براية الانتصار ولم يكتفِ بما افتتحهُ من البلدان بل رغب وعزم على افتتاح عكا واو لم يداهمهُ الموت لافتتحها مع اورشليم وجوارها قبل ان تكمل سنة الف ومائتين وسبع وسبعين فقام خلفهُ كلاهون وكان شجاعاً ورث الحقد والبغض من سلفهِ فهدم في سنة ١٢٨٠ طرابلس باسرها واقام غيرها وبرهة عشر سنوات هدم اغلب مدن سوريا ولكن لم يقدر ان يفتتح عكا فلدى موتهِ اوصى ولدهُ خليل ان لا يفتر عن افتتاحها والولد لم ينسَ قط وصية ابيهِ فانهُ افتتحها في اليوم الثامن عشر من شهر ايار سنة ١٢٩١ وذلك بعد ما ذاق اهلها الامرّ واشد اتعاب الحصار

جبل لبنان

ان جبل لبنان هو سلسلة جبال تبتدي بالقرب من جبال النصيرية من وادي قلعة الحسن ودير الحميرا التي تمتد اليها السلسلة جنوباً وتنتهي في وادي الليطاني ولسان قلعة الشقيف ومن هناك تمتد السلسلة الى نواحي صفد جنوباً وتنحرف الى جهات نابلس شرقاً والى جنوبي الناصرة ومرج ابن عامر وفي هذا السهل يوجد جبل منفرد يزعمون انهُ الجبل التجلي وهو يمتد مسافة اربعة

ايام في فينيقية وطوله من بلاد عكار الى جبل الكرمل وعرضهُ خمسة واربعون ميلاً من البحر الى اول سهل بعلبك والبقاع واعلى رووس جبالو جبل عامل الكائن فوق مدينة طرابلس يبلغ ارتفاعهُ نحو احد عشر الف قدم . والثاني جبل صنين وهو اخفض منهُ قليلاً . ولبنان هو مستقل بحكومتهِ اي متصرفية وهي معاملتان الاولى تسمى معاملة طرابلس وهي من حدود طرابلس الى جسر المعاملتين وسكانهُ قديمًا سريان وقد كانت لهم شوكة قوية في اوائل النصرانية حتى ان ملوك الروم كانوا يستنجدون بهم مرارًا في الحروب ومن فعالهم المشهورة ايضًا صد معاوية عن اخذ مدينة القسطنطينية وذلك في زمن الملك قسطنطين الحياني وفي سنة ٦٩٤ بينما كان يوستيانوس الملك يحارب بلاد الغرب ارسل يطلب نجدة منهم فلم يطيعوهُ فغضب عليهم الملك واراد ان ينتقم منهم فجهز عسكرًا تحت قيادة قائدين لقصاصهم فقاتلوا جيوشهُ والقائدين وبددوهم فسموا مردة واما الذين اطاعوا اوامر الملك سموا ملكيين وكانت اراضي مسكنهم من حدود الشوف الى بلاد هدريب والثانية معاملة صيدا وهي من جسر المعاملتين الى صيدا وسكانهُ القدماء وثنيون عبدة اصنام . قيل لما حارب الملك داود الفلسطينيين واستظهر عليهم رحل اكثرهم الى جبل عامل ليستنجدوا بالفلسطينيين القاطنين هناك فتوطنوا هناك ولم يرجعوا فاستمرت هذه الاراضي مهجورة من سنة ٨٢٣ وجميع القبائل تعتبر هذا الجبل وتوقرهُ فالنصارى تعظمهُ وتجلهُ نظرًا لما فيهِ من المشاهد والاعلام المقدسة والمسلمون تعتبر ان بيت الله الحرام مبني من خمسة جبال من جملتها جبل لبنان اما اهلهُ وسكانهُ فهم اصحاب عقول ثاقبة وقلوب قوية واخلاقهم كريمة فمن نهر الغدير حتى مدينة طرابلس جميع سكانهِ نصارى واغلبهم موارنة ويوجد في بلاد جبيل والبترون قليل من المسلمين والمتاولة واما سكان باقي معاملة صيدا فنصارى وعلى الغالب دروز اما مدن لبنان الفينيقية اي التي على حدود الجبل المذكور فهي سبع قد مر ذكرها وهي طرابلس والبترون وجبيل وبيروت وصيدا وصور وعكا

ويوجد في هذا الجبل عدة انهر ونهيرات كثيرة لا يسعنا المقام الذكرها جميعها فنذكر اشهرها وهي تسعة

الاول نهر ابي علي وهو نهر كبير يخرج من اسفل ارز جبل لبنان اصالة عينا ماء تخرج احداها تحت قرية بشرّة والاخرى تحت دير قزحيا يلتقيان في اسفل وادي قاديشا وينصب اليهِ انهر وسواقٍ وينابيع ومناهل عديدة ذذة حتى يصير نهرًا كبيرًا وهو يجري الى الشمال الغربي حتى يمر في مدينة طرابلس ويصب في بحر الروم

الثاني نهر الجوز وهو نهر صغير مخرجهُ من عين ماء ضمن مغارة فوق قرية كفرحلدا ويجري في وادٍ يسمى باسمهِ حتى يمر في جنوبي قلعة المسيلحة حيثما تتفرع منهُ قناة فتسقي البساتين التي حولها وطولهُ خمسة فراسخ

الثالث نهر ابرهيم وهو نهر كبير يبعد عن مدينة جبيل خمسة اميال ومخرجهُ من مغارة تسمى مغارة افقة بقرب العاقورة وكان اسمهُ قديمًا تموز قيل ان فتى اسمهُ تموز حسن الخلقة قد قتل في الصيد بالقرب منهُ فسمي النهر اذ ذاك باسمهِ وتوجد في قرية يقال لها قبعل صورة احد الوحوش الكاسرة يفترسهُ وهو من خرافات اليونانيين . ومجراهُ الى جهة الجنوب الغربي ويصب في بحر الروم الى الجنوب من مدينة جبيل ولهُ جسر هائل عظيم ذو قنطرة واحدة شاهقة ليس لها نظير بارتفاعها بين قناطر هذه البلاد قيل ان بانيها الامير ابرهيم احد امراء مردة جبل لبنان فنسب النهر الى اسمهِ وبالقرب منهُ يوجد رسوم قناطر منظمة ومتقنة البناء التي منها كانوا ياتون بالماء الى مدينة جبيل وتسمى قناطر زبيدة والى الجهة الجنوبية منهُ على بعد نحو اربعة اميال نهر شنوي يسمى المعاملتين لهُ قنطرة جسر عظيمة بنيت من غير كلس ولا طين تعد من غرائب البنايات

الرابع نهر الكلب وكان اسمهُ عند اليونانيين ليقوس اي الذئب اصلهُ من عين ماء تخرج من مغارتين من موضع يسمى جعيتا حتى ينتهي الى فم وادٍ وهناك

تجتمع اليهِ مياه نبعين يقال لهما نبع العسل ونبع اللبن من اعالي الجبل على مسافة عشرة اميال من العين وعن بعد بضعة دقائق من نبع اللبن جسر هائل طبيعي يخال الناظر اليهِ انهُ صنعة الايادي ويسمونهُ جسر الحجر ومياه هذه الانهر تجري الى جهة الجنوب الغربي وتصب في الجهة الجنوبية من جونة كسروان حيثما تصب في بحر الروم ايضًا وكان لهذا النهر جسر قديم بناهُ انطيوخوس قيصر ملك سورية ق م بنحو ٢٥٠ سنة بالقرب من البحر فهدم فجدد بناءهُ سنة ١٤٧ الملك انطونيانوس قيصر ثم هدم ويوجد بالقرب من مصبهِ على الصخور بعض نقوش وكتابات قيل هي تاريخ فتح سوسستريس ملك مصر هذه البلاد وقيل تاريخ فتحها من سنحاريب ملك الاثوريين الذي امر بنقش صورتهِ ايضًا مع اخبار وكيفية فتحهِ هذه البلدان وهي باقية للان ووضع الوثنيون هناك تمثال كلب من صخر وقيدوهُ بجنزير ونقروا لهُ في صخرة موضعًا للطعام ظانين في ذلك انهم اذا اتتهم الاعدا غفلة فبواسطة نبحهِ يستيقظون فيحذرهم ولذلك سمي النهر نهر الكلب غير ان ذلك التمثال قد سقط للبحر وهو باقٍ الى الان وقد هدم الجسر ايضًا فبناهُ الملك سيف الدين الناصري المغوري سنة ١٢٩٢ ثم هدم هذا ايضًا فجدد بناءهُ الامير بشير الشهابي والي جبل لبنان وذلك في غير المكان الذي كان بهِ اولاً وهو باقٍ ليومنا هذا ومن هذا النهر جرَّت شراكة انكليزية قسمًا من مائهِ الى مدينة بيروت ووصلت الماء الى المدينة في اوائل سنة ١٨٧٥

الخامس نهر انطلياس وهو بالحقيقة لا يعد نهرًا نظرًا لصغرهِ فطولهُ ميلان وبينهُ وبين نهر الكلب مسافة فرسخ اما مخرجهُ فمن فوارين يجتمعان في واديهِ ولهُ جسر صغير بقرب دير مار الياس تمر عليهِ الناس في اشتداد ايام الشتاء فقط وبالقرب من جنوبهِ نهير يسمى نهر الموت يجتمع من بعض سواقي ماء ويقوى قليلاً في الشتاء قيل سبب تسميتهِ بذلك لتعسر القطع بهِ احيانًا لكونهِ بغاية الخطر وذلك بقرب البحر وقيل بسبب موقعة عظيمة جرت هناك قتل بها عدد ليس بقليل

السادس نهر بيروت وهو مركب من نهرين صغيرين احدهما مخرجهُ بقرب قريتي ترشيش وكفر سلوان والثاني بقرب فالوغا وحمانا من مقاطعة المتن ويجتمعان مع نبع بين صخرين ويجري في وادٍ تحت دير القلعة يسمى نبع القصير وهو يمر في شرقي مدينة بيروت ولهُ جسر طويل بقرب البحر ذو سبع قناطر وهو يجري الى جهة الغرب ثم يرتد الى الشمال حتى يصب في خليج مار جرجس بقرب المدينة في بحر الروم وطولهُ يبلغ ثلثة فراسخ وميلاً واحدًا ويبعد عن نهر انطلياس مسافة فرسخ

السابع نهر الدامور اي الغرب وهو نهر كبير مجتمع من نهيرات صغار احدها الغابون يخرج من نبع بقرب بحمدون يسمى نبع بخشتيه والثاني الصفا مخرجهُ من مكان بقرب عين زحلتا ومنهُ جر الامير بشير عمر الشهابي قناة الى بتدين ثم يضاف اليهِ ماء نبع خارج من كهف هناك يقال لهُ نبع القاع وياتيهِ ماء اخر من نبع عين داره وتجتمع ايضًا اليهِ عيون ومناهل اخر فيصير نهرًا كبيرًا يجري في وادٍ لجهة الغرب الجنوبي ويصب في بحر الروم بالغرب من قرية المعلقة التي تنسب اليهِ وكان لهُ جسران الاول في واديهِ التي بين دير القمر وعبيه ويسمى جسر القاضي نسبة لبانيهِ احد قضاة عين كسور من بني تنوخ من ولاة جبل لبنان الدروز قديمًا ولم يزل قائمًا الى يومنا الحاضر والثاني بقرب البحر ويسمى جسر الدامور بناهُ الامير بشير الشهابي سنة ١٢٢٠ الهجرية فهدمتهُ المياه ولم تزل حجارتهُ ملقاة في مجراهُ كالصخور العظيمة وقد وضع لهُ اخيرًا حضرة صاحب الدولة فرانقو باشا متصرف جبل لبنان السابق جسرًا من حديد وطول هذا النهر من مخرجهِ الاول الى مصبهِ اثنان وعشرون ميلاً وبينهُ وبين نهر بيروت مسافة عشرة اميال

الثامن نهر الاولي وهو نهر كبير اصلهُ ماء نبع قوي يقال لهُ نبع الباروك في مقاطعة العرقوب من لبنان يجري الى الجنوب الغربي ثم يرتد الى الغرب ويصب في بحر الروم قرب مدينة صيدا وتتفرع من اعلاه قناة الى صيدا فتستقي منها اهالي

البلد وبساتينها واما طولهُ فثلاثون ميلاً وبينهُ وبين نهر الدامور عشرة اميال

التاسع وهو الاخير نهر القاسمية ويقال لهُ الليطاني ايضًا وهو نهر كبير مخرجهُ بالقرب من بعلبك ومجراهُ في شرقي سهل البقاع الى ان ينفذ بين جبل لبنان وجبل الشيخ وهناك تضاف اليهِ مياه نهر البردوني ومياه نهر اخر يقال لهُ نهر يحفوفة ونهر عنجر من جهة الجبل الشرقي ويمر تحت قلعة الشقيف ويصب في بحر الروم بالقرب من صور وهناك يعرف بنهر القاسمية وهو اكبر انهر جبل لبنان كما يستبين من طولهِ البالغ خمسين ميلاً وذلك من مخرجهِ الى مصبهِ . انتهى

قد ذكرنا ان جبل لبنان ينقسم الى معاملتين فالمعاملة الاولى معاملة طرابلس ويوجد بها ثمان مقاطعات الاولى مقاطعة الزاوية وهي ما بين البحر والجبل وهي من نهر البارد وموقعها شمالي طرابلس الى نهر ابي علي وسكانها نصارى وقراها المشهورة عرجس واردسي وكفرزينا ودارِيا وكفرياشيت وكفرحور ويوجد بهذه المقاطعة جبل يسمى جبل تربل

الثانية الكورة وهي قسمان عليا وسفلى فالعليا سكانها نصارى وقراها المشهورة اميون وهي القاعدة وسكانها روم ارثوذكس وهي مركز مشائخ بني العازار وفيها يوجد مدفن موريق قائد جيش يوستينيانوس الملك الاخرم الذي قتل في حرب المردة كما ذكرنا ومن قراها المشهورة ايضًا كسبا وكفرحزير ودير بعشتار وبزيزا وقرى البكاليك . اما القسم الثاني السفلي فاشهر قراهُ النخلة والتلون والحارة والبلمند وفيها دير عظيم للروم وهو على مسافة ساعة من القرية المذكورة

الثالثة القويطع وحدودها من اسفل نهر العصفور الى نهر الجوز واشهر قراها طعبوره ووجه الحجر وراس نحاش حيثما تسكن امراء الاكراد الفقراء وانفي وشكى والهري والسكان اسلام وروم وموارنة وفيها الامراء الايوبيون

الرابعة جبة بشرّة وهي الى جنوبي طرابلس فوق الكورة والى الجنوب الشرقي منها وهي في سفح الجبل الشرقي وفي اسفلها توجد مقاطعة الزاوية وفي اعلاها يوجد ارز لبنان المشهور وعرضها من الضنية الى تنورين وقاعدتها بشرة وسكانها

موارنة وروم مع قليل من المتاولة وقراها المشهورة اهدن وزغرتة ووادي قاديشا ثم حصرون وحدشيت وعين طورين والحدث ودير قانوبين باسفل وادٍ عميق ودير قزحيا في مكان اخر وغير ذلك ما يفوق عن ٤٢ قرية

الخامسة بلاد البترون وهي من نهر الجوز الى مسيل الماء وتنورين الذي يقال له المدفون الذي يبعد مسافة فرسخ واحد عن البترون الى الجنوب عرضًا وطولاً من ساحل البحر الى سطح الجبل وقاعدتها مدينة البترون ويوجد بشمالي هذه المدينة نهر الجوز حيثما توجد قلعة المسيلحة وسكانها نصارى ومتاولة واشهر قراها عبرين ودوما ويقسميا وسورات واسيا وتنورين وحردين وبشتودار وكفرحي وغيره وفي سهل هذه المقاطعة ينبت التتن الذي قلما تاتي بمثلهِ غيرهُ من الاراضي نظرًا لسلاستهِ

السادسة بلاد جبيل وهي من نهر المدفون الى الفيدار الواقع جنوبي مدينة جبيل ومن البحر الى سطح الجبل وسكانهُ نصارى الا وادي علمات فسكانهُ متاولة ويوجد في هذه المقاطعة التبغ الجيد واشهر قراها عامشيت وبها كثير من التجار وغرزوز والبربارة والمنصف وبخعاز والكفور وغيرهُ من القرى المشهورة في تلك النواحي كحبالين وحاقل وجاج والعاقورة

السابعة المنيطرة ومن قراها المنيطرة وميروبا والعاقورة

الثامنة مقاطعة الفتوح وهي الى جنوبي بلاد جبيل وحدودها من نهر ابرهيم الى وادي المعاملتين الى مسافة نحو خمسة اميال واغلب سكانها موارنة وبها قليل من المتاولة واشهر قراها البوار وطبرجا والغينة والى شرقيها جبل شبريح .

اما معاملة صيدا فتبتدي من جسر المعاملتين وتنهي الى نهر الاولي بالقرب من صيدا اما مقاطعاتها فهي ست عشرة وهي اكبر من المعاملة الاولى وبها عدد كبير من السكان وبها مركز حكومة الجبل

فالاولى كسروان قيل سبب تسميتها هكذا نسبة لامير من المردة كان يسكن بسكنتا يدعى بكسرى سميت قديمًا بالعاصية نظرًا لتعسر المرور عليهما

لصعوبة مسالكها وشمخ جبالها ويدخل البحر فيها وبها ما ينيف عن اربعين قرية وسكانها موارنة سوى زوق ميكائيل فسكانة روم كاثوليك ومشايخهم على الاغلب بنو الخازن ولها قاعدتان الاولى زوق ميكائيل المنوه عنه انفًا وهي بلدة تجارية كان يقطنها قديمًا امراء التركمان في زمن السلطان سليم الذي اقامهم للمحافظة عليها خوفًا من اغارة الافرنج عليها ثانية . والاخرى غزير وكانت قاعدة البلاد في ايام الامراء التركمان وهم بنو العساف وايام الامراء بني سيفا ايضًا ويوجد بها مدرسة شهيرة للاباء اليسوعيين وفيها مركز المشائخ بني حبيش . واما قراها الكبيرة فاشهرها الجديدة ودلبتا وساحل علما ثم الغدير وغسطا وعشقوت وهي مولد غبطة البطريرك بولس مسعد بطريرك الموارنة ثم زوق ميكائيل وعجلتون وكفرذبيان ويوجد بها من القرى الصغار ما ينيف عن ست وعشرين قرية ككفر حباب وصلك وصربا وبطحا ومعراب ويوجد في اعلاها حصن قديم خرب ورسوم قلعة قديمة خربت ايضًا ثم فاريا التي يجري في شرقيها نبع العسل احد مخرجي نهر الكلب الذي يصب في نهره وهو اعذب ماء الجبل ثم عين طورا وبها مدرسة كبيرة لرهبان العازارية اشتهرت اشتهارًا فائقًا بعلم اللغات وظهر منها عدة معلمين شهدت بهم البلغاء بتقدمهم ونجاحهم

الثانية الفاطع وحدودها من نهر الكلب الى نهر انطلياس عرضًا وطولًا من البحر الى شويا وهي جزء من مقاطعة كسروان فصلت عنها بامر الامير حيدر الشهابي سنة ١٧١٢ وجعلت مقاطعة مستقلة وسكانها موارنة وقليل من الروم الكاثوليك وقاعدتها بيت شباب وبكفيا وبحرصاف وهناك اثار قلعة عظيمة قديمة من ابنية المردة ثم زوق الخراب وحارة البلانة والماسة وعين الخروبة وغير ذلك من القرى الكثيرة

الثالثة المتن وحدودها عرضًا من نهر انطلياس الى نهر بيروت وطولًا من البحر الى سطح الجبل وسكانها دروز ونصارى وقليل من المتاولة والاسلام وفيها نحو اربعين قرية كبار ومثلها صغار غير ان المشهور من الكبار المتين

وهي القاعدة وبكفيا وصليبا و بسكنتا وعين القبو وكفرعقاب والشوير حيثما يوجد دير كبير للروم الكاثوليك ويوجد به مطبعة قديمة ثم عين السنديانة وعين طورا وبرمانا وبيت مري وقرنايل وهناك يوجد معدن فحم حجري وفالوغا وحمانا وعاريا. والقرى المشهورة من الصغار المروج وعين الجصاصة وعين الصفصاف وعين سعادة الخ

الرابعة ساحل بيروت وهي من نهر بيروت الى عبر نهر الغدير عرضاً وطولاً من البحر الى ارض القفل وبها نحو خمس عشرة قرية وهي مركز الامراء آل شهاب فمنها الحدث والحارة وبعبدا والاوبزة ووادي شحرور وكفرشيما التي منها العالم العلامة الشيخ ناصيف اليازجي ثم حارة حريك وغيرها من القرى واما سكانها فنصارى على الغالب

الخامسة الغرب الاسفل وحدودها من الشويفات الى طريق دير القمر وقاعدة هذه المقاطعة الشويفات ويوجد على شماليها غابة زيتون كبيرة متسعة تسمى بالصحرا ليس لها نظير تقريباً في جميع الاقطار العربية يبلغ محيطها نحو فرسخين ثم بشامون وعين عنوب ودير قوبل وسرحمور وعين كسور والفساقين اما سكانه فدروز ونصارى

السادسة الغرب الاعلى وحدودهُ من طريق دير القمر الى عاليه الى نهر الغابون وقاعدته عيتات ثم عاليه وبيصور وشملال وعيناب ودفون ومجدليا وبمكين وبسوس وسوق الغرب وبناذون وحومال وسكانه دروز ونصارى وهو بغاية الشراحة يعد من انزه جبل لبنان

السابعة الشحار وطولها من الدامور الى جسر القاضي وسكانها دروز ونصارى وقاعدتها عبيه وفيها مدرسة علوم مشهورة للامركان وعلى المطير بشرقيها اثار قلعة يظن انها من بناء الصليبيين ثم البنيه وكفرمتى ودفون والبوم وبها يصنع اجود البارود اللبناني ثم بعورته والمعلقة والدامور وعين درافيل والناعمه

الثامنة الجرد وهي اخر حد الغرب الاعلى اي من نهر الغابون الى نهر الصفا

عرضاً وطولاً الى المديرج وسكانها نصارى ودروز وقاعدتها بتاتر ثم بحمدون والرويسة والدوير وشوريت وشارون وبدغان ورشميا وعين تراز وقد انشا فيها حديثاً غبطة غريغوريوس بطريرك الروم الكاثوليك مدرسة

التاسعة المناصف وحدودها من جسر القاضي الى وادي بيت الدين وسكانها نصارى ودروز وقاعدتها دير القمر وهي شهيرة بعمل الحرير والقرى المشهورة بشتفين وكفرقطرا وديربابا ثم بيت الدين وهي الان مركز حكومة جبل لبنان في مدة الصيف ومقام المتصرف ايضاً واليها جالب الامير بشير الشهابي الماء من نبع القاعة عن بعد مسافة ثلاث ساعات

العاشرة العرقوب وسكانها دروز ونصارى وهي من المعاصر الى حدود قلعة قسم الباس طولاً ومن شوية الى سطح جبل الباروك عرضاً وتنقسم الى قسمين احدها العرقوب الاعلى وقاعدته قرية عين زحلتا وبها يسكن المشايخ ال عيد الذين كانوا مقاطعجية ذلك القسم قبل نظام الجبل الحالي ثم اغميد والورهانية وكفرا. والقسم الثاني اي الجنوبي قاعدته قرية الباروك وبها يسكن المشايخ العمادية الذين كانوا مقاطعجية ذلك القسم قبل النظام ايضاً ومنها الشيخ ناصر الدين عماد الذي قتل بموقعة وادي بكا بمحاربة عساكر مصر ثم الفريديس وبتلون وعين وزين وكفرنبرخ وبها مساكن بعض المشايخ العمادية ثم عين عزيه والفواره وبريح والجعايل والبيري ومجدل معوش وشوية وكفرنيس وشمشين وبودين وعين داره

الحادية عشرة الشوف وسكانها دروز ونصارى وحدودها من المعاصر حتى جزين طولاً ومن وادي بيت الدين الى سطح الجبل عرضاً وهي تنقسم الى قسمين الشوف الحيثي والشوف السويجاني والفاصل بينهما مجرى نهر الباروك فقاعدة الاولى قرية المختارة وبها دارا الشيخ بشير جنبلاط المشهورة وخلافها من عائلة جنبلاط الذين الذين كانوا يتولونه قبل النظام ثم بطما ومعاصر الفخار ومرسته وبعذران وبها مسكن بعض الجنبلاطيين ثم نيحا وهناك توجد قلعة نيحا

المشهورة وباتر وبها المدابغ بنو حمدان ثم حارة جندل وعين ماطور وعين قنية. والشوف السويجاني وقاعدتهُ قريبة بعقلين وهي مركز قائمقامية قضا الشوف وعين بال وغريفه وبيقون والمزرعة والكحلونيه والجديدة والسمقانية

الثانية عشرة اقليم جزين وحدودها من الشوف الحيثي الى حدود جبل الريحان وقاعدتهُ جزين ثم وادي جزين وبكاسين وقيتولة وبسري وهي قديمة وروم وعازور وقطين وغيرها من القرى الكثيرة واما سكانهُ فموارنة

الثالثة عشرة الشوف البياضي وموقعها غربي البقاع وسكانها اسلام ونصارى وقاعدتها زحلة وهي مدينة البقاع بها مخازن وحواصل كثيرة واكثر سكانها روم كاتوليك يمر فيها النهر البرذوني وبعدها وادي العرايش والمعلقة ومكسة وقب الياس حيثما يوجد في اعلاها اثار قلعة وبوسطها نهر يجري والمضيق والخربة وسغبين وهي الاشهر بعد زحلة من باقي القرى ثم عين التينة

الرابعة عشرة اقليم التفاح واشهر قراهُ البرامية والبرغوتيه وكفرجره والحسانية والصالحية وجون وكرخا وبرتي ولبعا وسكانها مسلمون ونصارى

الخامسة عشرة اقليم الخروب قاعدتها شحيم وسبلين وحصروث وجون والمغنيه والوردانيه ودار يا والرميله وعلمان والزعروريه والزيتونيه وبرجا التي يوجد بها اجرد الزيت وسكانها نصارى ومسلمون

السادسة عشرة جبل الريحان وهو اخر هذه المعاملة وقاعدتهُ الريحان ثم ميدون والورديه واللويزة والدمشقيه والعيشيه وعرة وعرمتا والزغرين وقروح والوازعيه وبفيرة وشبيل والوزيد والصوبرة والجرمق وسكانهُ نصارى ومسلمون

وهذا الجبل كان حسب النصوص الدينية مشهورًا في الزمن القديم وسكانهُ كانوا من الطوائف الحويين والجبليين ثم خصصهُ يشوع بن نون لسبط اشير وبزمن حكم اليهود تسلط على بعضهِ الفينيقيون ومما وجد في هذا الجبل من الاثار الشهيرة يستدل على ان اممًا كثيرة تداولتهُ ففي جبل الشوف وجد صنم مصري وصنم اشوري ونقود مصرية وعربية وغيرها وفي جهات مختلفة منهُ توجد

آثار رومانية ورسوم واعمدة واقنية وكان سكانهُ كثيرًا يسعفون قياصرة الروم لدى حدوث حرب الامر الذي يترجم عن عظم اقتدارهم وسطوتهم السالفة وحينما رفضوا ان يسعفوا الامبراطور يوستينيانوس قيصر في محاربتهِ مع العرب جرّد المشار اليهِ عسكرًا لمحاربتهم فانتصروا وفازوا بالغلبة عليهِ وقتلوا قوادهُ ومنذ ذاك الحين تسموا مردة وكان ذلك سنة ٦٩٤م وكان ابتداءُ ولايتهم سنة ٦٠٠م وفي سنة ٨٢٠ واتى من اطراف البلاد العربية الامير تنوخ الملقب بالمنذر وتوطن مع قبائلهِ بنواحي لبنان وبنى وسكن فيها وكان هذا الامير متولّيًا امور الحكم بينهم فخلفهُ بنوهُ الى سنة ٦٢٣ اذ انقرضت السلالة التنوخية وكان في سنة ١١٢٠ قد جاء الامير معن الايوبي ونزل في بعقلين ولفرط مودتهِ مع ال تنوخ انفرد بولاية الشوف واستمر اميرًا مدة ٢٠ سنة الى ان داركتهُ الوفاة فاستمر الحكم بيد سلالة بني معن الى سنة ١٦٩٧ فتولى اذ ذاك الامراءُ ال شهاب المشهورون بالجود والكرم ومع انهم كانوا خاضعين لولاة ايالة صيدا المنتصبة من طرف الدولة العلية كان امر نصب وعزل متوظفي الاقليم منوطًا بهم وممن حاز الدرجة العظمى من الافتخار بين هذه العائلة الامير بشير الشهابي الذي يضرب المثل بما اشتهر بهِ والذي لسبب سوء تصرف ابن عمهِ الامير يوسف تناول امر ادارة الاحكام في سن ٢٢ وبقي حاكمًا حتى سنة ١٨٤٠ اذ قبضت الدولة العلية على الاحكام السورية فذهب اذ ذاك مع من يلوذ بهِ الى جزيرة مالطة اذ لم يرتضِ بالتسليم ومن هناك حضر الى دار السعادة وتوفي فيها واستلم ادارة الاحكام مقامهُ الامير بشير الثاني الذي لسوء التصرف وعدم ادارتهِ لم يكن محبوبًا من الاهالي الذين حاصروهُ في دير القمر وراموا قتلهُ الى ان حضر بامر مشير بيروت السيد عبد الفتاح اغا حماده واخرجهُ وحضر بهِ لبيروت وانقرضت اذ ذاك احكام الامراء آل شهاب. ولسبب عدم الاتفاق بين الدروز والنصارى بالجبل المذكور اقامت الدولة قائمقامًا نصرانيًا على النصارى بالقسم الشمالي وقائمقامًا درزيًا على الدروز بالقسم الجنوبي الى ان الفتن الصغيرة والاحتقارات الصادرة

من كل من الطرفين ضد الاخر احدثت تلك الحرب الاهلية المعروفة بحادثة سنة ١٨٦٠ واذ كان قد حصل كثير من التعدي وبسبب ذلك ارسلت دولة فرنسا ١٠٠٠٠ جندي لمنع التعدي وتخميد الفتن وذلك برضى الدولة العلية وهكذا باقي الدول الاجنبية فمنهم من ارسل بوارج حربية ومنهم من ارسل نوابًا واما الباب العالي فارسل فواد باشا الشهير بالادارة والتدبير كي يمهد الامور ويقاص المذنبين وعقب اجراء ما لزم اجراؤهُ استحسنت الدولة العلية بالاتفاق مع الدول الاجنبية ان تحول احكام الجبل لمتصرف من غير اهاليه نصراني يخابر الباب العالي راسًا بما ينوط في امور الاحكام فتوجهت اذ ذاك المتصرفية لعهدة صاحب الدولة والليافة داود باشا فاقام بحق شروط مأموريته مدة ست سنوات وبزمانه حدثت الفتنة التي نسبت رياستها ليوسف بك كرم واستقامت مدة ١٢ شهرًا فاضطر اخيرًا للتسليم عن يد فرنسا وصار اخراجهُ من البلاد فساح بالبلاد الاوربية فحاز على درجة من الاعتبار الكامل واخيرًا رجع باذن الدولة العلية الى دار السعادة وهناك تواجه مع صاحب الابهة والدولة محمد رشدي باشا شرواني زاده الذي كان متبوئًا مسند الصدارة العظمى حينئذٍ ومع صاحب الدولة راشد باشا وزير الامور الخارجية وكان مرعي الخاطر عند اغلب وزراء الباب العالي الى ان اخيرًا ترتب له معاش ...٥ غرش شهريًا ومكث في اسلامبول ولم يزل فيها

وبعد الفتنة المذكورة رجع داود باشا الى اسلامبول حيثما توجهت عليه فيما بعد وزارة النافعة وارسل مقامهُ صاحب الدولة نصري فرانقو باشا الذي لم يحدث بزمنه شيء مهم نظرًا للسياسة بل دام جبل لبنان راتعًا في جنان الامن والراحة الى ان توفي المشار اليه في اوائل سنة ١٨٧٣ ودفن في الحازمية باطراف الجبل لجهة بيروت وبنت له حكومة جبل لبنان ضريحًا متقنًا واذ ذاك ارسلت الدولة العلية عوضًا عنهُ سفيرها في بطرسبرج عاصمة بلاد المسكوب دولتلو رستم باشا ايطالياني الجنس مشهود له بحسن السيرة والسياسة ولم يزل بها يدير

الامور والاحكام على احسن اسلوب

بلاد الشقيف

هي اسم لمقاطعة او قضاء وتبعد عن صيدا ٦ ساعات منها النباطية عدد سكانها ٦٠٠ وبيوتها ١٥٠ وبها حارتان حارة للنصارى واخرى للشيعية وفي كل يوم اثنين يصير بها سوق يجتمعون به الناس وموقعه باول المدينة ويسمونه سوق الاثنين ياتيه التجار من اغلب الاقطار القريبة له وعدد دكاكينها من ٢٢ الى ٢٥ وبنصف البلد بحارة الشيعية يوجد جامع للصلوة وبحارة النصارى يوجد كنيسة بها خوري واحد واهلها مغرمون بركوب الخيل منهم حسن بك الفضل وهو من ابناء العشائر وفي داره منزول لقري الضيوف وكان ذلك جاريًا من ايام والده الشيخ فضل الحسن الذي كان حاكمًا بها وفيها عين ماء تبعد عنها اربع دقائق ومن ناحية الشمال مقبرة للشيعية ذات فسحة وعمارها من حجارة وطين وغالب عمارها بلا ترتيب وبها سراي الحكومة وبها عالم فاضل اسمه عبد الله نعمة وهو ذو مقام عند الشيعة ومن نظمه اذ ارسل له احد الشعراء قصيدة مطلعها

اما بلاد الشقيف فهي شرحة المنظر جيدة الهوا والتربة وموقعها بين نهر الزهراني شمالاً والقاسمية جنوبًا وفيها توجد قلعة مشهورة تدعى قلعة بلاد الشقيف وهي شاهقة البنا ومن تحت القلعة المذكورة تجري مياه النهر الليطاني وقد تقدم الكلام عنها فعليك بالمراجعة وهذه البلاد قلما ذكرت في كتب المورخين نظرًا لعدم اهميتها وتوحش اهلها

اما بلاد بشاره فموقعها في جنوب شرقي صور واكثر سكانها متاولة وقاعدتها تبنين وفيها القلعة التي حسبما اخبر بعضهم ان الذي بناها هو هيو سنة ١١٠٧ وبعد موقعة حطين في سنة ١١٨٧ استولى على هذه القلعة الملك صلاح الدين الايوبي ومن قرى هذه البلاد بنت جبيل والطيبه والزريرية وبديان

وقانا وهونين وفيها قلعة عظيمة كانت مشتهرة في سالف الازمان غير انها الان في حيز الدمار والمشايخ من بني علي الصغير يتولون احكام هذه البلاد وعشائرهم المناكرة والجندرمية والصعبية ويتبع بلاد بشاره مرج عيون وموقعها بين بلاد بشاره وبلاد وادي التيم عن يسار نهر الليطاني الفاصل بينها وبين بلاد الشقيف وبلاد مرج عيون جيدة الهواء والتربة معًا شرحة المنظر خصبة الارض ومن قراها آبل القمح والمطلة وكفركلى والقليعة وفيها يوجد اشهى واشهر انواع البطيخ والذه طعمًا والجديدة وهي جيدة الهواء وقاعدة هاتيك البلاد وفيها الذره وفيها اجود السمن وهي على مسافة ساعتين تقريبًا من حاصبيا والخيم وابل الهوا وهي شرحة جدًا وهواؤها قوي حتى في زمن الصيف

فلسطين

ما من مسيحي يسمع اسم فلسطين الا ويتنفس متذكرًا بما اودعهُ لنا الشعوب الذين قطنوا هذا الاقليم في غابر الزمن فان كل حجر به هو رمز عن قدرة العناية وافعالها العجيبة وكل دمار يشير الى رزايا ومعاصي اهلهِ اذ كان ذلك لهم اعظم ثواب فيتردد في قلب كل منا ذكر العبرانيين ذلك النسل الشهير ويصبو الى تلاوة اخبارهِ وحوادث ما قد الم بهِ من لا يرغب ان ينظر امكنة كانت بها تظهر للعيان تلك العناية التي بيدها القادرة تدبر الامور وتبقي الممالك في حيز الوجود فبلفظة فلسطين يجب ان نفهم حسب المورخين القدماء جميع المدن التي سكنها في الزمن السالف بنو اسرائيل فكانت تمتد ما بين ٣١ و٣٣ درجة من العرض الشمالي وما بين ٣٢ و٣٥ من الطول الشرقي والقديس (جه روم) اشهر من ساح الى فلسطين قال في احدى رسالاته بان حدود فلسطين من الشمال الى الجنوب لم تكن تبلغ اكثر من ١٦٠ ميلاً رومانيًا وهذا يقارب ٥٥ مرحلة واسم فلسطين مشتق من العبرانية من كلمة (بله ته ت) وما كان يطلق اذ ذاك سوى على البلاد التي مركزها في ناحية الشمال الغربي

واشهر اسم لهذا الاقليم هو ارض كنعان كان يطلق على ما بين الاردن وبحر الروم غير انه كان يعم فينيقية وفلسطين حتى ان هذا الاسم وجد منقوشاً على سكة عمله فينيقية وبذلك اخبر القديس اغسطس ومنذ دخول العبرانيين اليها اخذهم ان تتلقب باسماء مستجدة فمنها ارض العبرانيين وارض اسرائيل وغب سبي بابل تلقبت باليهودية ونوه عن ذلك في تواريخ الرومانيين وفي العهد الجديد قد دعيت بارض الموعد. واما تحديد حدود فلسطين فمن اصعب الامور لانه لم يكن يمضِ جيل الا وتغير حدودها يد المورخين او تقلب تدبيرها يد الافتتاحات وشن الغارات ففي سفر التكوين ص ١٠ ع ١٩ يقال ان ارض كنعان كانت ممتدة من صيدا حتى غزة وممتدة شمالاً حتى سدوم وعموره وشرقاً حتى لازا او كاليدهوه الكائنة جنوب شرقي بحيرة لوط ونظراً الى حدودها من جهة الشرق فكانت محدودة بنواحي الاردن غيران حدود ارض اسرائيل ليست هي ذاتها حدود ارض كنعان القديمة وانه بعد الفحص والتدقيق نقول ان حدود فلسطين القديمة حسب اصلها هي هذه* ان فلسطين كانت تمتد شرقاً حتى الصحراء نواحي الفرات ومدينة تاسياكيس هي اخر ومنتهى حد فلسطين من ناحية الشمال الشرقي وشمالاً تمتد فلسطين حتى انطيلبيان وملحقات صور والشام وحدها الغربي هو بحر الروم حتى مصب مسيل مصر ووادي العريش وجنوباً من العريش حتى جنوبي بحيرة لوط. وفلسطين هذه التي قد اتينا بذكر حدودها تقسم الى قسمين الاول لناحية الشرق والاخر للناحية الغربية من الاردن وقبل دخول العبرانيين اليها كانت تقسم لاقسام شتى صغيرة مدعوة ارض كنعان باسم الشعب القاطن بها والعبرانيون قد قسموا فلسطين الى اثني عشر قسماً حسب عدد الاسباط وفي زمن رحبعام بن سليمان افترق عشرة اسباط عن العائلة الداودية واذ ذاك قسمت الى قسمين بلاد يهوذا وبلاد اسرائيل ومنذ زمن المكابيين حتى خراب اورشليم من جنود تيطس قسم المورخون فلسطين الى اربعة اقسام وهي الجليل والسامرة واليهودية

وعبر الاردن الكائنة شرقية وهذا هو التقسيم المشهور عند اشهر المورخين ولنبتدئ بالجليل فنقول

الجليل

ان هذا الاسم مشتق من اللغة العبرانية من لفظة كاليل او كاليلا التي تفسيرها محور شاسع وهذا الاسم قد ذكر في سفر يشوع وان سليمان عليه السلام قد وهب حيرام ملك صور عشرين مدينة من مدن الجليل وحينئذٍ ليس الفينيقيون فقط تواردوا للسكن في تلك النواحي بل قسم وافر من الاغراب وولاية الجليل كانت في الزمن السالف ذات اتساع شاسع اذ كان يحدها شمالاً انطيلبيان وشرقاً الاردن وطبريا وغرباً قسم فينيقي كان ممتداً من حدود صور حتى جبل الكرمل وجنوباً قسم من الكرمل ومن هذا التحديد يتضح جلياً ان الجليل كان يعم جبال نفتاليم وسهل يزرعيل او زرعين وحيثما كان ملتقى الجبال بالكرمل كان يتكون ممر الذي جوارهُ قرضون والذي بواسطته سكان الاقليم امدوا علاقاتهم مع النواحي الفينيقية وان الجليل كانت اصغر من اليهودية ولكن اكبر من السامرة فطولها من الشمال للجنوب كان يبلغ نحو عشرين مرحلة وعرضها من الغرب للشرق من التسعة الى الاحدى عشرة مرحلة غير ان سكانها كانوا ذوي سطوة نظراً لخصب ارضهم وعوضاً عن ذلك كانت بسالتهم مشهورة لدى القبائل وحينما اشتهر حرب الرومانيين عليهم جمع منهم يوسيفوس المورخ المشهور مائة الف محارب

(دان) قد دعيت هكذا نسبة الى نسل دان الذي افتتحها وقد نوه عنها في الكتاب كحد للاقليم ومركزها الى الناحية الشمالية من فلسطين وكانت تدعى ليسكل وحسبما نص ازوب احد المورخين انها تبعد مسافة اربعة اميال رومانية عن غربي بانياس وفي زمن القديس جه روم كان يوجد قرية تدعى دان في تلك النواحي

(قدَس) هذه المدينة كانت شهيرة وكان مركزها بالقرب من بانياس على حدود تخوم صور وحسبما نص احدهم انها كانت تبعد عن صور عشرين ميلاً والان ليس لها اهمية مطلقًا

(جنسياره) تدعى البحيرة المجاورة لها بهذا الاسم ايضًا وكان لا شك مركزها في المحل الذي به الاردن يصب في هذه البحيرة وقد نوه عن هذا المحل في الكتاب المقدس وعلى مسافة ميلين كانت كفرناحوم هذه التي مع كونها لم تذكر في العهد العتيق قد نوه عنها في مواضع عديدة من الانجيل والسيد المسيح كان جعلها سكنًا له وكان يقيم بها مرارًا في مدة الثلاث سنوات التي طواها مع الناس راشدًا. وكان يعظ في مجمع هذه المدينة ويصنع بها معجزاته (وبونيفاس) الذي ساح فلسطين في الجيل السادس عشر قال انه نظر دمار كفرناحوم وبوسطها شجرتا نخل وهي مشهورة في زمن الملك شاول الذي له مغارة بالقرب من التربة

(افه كسى) توجد في سهل استرالون وبقربها قد حدثت الموقعة الدموية الهائلة ما بين الفلسطينيين والعبرانيين اذ قتل فيها شاول مع ابنه يوناثان وبالقرب من تخوم صيدون كانت موجودة ايضًا مدينة مدعوة بهذا الاسم غير انها كانت تحت سلطة سبط اخر ومدينتان ايضًا قد اندرست رسومها هناك تذكران المطالع ما حدث بوسطها من المواقع واذا تاملنا في نواحي الجليل نرى انه يوجد بعض مدن منها لم تقع تحت سلطة العبرانيين في سالف الزمن كاكزيب وعكا. فان آكزيب التي دعاها الرومان آكزيبا هي في جوار عكا على مسافة ثلاث مراحل وقد تقدم الكلام بخصوص عكا

ومنها بلاد صفد التي يقال لها صفت فمن اشهر قراها قدَس وهي قادس نفثالي وبالقرب من هذه البلاد اثار قديمة جدًا تدل على رسوم ما فعل القوم السالف قيل انها من عهد بني اسرائيل واشهر بلادها لا بل قاعدتها صفد التي تبعد اربعة فراسخ عن شمال غربي طبريا واما صاحب سورية اذ تكلم عنها في الوجه السابع والاربعين من المجلد الثاني من تاريخه المشهور فقال انها اشتهرت

في زمن الصليبيين وانها احدى المدن الاربع التي كانت تعتبر مقدسة عند العبرانيين غيرانها الان قد فقدت اهميتها وهي ليست سوى على جزء ما كانت عليهِ في غابر عصرها . والعالم مونك الشهير قال ان صفد هي في شمال شرقي طابور وانها مذكورة في سفر طوبيا وانها قبل حدوث الزلزلة المتاخرة كان فيها ما ينيف عن سبعة الاف نفس و ٦٠٠ بيت منها ١٥٠ مختصة بالامة اليهودية و ١٠٠ بالروم الارثوذكسيين وكان فيها ثلاثمائة عائلة يهودية وحسبما اخبر بعضهم ان اصل اليهود الذين هم فيها من اوربا من اسبانيا وكان لهم بها مدرسه شهيرة لتربية الحاخامية روسا الديانة وسبعة مجامع او معابد واليهود يعتبرون اربع مدن مقدسةً وهي صيدون وطبريا واورشليم وصفد وابنية هذه المدينة منتشرة على ثلثة اقسام وسكانها اغلبهم حسبما تقدم من الامة الاسرائيلية وفيها عدد يسير من الاسلام والنصارى وفي اوائل سنة ١١٨٨ تغلب على قلعتها المشهورة الملك صلاح الدين وفي سنة ١٢٢٠ هدمها الملك المعظم غير انهُ في سنة ١٢٤٠ اتفق الافرنج مع اسماعيل ملك الشام واسترجعوها وفي سنة ١٢٦٦ إستفتحها بالقوة الجبرية بيبرس ملك مصر المشهور . اما المدرسة التي سبق الشرح عنها فوجدت في صفد في اوائل الجيل السادس عشر وحسب زعم بعضهم هي سبب اعتبارها من اليهود لانهُ بسبب وجودها فيها توارد اليها الناس من اوروبا وافريقية فمنهم بعد ان درس الدروس اللازمة بقي بها حتى توفي فصارت مقر ومدفن اشهر علمائهم الامر الذي اوجب اعتبارهم اياها وفي سنة ١٨٣٧ حدث فيها زلزلة ابادت الف نسمة من الاسلام واربعة الاف من اليهود ومن قرى بلاد صفد عكبره وميرون وكفربرعم والحبش والرابن الاخمر . اما الاراضي التي موقعها في الناحية الغربية من بحرة الحولة يقال لها ارض الخيط ومن قراها فرعم والجاعونة والقباعة والملاحة واما الاماكن الواقعة شرقي النهر فتدعى ارض البثنية وجسر بنات يعقوب موقعهُ بين بحيرة الحولة وبحيرة طبريا . قال الدكتور كرنيليوس فانديك في جغرافيته وفي معاملة صفد عدة قبائل من العرب

كعرب الاكراد وعرب العشار وزبيد والسواعيد والصويلات . والى غربي بلاد صفد مقاطعة يقال لها الجبل ومن قراها ترشيحه التي هي مولد الشيخ صالح الترشيحي الشاعر الذي اشتهر بالفصاحة والبلاغة حتى فاق اقرانهُ وسعسع وغيرها وجميع سكان هذه المقاطعة اسلام ونصارى ودروز

والى الناحية الجنوبية من الجبل مقاطعة ذات اهمية عظيمة وتدعى مقاطعة الشاغور ومركزها ما بين مدينة عكا وطبريا ومن قراها المنصورة والمغارة ومجدل كروم والرامه وكفرغان وغير ذلك من القرى التي كل من ساح في تلك النواحي ودقق في احوالها يتبرهن لهُ ويتضح كاتضاح الشمس في رابعة النهار انها عادمة كل اهمية

وان تكلمنا عن اهلها نقول انهم اسلام ونصارى ودروز . ومن القرى التي حول مدينة عكا البصة والزيب وتدعى حسب ما زعم بعضهم آكزيب وقد تقدم الكلام عنها فعليك بالمراجعة والشيخ داود وشعب وشفاعمر والجدل واهلها كما تقدم بالكلام عما سبق اسلام ونصارى ودروز واما كفرناحوم فمع اننا لا نرى لها ذكرًا في العهد القديم يتبرهن لنا من مراجعة الكتب المقدسة انها كانت ذات اهمية في غابر الزمن وقد ذكرت بما تقدم فراجع

اما بيت صيدا او محل صيدا فهي في جوار ما تقدم من البلدان وهي مولد الرسولين بطرس واندراوس وبالقرب منها توجد اثار كورزين التي لم يأتِ بذكرها احد من المورخين ولنأتين بالكلام عن بلاد الناصرة

بلاد الناصرة

منها (صفوريه) ان هذه البلدة كانت مشتهرة في سالف الزمن وقد اصبحت يومًا عاصمة الجليل وغب دمار اورشليم كان الفي عليها حصار نقل اخيرًا الى طبريا ومركزها على قمة جبل واما هيرودوس انتيباس الذي اقام عددًا وافرًا من الابنية الحصينة فدعاها باسم مخصوص ومع اننا لا نرى ذكرًا لها في التوراة

فقد تعرّض المورخون ومنهم يوسيفوس المشهور لذكرها في جملة مواضع وحسبما يظهر من الكتب المتاخرة انها مولد ووطن اقارب مريم العذرا ام السيد المسيح وفي سنة ثلاثمائة وتسع وثلاثين هدمها الرومان وسبب دمارها كان عصيان الاهلين على كاللوس واما الان فبمركزها توجد صفورية وتحتوي على ستمائة نفس واما قانا (اوكفرقانا) فمركزها على مسافة فرسخين من جنوب شرقي (صفورية) وقد اشتهرت واخبرنا الكتاب المقدس بانها كانت المحل الذي جرت به اول معجزات السيد المسيح حسبما جاء مدونًا بالاصحاح الثاني من انجيل القديس يوحنا وهي الان قرية صغيرة وليس يسكنها سوى بعض انام من الكاثوليك كثيرًا ما زعموا انهم ياتون بالسياح الى المحل الذي به حوّل السيد المسيح الماء الى خمر وان الامبراطورة (هيلانة) بنت بالزمن الغابر فيها كنيسة كانت تعد من افخر الابنية واحسنها غير اننا لا نرى الان سوى اثر دمارها وليس ببعيد عن شرقي قانا اذا صعد السائح نحو الاكام التي يغطيها عدد وافر من العليق والقرطب يصل الى الناصرة وبالحقيقة انه منظر يحزن ولناتين للكلام عنها فنقول انه ما من مسيحي عالمًا كان او جاهلًا يجهل هذه المدينة واهميتها في غابر الزمن كان ينتعش عند ذكراها او التذكر بمن اقام بها وما علينا سوى مراجعة العهد الجديد فنرى عظم درجة الاهمية التي قد اتصلت اليها هذه المدينة المشهورة بالاعصر الغابرة وقد كانت محل اقامة انسباء السيد المسيح وذاك هو من جملة الاسباب التي سببت اشتهارها ولكنها لم تذكر في العهد القديم ولا بكتاب يوسيفوس المورخ المشهور ولم تكن اذ ذاك مشهورة وما يبرهن لنا عن ذلك هو ما ورد في الاصحاح الاول من انجيل يوحنا وهو قول (نثنائيل) وهل ممكن ان يخرج من الناصرة شي لاجيد على اننا نرى انها اشتهرت اخيرًا حتى انه نسبة اليها دعي السيد المسيح ناصريًا وتابعوهُ نصارى وفي زمن حكم كلود كانت بطلت هذه التسمية واخذ النصارى اسم مسيحيين غير انه اخيرًا تغلب اسم نصارى على كل تابع ديانة السيد المسيح وقد اقامت في البلدة

الامبراطورة هيلانة الكنيسة التي تدعى كنيسة البشارة وكان الاتي عليها حصار شديد في زمن الصليبيين وغب زمن دولة المذكورين كادت تقع في حيز الدمار والخراب وبعض المورخين اخبر وبرهن انها خربت تماماً ولم يبقَ منها اثر عمار على الاطلاق . في اواسط سنة ١٦٢٠ استاذنت جمعية الارض المقدسة بان تبني كنيسة البشارة التي سبق الكلام عنها وكانت ولم تزل حتى اواخر الجيل الثامن عشر في تاخر مفرط حتى نهضت بالزمن الحاضر واخذت تستفيق من رقادها وذلك في مدة الشيخ ظاهر الذي كل من يطالع ما اتحفنا به المورخ (فولنه) المشهور يتبين لهُ عظم شفقتهِ على المسيحيين وحسن معاملتهِ اياهم وحينما ساح (فولناي) الاقطار السورية كان ثلثا سكان هذه البلدة مسيحيين ولكن في ظروف سنة ١٨١٢ (بوركهارد) الذي هو من اشهر السياح زار الناصرة فوجد حسبما اخبر مورخ فلسطين نحو الفين من الاسلام والف من النصارى واذا طالع المدقق اقوال هذا السائح يرى ان لا شيء يستحق الذكر سوى دير الاباء الفرنسيسكانيين مع كنيسة البشارة فان فيها من الصناعة ما يجذب تعجب المتامل وحسبما يتبين ان احد العمودين الموجودين فيها مكسور عند وسطهِ ومن المعلوم انهُ كان فيها بيت السيدة مريم البتول وحسب قول بعضهم انهُ نقل اخيرًا منها وكل يعرف ان اول واشهر كنائس سورية اثنتان الاولى كنيسة القبر المقدس والثانية كنيسة البشارة الموجودة بالناصرة اذ تقدم ذكرها وبالناصرة يوجد بيت يوسف خطيب مريم والابار المريمية وبالناحية الغربية منها محل الكنيس الذي بهِ كان يعظ الناس السيد المسيح وفي محل مجاور يوجد الصخر الذي اراد الناصريون ان يرموهُ من اعلاه فكيف لا يهتز الانسان طربًا لدى سماعهِ عن وجود كذا محلات جرت بها مواقع شهيرة وفيها طالما سار انام اشتهروا في كل ما بهِ يتشرف العقل البشري ومن ليس يدركهُ الاسف اذا شاهد او سمع عن وجود كذا اراضي شريفة في حيز الدمار نعم ان ذلك امر موجب غم مفرط واسف شديد ثم ان من بلاد الناصرة كفركنا وصفوريه وقد جاء الكلام عنها واكسال

وام جبيل وقانا الجليل وقد ورد ذكرها

بلاد طبرية

ان قاعدة هذه البلاد هي طبريه التي هي احدى مدن الجليل الاربع اذ ذاع اشتهارها كما سوف يتبرهن لكل من سوف يمعن النظر جيدًا في مطالعة تاريخها

قال يوسيفوس اليهودي ان الذي بناها هو هيرودس ودعاها طبريه اكرامًا واجلالاً للامبراطور طيباريوس الروماني وحيث ان مركزها في سهل ضيق محاط من كل ناحية بالجبال كان من الواجب ان تكون بواسطة الفلاحة والزراعة ام جميع المدن المشهورة بالازهار والاثمار وكان فيها مدرسة مشهورة لليهود ويهودا الحاخام المشهور الذي جمع جميع تقليدات اليهود في كتاب دعاهُ المشنة كان احد معلميها وكان ذلك في سنة مائتين وعشرين التاريخ المسيحي وفي هذه المدرسة وضعت الحركات المستعملة حتى الان في اللغة العبرانية وضبطت اسفار العهد القديم وهذه البلاد افتتحها المسلمون في زمن الخليفة عمر بن الخطاب سنة ٦٣٧ مسيحية ثم انهُ غب زمن يسير وقعت تحت سطوة الافرنج وبقيت بايديهم الى سنة ١١٨٧ فتغلب عليها في ذلك الاوان الملك صلاح الدين الايوبي الفاتح المشهور ثم استرجعها سنة ١٢٤٠ باتفاق مع ملك دمشق وبعد ذلك استرجعها ملك مصر سنة ١٢٤٧ وقد هدمت منها جانبًا عظيمًا زلزلة حدثت في اول سنة ١٨٣٧ وهيرودس كي يشهر البلدة جلب كثيرًا من عبدة الاصنام واليهود اليها واوهبهم مجانًا قسمًا وافرًا من الاراضي مع كثير من الامتيازات وبقيت عاصمة الجليل حتى زمن هيرودس اغريباوس فانهُ جعل مركز حكومة العاصمة الاولى وهي صيفورية وقد خضعت من دون حصار للامبراطور فاسباسيانوس الروماني فكان ذلك سببًا لتفضيل الرومان اياها على غيرها وتخصيصها دون الغير بانعام وافرة وغب دمار اورشليم لم يرتض اليهود مبارحة الارض المقدسة فاستوطن علماؤهم واعظم حاخاميهم بمدينة طبرية

وتاسست اذ ذاك بها المدرسة المشهورة وفي زمن قسطنطين بنيت في هذه المدينة كنيسة للطائفة النصرانية وغب ذلك تحاصرت طبرية حصارًا شديدًا وفي سنة ٦٣٦ لدى افتتاح العرب اياها صار نفي اليهود والمسيحيين منها من طبرية مع انها في زمن الصليبيين كانت مركز الاسقفية وان مدينة طبرية الحاضرة ليست سوى جزء يسير من طبرية القديمة التي حسبما اخبر (بوركهاد) احد السياح المشهورين انها كانت واقعة نحو الشرق خاصةً من المدينة الحالية وفي الازمنة المتاخرة كان عدد سكانها اربعة الاف نسمة منهم الف من اليهود اصلهم من اسبانيا وبربار يا وسورية ومنهم اربعون او خمسون عائلة من بولونيا وصالحهم مفروق عن البلدة بحائط ذي باب واحد يقفل لدى الغروب وفيها عدد يسير من النصارى ولهم فيها كنيسة يزعمون انها بالمحل الذي به بطرس القى الشبكة ليصطاد السمك ولذلك دعيت كنيسة مار بطرس وفي عيده ياتي اليها الناس لحضور القداس مع كهنة الناصرة وحسبما اخبر بورخ فلسطين ان يهود اورشليم اخبروا ان الزلزلة التي حدثت في اوائل كانون الاول سنة ١٨٣٧ احالة طبرية للخراب والدمار والى جنوب شرقيها على ساحل البحر توجد المياه السخنة المعدنية وعليها الحمام المشهور يغتسلون به ويتواردون اليه من سائر الاقطار خصوصًا في شهر حزيران وخاصة المصابون بالامراض العصبية ويبلغ طول بحيرة طبرية ١٢ ميلاً وعرضها ٦ اميال قال احد مشاهير فرنسا ان هذه المياه شبيهة بمياه (آكس لاشابل) في فرنسا وقد زاد في ابنية هذا الحمام ابرهيم باشا خديوي مصر واصلح ما كان هدم منه واذا قطع المرء قليلاً من هذا الحمام يصادف بحيرة عظيمة تجتمع اليها المياه وتفيض منها جارية الى الاردن وهي ذات امواج واسماك قد اظهرت قدمًا بالغياض وازدهرت بالرياض وفيها قال الاديب ابو الطيب المتنبي

لولاك لم اترك البحيرة وال　　غور دفيءٌ وماؤها شبمُ
والموج مثل الفحول مزبدةً　　تهدر فيها وما بها قطمُ

والطير فوق الحباب تحسبها فرسان بلق تخونها اللجمُ
كانها والرياح تضربها جيش وغى هازمٌ ومنهزمُ
كانها في نهارها قمرٌ حفت بها من جنانها ظلمٌ
تغنت الطير في جوانبها وجادت الارض حولها الديمُ
فهي كمارية مطوقة جرّد عنها غشاءها الادمُ

ومن الاماكن الموجودة في مقاطعة طبرية المجدل والكرك وكفرسبت وعولم وسيرين وحطين ولوبيه وبين قرون حطين ولوبيه صارت موقعة بين الافرنج والمسلمين وهي مشهورة بموقعة حطين وكانت طبرية والناصرة في سهم زبلون من اسباط بني اسرائيل

ولاجل تتميم الفائدة نشرح في هذا المولف ما قد جاء عن بلاد نابلس في المراة الرضية اذ قيل واما بلاد نابلس فهي ثمان مقاطعات الاولى من جهة الشمال مقاطعة جانين ويقال لها حارثة الشمالية ويتبعها جانب كبير من مرج ابن عامر ومن قراها جانين وعرانة وجلبون وهي جلبوع القديمة ونورس وتوصف بجودة الحنطة وبزرعيل وسولم وهي شولم اولاً ونين وهي نايين وبيسان وهي بتيسان وبرقين وغيرها وكانت هذه المقاطعة جزءا من سبط يساكر من اسباط بني اسرائيل

الثانية مقاطعة الحارثة ومن قراها طوباس وسيرس والجديدة وميثلون والكفير وغيرها

الثالثة الشعراوية وهي قسمان الشعراوية الشرقية والشعراوية الغربية اما الشرقية فمن قراها الفندقومية وسيله والظهر والدير والرامه وفحمه وجبع وسانور ذات القلعة المشهورة وهي قلعة متينة على جبل لا يسلك اليها الا من مضيق حرج عصي فيها الشيخ الجرار في احمد باشا الجزار وحاصرهُ فيها مرارًا وهلك من عساكرهِ خلق كثير ولم يقدر عليهِ وما زالت هذه القلعة نصب عينيهِ ينتهز الفرصة عليها حتى مات سنة ١٢١٩ هجرية واستمرت في عنفوانها حتى عصيت

فيها مشايخ تلك البلاد التي كان مقدامها الشيخ قاسم الاحمد فحاصرهم عبد الله باشا واستنجد الامير بشير ابن الامير قاسم ابن الامير عمر شهاب فحضر برجاله واقام على حصارها ايام ثم داسها خيلة مهاجمة وامر عبد الله باشا بهدمها فهدمت وكان ذلك سنة ١٨٣٠ م واما الغربية فبين الشرقية والبحر ومن قراها قاقون والدير والخالد وزيتا وعتيل وغيرها وفي تلك الاراضي يمر نهر ابي زابوره ومن الاماكن التي على شاطي البحر الى جنوبي راس الكرمل عثيت وهي بلدة قائمة فوق ابنية معقودة بالحجارة العظيمة الهائلة وهذه الابنية خالية مظلمة وهناك اثار قلعة قديمة كانت للافرنج والطنطورة وهي دورا القديمة وخرائب قيصرية التي بناها هيرودس الملك ودعاها قيصرية نسبة الى اوغسطوس قيصر ويقال لها قيصرية فلسطين تمييزًا لها عن قيصرية فيلبس التي هي بانياس كامر وكل هذه الاماكن كانت في سهم سبط منسى بن يوسف

الرابعة وادي الشعير ومن قراها بيت امرين وبرقه واجنبسينيا ورامين وطول كرم وسبطة وهي سامرة القديمة وعفربة وسيلون وهي شيلو مع بينا وهودلي وسالم وبيت دجن مختصة بالخامسة وهي ابيتاوي الى شرقي مدينة نابلس

السادسة مقاطعة بني صعب ومن قراها حجة والفندق وعزون وجلجوله ويقال انها الجلجال وكفرسابا وهي انطيفاتريس القديمة وحرم علي بن عليم بقرب البحر وارسوف وغيرها وهذه الاماكن كانت في سهم سبط افرايم الاسرائيلي وكان شاطي سهم سبطه وسبط منسى من الطنطوره الى يافا ممتدًا من البحر غربًا الى الاردن شرقًا واما ما يقابل ذلك الى شرقي الاردن وهو جبل عجلون وجبل السلط او جلعاد فلسبط جاد والى الجنوب منه سهم سبط راوبين

السابعة جورة عمره ومن قراها بورين ورجيت وبيت ايبا ورافيديه وغيرها

الثامنة جوره مردا ومن قراها عين ابوس وحواره وفرخة واللبن والساوية وغيرها

ولا شك ان كل من يعرف حق المعرفة ان هذه البلاد التي مر ذكرها هي بلاد السامرة وما من مورخ قدر ان يطلع على احوال هذه البلاد وما من سائح بها نال

مرامهٔ بالكتابة عنها حتى قلما نقدر ان نوكد مسافة بعد بعض بلدان عن اخرى هذا وان السامريين ايدت اثارهم فلم يبقَ منهم سوى عدد يسير لا يذكر مقيم بنابلس وسبق الكلام عن اصل هذه الطائفة ومتعلقاتها في فاتحة الكتاب فعليك بالمراجعة . واذ قد تكلمنا عن مدن نابلس اجمالاً علينا بالكلام عن اشهر مفرداتها (بيسان) وهي بيت سان وحسبما اخبر بوركهادد احد السياح المشهورين انها على مسافة فرسخين من الاردن واربعة من طبرية وفي زمن الملك شاول كانت هذه المدينة تحت سلطة الكنعانيين وفي زمن الملك سليمان دخلت تحت سطوة العبرانيين واذ تولى هذه البلاد اليونان دخلت بحكمهم ودعيت (سيثوبوليس) اي مدينة يسع سان وذلك لزعمهم ان قوم سان حينما كان ذاهبًا لنواحي فلسطين سنة ٦٣١ ق م كان اقام ابنية فيها مع اننا نرى ان العبرانيين لم يذكروا مطلقًا هذا الكلام فلا يمكن ان ندخله حيز الثبوت وغب مرور عدة قرون ادعى بعضهم ان كلمة (سيثوبوليس) مشتقة من لفظتين احداهما عبرانية والاخرى يونانية وتفسيرها مدينة الخيم وهو غير مثبت ومركزها غربي الاردن وفي زمن الصليبيين تحاصرت حصارًا شديدًا والان ليست هي سوى قرية حقيرة وفيها ٧٠ او ٨٠ بيتًا ويوجد بها خرابات هائلة تجري حولها مياه غزيرة وقد زارها سياح مشهورون طالما اظهروا تاسفًا شديدًا على ما قد المَّ بها

سولم او شولم او سالم

كان مركزها الى جنوبي المدينة السابق ذكرها وهي على مسافة ٣ فراسخ منها وعلى كل مسيحي ان يتذكر بها وبالاوقات السالفة حيثما كان يوحنا المعمدان يعمد بمكان قريب منها وحسب القديس (جه روم) انها هذه سولم ملشيصادق وظن البعض انها مجهولة ومدينة (ابل محولا) وهي في سهل الاردن على مسافة ١٠ اميال رومانية من بيسان التي تقدم الكلام عنها واشتهرت بكونها وطن النبي (ايلياس)

جنيه او جنين

ان هذه المدينة مركزها على حد جبل افرايم الغربي نواحي سهل زرعين او يزرعيل ومع انها لم تشتهر بالكتب فقد اخبرنا يوسيفوس انها كانت حد منتهى حدود السامرة من ناحية الجليل اذ تبعد ٦ او ٧ فراسخ عن السامرة.

اسرده لون او استراده لا

هذه المدينة تدعى الان زرعين وهي يزرعيل القديمة ملوك اول ص ١٨ ع ٤٦ وتبعد مسافة ٤ فراسخ عن شمال شرقي السامرة وهذه المدينة كانت اشهر واهم مدن بني اسرائيل ودعي السهل الموجودة فيه سهل يزرعيل او زرعين نسبة اليها والملك اخاب كان بنى فيها سراية جميلة وقد أمر يوماً ما على ايزابل ان ترمى من اعلى شبابيكها ملوك ثان ص ٩ ع ٣٣ وفي زمن الصليبيين لم تكن هذه المدينة سوى مزرعة حقيرة اذ دعيت هكذا من كيليوم مالك صور وقد دعاها زرعين بروشارد وبثوليكانت وحسبما اخبر اشهر مورخي ذلك العصر مبنية في نواحي سهل زرعين او يزرعيل

السامرة او سبطيّة

هذه المدينة هي حصينة وذات شهرة في التاريخ القديم وبناها احد ملوك اسرائيل على جبل كان اشتراهُ من بعضهم وكان مركزها على مسافة ١٦ فرسخاً من شمالي اورشليم وصارت منذ السنة السابعة من تولي بانيها مركز ملوك بني اسرائيل وهدمها شلمناصر ملك اشور ثم جدد بناؤها وهدمها اذ ذاك يوحنا المكابي فامر ببنائها كانيوس احد حكام اليونان في سورية وفي زمن هيرودس قد امتطت جواد النجاح حتى اشتهرت اشتهاراً كلياً حسبما اخبر المورخون وقام هيرودس فيها هيكلاً باسم اوغسطوس الملك ودعاه سه بسته كلمة يونانية تفسيرها

اوغسطوس وكوتواسي السائح الذي ساح في الجيل السادس عشر اذ وصل اليها لم يوجد فيها سوى اثار دمار مشهور ودارفيو قال انهُ وجد فيها اثار خراب كنيسة حيثما يزعمون ان في ذلك الدمار يوجد ضريح يوحنا المعمدان وغب زمن طويل قال (مانترل) انهُ لم يجد بمكان هذه البلدة سوى اثر دمار لا يذكر غير انهُ نظر بالناحية الشمالية جنينة تعقب مربع بهِ صف عواميد (وكلارك) الذي ساح سنة ١٨٠١ لم يجد مطلقاً اثاراً لهذه البلدة واذ ذاك باسف نقول ان لا ذكر الان لهذه المدينة ولا اثر على الاطلاق مع انهُ من الواجب ان نثبت ما اتحفنا بهِ الهمام الفاضل (بوليه) صاحب القاموس العمومي المشهور اذ قال ان السامرة او سبطية هي من مدن فلسطين في سبط افرايم على حدود ارض اسرائيل من سبط منسى وكانت بعد نابلس مركز ملوك اسرائيل والعشرة الاسباط ثم انها صارت قاعدة بلاد السامرة وباني هذه البلدة هو (اوره) بناها في سنة ٩١٢ ق م وفي سنة ٦٧٢ تجدد بناؤُها وذلك غب ان افتتحها شلمناصر سنة ٧١٨ واخذ سكانها حتى نواحي الفرات وافتتحها غب ذلك سنة ٢٠٢ انطيوخوس الاكبر وهدمها ظاهرقان في سنة ١٢٩ فادخلها اكابنيوس لحيز الوجود وشيد عمارها وفي زمن هيرودس تقدمت جداً ورجعت الى حالها الاول والسامرون منذ دمار اورشليم اختلطوا بالغرباء وعبدة الصنم وكانوا يثيرون نيران الوغى بينهم وبين اليهود ولا يرغبون في ان ينظروا اليهم قاطعين كل الملاقات الودادية حتى صار يضرب بحقدهم المثل والملك يوستينيانوس اقام فيها خمس كنائس وقد حرقها فيما بعد السمرة وقد حرقت في زمن الصليبيين ثم بنيت في سنة ١٢٨٢ وهذه البلدة لم تزل حتى الان مشهورة ولو يسيراً واما كتب السمرة فمنمقة باحرف قديمة جداً يصعب الحصول عليها والوصول لتفسيرها وحتى الان لم يزل بعض السمرة موجوداً بنابلس ويمتازون بعمايمهم البيضاء غير انهُ قلما يوثق على كلامهم

سيلون او شيلو

ان هذه المدينة هي من تخوم سبط افرايم حيثما وضع يشوع التلاث مظال اذ كان الهيكل مبنيًّا الى شرقي نابلس واما الان فبالكاد يقدر ان يفوز السائح باحد حجارة هذه المدينة وكثيرًا ما افرغ الكد والجهد من ساح من السياح المتاخرين حتى يصل الى ادراك معرفة حقيقة المعلوميات بها فلم يقفوا على كل ذلك من اثر طفيف

نابلس

ان نابلس هي مدينة شكيم القديمة كما ذكر في جملة كتب شهيرة وموقع هذه المدينة بين جبل عيبال وجبل جرزيم تكثر فيها المياه ورباضها مشهورة وكثيرة وقد كانت بالزمن السابق في سهم سبط منسى الاسرائيلي وهي وطن بعض السمرة الذين سبق ذكرهم وتوفي بها بالقرن الثاني عشر للهجرة الامام الفاضل والهمام الكامل الشيخ عبد الغني النابلسي المشهور بالتصوف وصناعة الشعر الذي نشا في دمشق الشام وهي اشهر واقدم مدن الكنعانيين وتبعد فرسخين عن جنوبي السامرة وكانت في زمن يعقوب تحت سلطة الامير حمور الذي كان له ولد يدعى شكيم فدعيت البلدة باسمه مع انه قيل انه بانيها ولم يثبت ذلك في كتب المورخين وعقب افتتاح العبرانيين اختصت بسهم سبط افرايم الاسرائيلي وصارت معتبرة عندهم حتى اتوا اليها ببقايا يوسف عليه السلام وفي هذه المدينة اجتمع يشوع مع الاعيان ووعظهم بالارشاد والنصائح وقد هدم القسم الوافر منها بامر ابيمالك وذلك لان اهلها كانوا اشهروا ضده العصاوة ومنذ ذاك الحين لم يسمع لها اسم سوى في زمن داود فانه عقب وفاة سليمان اقام جمهور وطني في هذه البلدة وبسببه صار انقسام العشرة الاسباط واما رحبعام اول ملوك اسرائيل فعظم وكمل هذه المدينة مزينًا اياها وجعلها عاصمة له وفي زمن ملوك الفرس تحاصرت حصارًا شديدًا فبنى السمرة اذ ذاك على جبل جرزيم قرب البلدة هيكلًا

وغب بنائه بما ينيف عن مائتين سنة هدمة وادخلة حيز الدمار يوحنا المكابي وفي الجبل يوحنا ذكرت هذه المدينة تحت اسم سيكار وبالقرب من المدينة كان يوجد بئر يعقوب عليه السلام التي بالقرب منها تحادث السيد المسيح مع السامرية التي لا تخفى قصتها على مطالعي الكتاب المقدس والامبراطور فاسبسيانوس عظم هذه المملكة حتى انه اقام فيها محكمة رومانية فدعيت (نه يابوليس) واذ ذاك لم يعد العرب يلقبوها بهذا الاسم الموخراي شكيم بل مذ سكنوها دعوها نابلس ولم تزل حتى الان وفيها اجتمع جمهور من المسيحيين وولد فيها يوستنيانوس والامبراطور (زملون) نفي السمرة من جبل جرزيم. وشجرها واسع واهلها موصوفون بشدة الباس وكثيرا ما يتورطون في هاوية اخطار الخصام الامر الذي يتعب كل من يتقلد مهام امورها وفيها من ابناء العشائر بنو الجرار وبنو طوفان وهم مشائخ تلك البلاد وفيها عدة مصابن اذ ان من هناك اشهر الصابون ولم تزل تحت سلطة الدولة العلية العثمانية وهي مركز المتصرف بها المنوطة احكامة بامر والي ولاية سورية وفي شمالي البلدة قيل انه يوجد قبر يوسف وقد اقام عليه المسلمون جامعاً

بثل

كانت تدعى في غابر الاعصر (لوز) وحينما اشتهرت سطر اسمها في اشهر كتب المورخين وغب ان نظر يعقوب فيها بالحلم ذلك السلم الذي كان ظهر انه ملتصق بالسماء لقبها باسم (بثل) اي معبد الله وقد اخذها نسل افرايم مع انه كان من الواجب ان تخص بسبط بنيامين وكانت هذه المدينة موجودة في زمن الرومان والامبراطور فاسبسيانوس حينما افتتحها اقام بها حرساً خصوصياً وفي زمن القديس جه روم لم تكن سوى قرية حقيرة فما حق ان تذكر بكتب المورخين

هذا وقد ذكرنا ان اليهودية من جملة اقسام فلسطين التي نتكلم الان عنها

اولاً كلاماً عمومياً ثم ناتي بالكلام عن مفردات بلدانها

اليهودية

ان لفظة اليهودية تستعمل غالبًا لتدل على البلاد التي سكنها العبرانيون غير اننا الان نعني بها عن القسم الواقع في غربي الاردن اذ انهُ يمتد من حدود السامرة حتى بلاد العرب والحد الشمالي التي خسبما اخبر يوسيفوس المورخ يصل حتى الاردن تجاه يبوق وحتى الناحية الشرقية يحدها الاردن وبحيرة لوط وشمالاً تحدها حدود فلسطين في هذه الصدد وغرباً كان ممتدًا حتى بحر الروم مع انهُ كما قال احد المورخين كان يعم كل البلدان الخارجة عن حد السامرة في ذياك الجوار والشمال الغربي كان ممتدًا حتى الكرمل

اما جبال اليهودية فهي ذات ارتفاع يفوق ارتفاع كل جبال السلسلة الغربية والشرقية الرامة كلما تقدم المرء بالمسير بنظر مراسح بها تسر النواظر وتفرح الخواطر ولا شك انهُ سوف يلتقي باقسام وافرة من تلك الاراضي المعراة عن كل خصب ويستحيل ذياك الفرح لكدر وغم ومنا من دليل يندر ان يقود السياح لتلك الاراضي واطرق تلك الصخور بيد ان ما يدع هولاء السياح ان يبلغوا غاية قصدهم خصوصاً اذا كانوا وافدين من يافا لاورشليم طريق واديين مشهورين ومع ان اليهودية اقل خصباً من غيرها فحسب شهادة يوسيفوس المورخ كانت مخصبة بالقمح والاثمار والخمر وبالمراعي الشاسعة وقد انقسمت الى اثني عشر قسماً بالزمن القديم غير اننا الان نضرب صفحاً عما اتت بهِ الازمان من الاختلافات ونتبع القسم الاوفر من المورخين مبتدئين بالكلام حسب هيئة البلاد الطبيعية من البلدان الواقعة بالسهل الشرقي من غربي الاردن ثم رويدًا رويدًا عن كل ما هو مختص ببلدان هذا الاقليم

اريحا

ان هذه المدينة المدعوة بلدة النخل هي على مسافة فرسخين من النهر وستة من اورشليم وهي من اشهر مدن اليهودية وحسبما يتبين من مطالعة التواريخ انها ذات قدمية وان احد السياح المشهورين وهو (فولناي) قال انها سهل يبلغ طوله ستة اوسبعة فراسخ وعرضه ثلاثة فراسخ وحولها ترى تلك الجبال العادمة الخصب التي تسبب وجود وحدوث الحرارة فيها وهذه اول مدينة من مدن الكنعانيين استفتحها الاسرائيليون وان يشوع حينئذ هدمها لعن كل من يجدد او يسبب تجديد عمارها ومع ذلك تراها انها كانت ذات اهمية في زمان القضاة حيث انه غب وفاة عثنيئيل استولى الموابيون عليها كما جاء مدونًا في سفر القضاة (٣ : ١٣) كما انها اشتهرت في زمن داود عليه السلام وحسب كتاب او سفر الملوك لم يتجدد بناء هذه المدينة سوى في زمن الملك اخاب زاعمًا من بناها ان يشوع عليه السلام كان لعن من يحصنها واذ ذاك مضت برهة فسكن بها القديسان الشهيران ايليا واليشع واذ رجع اليهود من بعد سبي بابل صارت بعد اورشليم اهم مدن اليهودية وكانت احدى المدن التي امر بتحصينها يوناثان القائد المكابي . وهيرودس الاول بنى فيها امفيتياترو وقصرًا معتبرًا وهذا الملك في اواخر عمره جعلها مركزًا له وفيها توفي وفي زمن حصار اورشليم بحكم الامبراطور فاسبسيانوس هدمت فجددها ادريانوس وموقعها يوجد الان قرية حقيرة بها اربعون او خمسون عائلة من الاسلام ولا ينظر اثر لخراب اريحا الان وقد وجد فيها الاب ماريتي السائح اثر عمود يزعم انه من بقايا كنيسة كانت بقرب بيت زكا وفي القرن السابع عشر كانوا يجلبون السياح للجميزة التي صعد عليها زكا لينظر السيد المسيح وبالجوار توجد مدينة هدمت مع عين ماءقيل ان ماءها باعجوبة صارت عذبة وقال ..نتوبريان انها على اسفل الجبل الذي صلى وصام عليه السيد المسيح مدة اربعين يومًا وانها على مسافة ميلين من البلد وحول هذه

البلدة توجد قرى وضياع كثيرة نضرب صفحًا عن ذكرها لعدم اهميتها فان كمل سايح تلك النواحي مسيره يتصل بتلك الطريق التي تودي من يسير فيها الى القدس الشريف

اورشليم

من لا يصبو لمعرفة ما قد حدث في هذه المدينة من الحوادث ومن لا ينتعش عند ذكراها ولا شك ان الاسهاب بوصف شرف وقدمية كذا مدينة شهيرة يكون كفارغ امر والاختصار اولى فاقول انها كما هو معلوم اشرف واقدم مدن الكرة الارضية وقلما نرى اونسمع عن بلدة انها قاست ما قاسته من الاهوال والتغييرات فكم وكم من المعامع جرت وسطها وكم حصار طرا عليها ولعمري كم وكم هيجت اطماع اصحاب الهمة لافتتاحات ولشن الغارات ولذلك اصبحت توثر بالتاسف المفرط فواد كل من ياتي متاملا ما قد الم بها

فهي مملوة من الاشياء ذات القدمية الوافرة وقد دعيت (ايليا) ومركزها على جبل تظهر قمته من الغرب للشرق وللناحية الغربية يوجد باب المحراب وتحت ذلك قبة داود وللشرق باب الرحمة الذي يكون غالبًا مغلوقًا فلا يفتح سوى في عيد الشعانين وللشرق ايضًا يوجد باب صهيون وللناحية الشمالية يوجد عمود الجوراب واذا ذهب المرء من المحراب يسير برهة يسيرة فيصل اذ ذاك لكنيسة القيامة

ولشرقي هذه الكنيسة اذا نزل المرء قليلاً يصل الى المحل الذي قبض به على السيد المسيح والى المحل الذي صلب به ومن يتوجه من الكنيسة الخصوصية شرقًا يصادف ذلك البناء المشهور الذي اقامة سليمان بن داود عليه السلام المعروف بالجامع الاقصى عند الاسلام

و بنيامين احد الكتاب المشهورين قال ان للقدس الشريف اربعة ابواب وهي باب داود عليه السلام وباب صهيون و باب ابرهيم عليه السلام و باب

يوشافاط ولاشك ان هذه التسميات كانت اكثر استعمالاً في زمن اليهود

واما السور الذي يحيط بالمدينة فبناهُ السلطان سليمان وذلك سنة الف وخمسمائة وثلاثاً واربعين فيبلغ طولهُ مسافة اربعين قدماً وعرضهُ ثلاثة اقدام وعلوهُ يبلغ مائة وعشرين قدماً ولهُ اربعة ابواب على الجهات الاربع ففي الحائط الشمالي يوجد بابان فللناحية الغربية باب الشام او باب العمود وهو يودي لنابلس والناصرة وعكاو باب هيرودس او افرايم وهو المدعو باب الرحمة

وللشرق ايضاً يوجد بابان الاول باب القديس اثناسيوس حيثما دعي القديس المذكور غير ان الشعب يدعوهُ باب ستي مريم وسبب ذلك حيث انهُ يوصل السائر لقبر سيدتنا مريم ومنهُ يذهب الى مدينة اريحا وذلك عن طريق جبل الزيتون ونحو الجنوب يوجد الباب المذهب ثم قليلاً يوجد باب المغاربة وهو شهير وطريق توصل السائح لبركة سلوان وللغرب يوجد باب صهيون و يدعى عند اهل المدينة باب النبي داود وخارج هذا الباب على قمة صهيون توجد كنيسة ارمنية وليس بعيداً عن ذلك جامع مبني حسبما قيل على قبر داود وللغرب ايضاً توجد عمارة كانت مختصة قديماً للفرنسيسكانيين اذ كانت كدير لهم والان هي مستشفى وفيها قاعتان قيل ان بالاولى منها عيد السيد المسيح الفصح و بالاخرى حل الروح القدس على التلامذة وعلى صهيون توجد ايضاً المقابر المختصة بالامة المسيحية وللغرب لا يوجد سوى باب بيت لحم الذي يوصل لبيت لحم ولحبرون وعلى اليمين توجد الطريق الموصلة ليافا والشعب يدعوها باب الخليل وسبب ذلك حيث انها تودي الى حبرون المدعوة مدينة الخليل وبالقرب من هذا الباب توجد عمارة شهيرة ومنها برج داود وكانت قائمة منذ زمن الصليبيين

وان كثيراً من السياح قد قاسوا مساحة السور وحصروا عدد الخطوات ومن جملتهم السائح (مانده ره لا) الذي خروجهُ كان من باب بيت لحم . قال من باب بيت لحم للزاوية الموجودة والقايمة في الشمال الشرقي من السور . ٤٠٠

قدم ومن هناك لباب العمود ٦٨٠ ومن باب العمود لباب الزهرة ٣٨٠ ومن الباب المذكور لقبر ارميا ١٥٠ ومن قبر ارميا للزاوية الموجودة في الشمال الشرقي ٣٢٥ ومن الزاوية المذكورة لباب القديس اثناسيوس اوستي مريم ٣٨٥ ومن باب ستي مريم للباب المذهب ٢٤٠ ومن الباب المذهب للزاوية الموجودة في جنوب شرقي (موريا) ٢٨٠ ومن الزاوية المزبورة لباب المغاربة ٤٧٠ ومنه لباب صهيون ٦٠٥ ومن باب صهيون لزاوية الجنوب الغربي ٢١٥ ومنه لباب بيت لحم ٥٠٠ المجموع ٤٦٣٠ قدم فمن ذلك جميعه يعلم المطالع اقسام المدينة باسرها واذ ذاك نرى ان المدينة بهيئتها كطارق التي ناحيتاها الاكثر طولاً هما الشمالية والشرقية واذا فرغنا من ذلك نتكلم عن ازقة اورشليم فنقول

(١) اشهر الصوائح سوق باب العمود فانها ممتدة من الشمال للشرق

(٢) السوق الكبيرة وهي ممتدة من الغرب الى الشرق

(٣) سوق الالام تبتدي بباب مريم وتمر بمحل بيلاطس وتنتهي بالجلجلة

ثم انه يوجد غير هذه الازقة الثلاثة الواسعة والمشهورة سبعة اخرى

(١) سوق المسلمين

(٢) سوق النصارى تبتدي بالقبر المقدس وتنتهي عند دير اللاتين

(٣) سوق اليهود وهي مركز النصابين

(٤) سوق باب هوتا قرب الهيكل

(٥) سوق الزهرة وهي ليست بجيدة

(٦) سوق المغاربة

فازقة هذه المواضع هي ضيقة وغير متساوية وليست مبلطة سوى قسم جزئي منها . اما بيوت اورشليم فهي غير مرتفعة ولا ينظر شبابيك سوى في قسمها العالي واذ ذاك علينا ان نذكر قليلاً اشهر واهم ابنية هذه المدينة فنقول . اولاً نحو الناحية الكائنة شمال غربي البلد كنيسة السيد المسيح وهي كنيسة شهيرة حرقت في سنة الف وثمانماية وثمانية في الليلة الحادية عشر من شهر تشرين الاول غير انها

تعمرت فيما بعد . ثانياً دير (سان سالغا دور) ما بين باب العمود و باب بيت لحم . ثالثاً دير الروم قرب القبر المقدس . رابعاً كنيسة الارمن لدى ابتدا جبل صهيون خامساً جامع عمر وهو مشهور عند كل مطالع التواريخ

واما محل الجلجلة فمركزهُ الى شمالي صهيون و بقربهِ كان يوجد حسب ماجاء في انجيل يوحنا القبر الذي وضع بهِ السيد المسيح فالجلجلة مع القبر كانا خارج البلد مع اذ نرى الان انهما صارا ضمنها وذلك امر غير مدهش ولكن نرى ان الخوض بابحر الفكر بما خص موقع بعض الاماكن في اورشليم سبب التوهم في عدم صحتها ولذلك نرى ان اشهر العلماء والسياح قال انهُ امر غير ممكن ان الجلجلة والقبر المقدس حقيقة وجدا في الاماكن التي قيل و يقال عنها الان انها وجدت بها ومن يدقق النظر في هذه الاحوال يظهر لهُ جليا ان المورخين على غير اتفاق من هذا القبيل فنرى ان بعضهم يقولون انهُ هذا هو محل القبر المقدس وآخرون منكرون ذلك و يسندون اقوالهم ببراهين قوية

والان نتكلم عن نواحي اورشليم وجوارها فاولاً جبل الزيتون الموجود لشرقي اورشليم وهو ممتد بطول وادي يهوشافاط ولهُ قمم اولها القمة الشمالية وهي الاكثر ارتفاعاً و بهِ تنظر خرائب . وعلى قمة الموضع المتوسط توجد كنيسة الصعود وقد بنت الامبراطورة هيلانة في ا[illegible] ذاتهِ كنيسة وذلك حيث حسب ما جاءت النصوص انهُ من هناك صار صعود السيد المسيح الى السماء و بالكنيسة يوجد اثر خطوتهِ ولم يزل الى الان وللناحية الشرقية [illegible] هذا المنظر اثار محزنة وللغربية الجبل المدعو جبل الشك و بالحقيقة انهُ قسم من جبل الزيتون واما من علو جبل الزيتون فينظر المرء منظراً محزناً وبهجاً معاً وذ[illegible] لدى مشاهدتهِ سهل اريحا الذي بجوارهِ ترى مياه الاردن جارية بهِ فلم [illegible] من التاسف المفرط يلم بكل من يشاهد منظراً كهذا اذ يرى بلاداً امتطت اوج النجاح قد اصبحت قاعاً صفصفاً وذلك لاشك امر موجب التاسف المفرط ومياه الاردن التي تتلاعب هناك تصب بالبحر الميت او بحيرة لوط وللغرب

تظهر المدينة ثم بعيدًا عن ذلك ينظر المتامل مياه بحر الروم

وعلى اسفل الجبل لناحية البلدة الشمالية توجد جنينة الزيتون المسماة بالانجيل (جثسيماني) فيذهبون اليها من المدينة اذا خرج القاصد ومر بباب القبر المقدس وقطع على جسر قدرون وهي مختصة الان بالاباء الاتينيين ومساحتها ماية وستون قدمًا مربعًا وفيها ثمان زيتونات ذات اعتدال وافر حتى ظن قوم انها منذ الزمن القديم ولشمال الجنينة كنيسة تحت الارض يوجد فيها قبر يقال انهُ قبر مريم ينزلون اليهِ بسبع واربعين درجة من الرخام وبوسط السلم يوجد على ناحية قبر يواكيم وحنه وعلى الاخر قبر حضرة يوسف . واما وادي يوشافاط فيمتد من جثسيماني حتى قرية سلوان التي موقعها الى جنوب غربي جبل الزيتون وهنا لك توجد قبور اليهود هاك ما جاء موضحًا بهِ من هذا القبيل (شانوبريان) احد السياح المشهورين ان قبور اليهود تشبه محلاً متسعًا ممتلئًا بالدمار والاثار وفيما بين هذه الخرابات توجد ثلاثة قبور وهي قبر زكا ويوشافاط وابيالون وعين مريم هي تجاه قرية سلوان وبركة سلوان هي بين (صهيون) (والموريا) حيثما يتصل وادي يوشافاط بوادي (هينوم) وهي تندفق من صخر وحسبما يظهر انها هذه هي العين الوحيدة ذات الماء العذب الموجود في جوار اورشليم وهي مقسومة لقسمين وفي كل وقت كان الاهلون كلما علموا ان اعداهم مزمعون ان يحاصروا مدينتهم يحولون ماء بركة سلوان ويسدون النبع بحيث ان الماء كان تاتيهم على قدر احتياجهم فقط الامر الذي كانوا يتخلصون بهِ من خطر العطش ويوقعون عدوهم بهِ

ولشرقي صهيون بعيدًا عن وادي (هنوم) يوجد حقل الدم الذي اشتراهُ اليهود بثلاثين من الفضة وبالوادي للناحية الغربية من مدينة جيحون توجد حفرة مسماة بالاسم ذاتهِ وهي بركة غير انها ناشفة ولا بركة مجاورة في تلك النواحي الامر الذي يدعنا ان نظن انها صنعت لتحوي داخلها ماء مطر تلك النواحي وتلك الجوار

ومن هناك لشمال البلدة على مسير يسير قبل الوصول لباب العمود توجد مغارة التي بها حسب ما يبان من مطالعة التاريخ الف (ارميا) كتبه وهو داخلها . وبلغ طولها ثلثين قدمًا وعمقها اربعين وسقفها راكز على عمودين او ثلاثة وليس من الواجب ان يتفكر المطالع ان هذه هي قبر ارميا فان ضريح المرقوم هو بجورة مركزها هناك وانما للناحية الشرقية وعلى مرمى ثلاث او اربع طلقات بارود من المغارة المذكورة يوجد اشهر واحسن الابنية الموجودة في ذلك الجوار وهو قبور الملوك وللشمال توجد قبور القضاة

واما بيت عنيا وقد ذكرت في الكتاب المقدس فكان مركزها لشرقي جبل الزيتون وطريقها هي الطريق التي توصل لاريحا التي سبق الشرح عنها وان السيد المسيح جلب لبيت عنيا ذلك الاتان الذي دخل به اورشليم وحسب ما برهن من تاخر من السياح ان لا رسم لدمارها الان

وبيت عنيا مركزها على مسافة ثلاثة ارباع فرسخ من اورشليم وقطن بها لعازر مع شقيقتيه مريم ومرتا مدة والسيد المسيح كان يطوي اكثر الليالي في مدة وجوده على الارض في هذه القرية وبيت عنيا الان قرية حقيرة جدًا جدًا وما من شيء يذكر بها سوى اثار مسكن لعازر وقبره واذا نظرنا لجنوب شرقي القدس نرى مدينة بيت لحم التي هي من اشهر واقدم اماكن العالم ووادي روفائيل فاصلة بينها وبين اورشليم التي تبعد عنها نحو فرسخين ومركز بيت لحم على تل عال كاشف ما جاورها من الاماكن وهي شهيرة بالعهد القديم لكونها مولد داود وبالعهد الجديد لكونها مولد السيد المسيح قال بعضهم انها بعيدة فرسخين عن بيت المقدس بها كنيسة لم يزل معلقًا بها جزع نخل زعم بعضهم ان من ثمره اكلت مريم عليها السلام وفي بيت لحم يوجد نحو ماية بيت وبعض عيال من المسيحيين مع قليل من الاسلام ولا يهود بها و (فولناي) وجد فيها في زمن سياحته ما يقارب (٦٠٠) محارب فمن هذه الجنود يوجد ماية من اللاتينيين واهل بيت لحم يصطنعون المسابح وينصبون على حراثة الارض وزراعتها ولشرقي بيت لحم

على مسافة ماية خطوه يوجد دير اللاتينيين المتصل بكنيسة شهيرة قيل ان الامبراطورة هيلانة هي التي بنت هذه الكنيسة في محل ولادة السيد المسيح وقال احد الجغرافيين انها واسعة متينة قل ما يقدر السائح ان يجد لها نظيرًا ثم يوجد على مسافة خمس دقايق من هذه الكنيسة المحل الذي بهِ وضع الاطفال الذين امر هيرودس بقتلهم وذلك كما جاء في الكتاب المقدس وبالقرب منهُ المغارة التي سكن بها القديس (جه روم) وكذلك ضريحهُ ثم قبر القديس ولس وللشرق من هذه الكنيسة يوجد دير الروم وبالقرب منهُ دير الارمن

وعلى مسافة نصف فرسخ من بيت لحم يوجد ضريح راحيل امراة يعقوب عليهِ السلام ولشرقي بيت لحم يوجد طريق يسار بها نحو فرسخ ومنها يتصل السائر الى عين ماء تدعى راس العين ومياهها ليست غزيرة كالسابق وعلى مسافة ماية واربعين خطوة يوجد محل بهِ اجتمع تديمًا ثلاث عيون ماء وللجنوب شرقي بيت لحم على بعد ستة الاف ميل روماني كانت موجودة مدينة رومية تدعى تكوا وهي وطن عاموس ولكن مرور الزمان لم يبقِ لها رسمًا ولا اثرًا

حدود اورشليم ومركزها القديم

هي في ٣١ ٤٧ درجة من العرض الشمالي و٣٣ من الطول الشرقي ومركزها على اعلى قمة جبل يهوذا على حدود اراضي بنيامين ويهوذا والجبل المجاور اورشليم اذا نزل السائح من الشمال يرى انهُ محاط شرقًا وغربًا بوديان تتبعها جبال مرتفعة بحيث لا يقدر الناظران يشاهدها على بعدها واشهر هذه الاكام ثلث اولاً جبل صهيون ومركزهُ للجنوب الغربي منها وهو واسع ومرتفع ثم الاكمتان اللتان تليه وما جرى عليها من الحوادث اجبر من كان بها على تحصينها بالاسوار وهي ثلاثة وابوابها ذكرت وازقتها كذلك

ولما افتتح البابليون هذه المدينة امست اجمل بناياتها واشهرها فرية النيران

مختصر من تملك عليها

ان الكتاب المقدس لم يخبر في اي زمن وجدت هذه المدينة ولم يقدر على ذلك اشهر مورخي الاعصر وكلهم على اتفاق ان هذه البلدة اول ماوجدت بمحل مدينة سالم اذ كان اذ ذاك ملشيصادق ملكاً وفي زمن يشوع قام ادونيصادق ملكاً عليها وتوفي اذ وقع بين يدي العبرانيين فاستلموها وغب الانشقاق العبراني بقيت عاصمة يهوذا وكان داود جعلها اذ ذاك مركزهُ وفي السنة الخامسة من حكم رحبعام افتتحها سه ذاكيوس ملك مصر و بزمن يورابيم عصبة من العرب والفلسطينيين غزوها واسروا الملك مع اولاده وفي زمن اماسيوس نهبت المدينة وذبح سكانها بامر الملك (يواسيوس) ملك اسرائيل وعند ذلك حاصرها الاشوريون ولكن بدون نفع و بعد سنة ١٢٠ حاصرها الكلدانيون بحكم وامر بخت نصر وهدموها على اخرها و بقيت حتى امركاسيوس ملك الفرس بتعميرها ولدى سقوط ملك الفرس سلمت اورشليم بدون حصار الى الاسكندر و بعد وفاة الاسكندر افتتح اورشليم بطولوماوس ملك مصر وسنة ١٧٠ ق م ذبح اهلها انطيوخوس ايبفانيوس ملك سورية وعمق الهيكل مذ وضع فيه تمثال (جوبيتر) وغب ان ارتاحت قليلاً من مشقات المعامع دخل اليها سنة ٦٣ ق م منتصرا بومبايوس القائد الروماني المشهور ثم غزا الهيكل بعد برهة يسيرة كراسيوس

وكان هيرودس قد زين المدينة بعمارات جميلة غير ان تمرد وعصيان اليهود سبب حدوث حرب فافتتح اذ ذاك تيطوس الروماني هذه المدينة وكان ذلك سنه ٧١ ب م فصارت اليهودية باسرها اذ ذاك اقليما رومانياً وهدمت اورشليم بتمامها وكان الامبراطور تيطوس قد اعاف بعض بروج و بيوت من الدمار فاباد رسمها الامبراطور ادريانوس فيما بعد لسبب عصيان اليهود

والامبراطور المذكور رغب ان يبد اسم هذه المدينة ولذلك اقام في موقعها

بلك اخرى جديدة ودعا كابيتوليا وحرم على اليهود ان يدخلوها تحريمًا قطعيًا ولكن مذ صار صعود القياصرة المسيحيين على عرش التملك ابتدات ان تجدد بعض ابنية دينية في اورشليم مع بعض عمارات .

غيران كسرى في سنة ٦١٥ افتتح هذه المدينة وغب برهة يسيرة استرجعها الامبراطور هراكليوس الروماني وكان ذلك سنة ٦٢٧ فلم تلبث زمنًا طويلاً حتى افتتحها حضرة الفاتح المشهور عمر الخليفة ثم تداولتها ملوك الفرس والفاطميين والمصريين والسلجوقيين

وفي سنة ١٠٩٩ اخذها الصليبيون وكانوا تحت راية (غودا فودا) وفي سنة ١١٨٧ افتتح اورشليم الملك صلاح الدين الايوبي وفي سنة ١٢٢٩ وهبها الملك مالك كامل الى فريدريكوس الثاني ولكن سنة ١٢٤٤ استرجعها المسلمون وبقيت تحت سلطنة ملوك مصر وسورية حتى افتتحها في سنة ١٥١٧ السلطان سليم الاول واما ابرهيم باشا فقد اخذها سنة ١٨٣٢ غير انها رجعت ولم تزل تحت سلطنة ملوك بني عثمان

هذا واننا نرى مدينة بيت المقدس اي القدس الشريف وان تكن قد انحطت عن سامي قدرها نظرًا للابنية والاهمية التجارية فلم تزل بدرجة اولى من الاعتبار الديني والسياسي فانهُ قبل الفصح اي بزمن الصوم يبتدي ان يتوارد اليها السياح من كل صقع وناد فكثيرًا ما نشاهد اناسًا وافدين من البلاد الروسية واخرين من فرنسا وغيرهم من امركا وانكلترا قاصدين فقط مشاهدة هذه المدينة التي يليق بها ولها كل مدح واكرام وكانت تابعة لوالي الولاية السورية لكنها انفصلت عنها حينما سمي متصرفًا عليها صاحب السعادة نظيف باشا وذلك سنة ١٨٧٢ فكان يخاطب راسًا الباب العالي بامور الاحكام وبعد ان وقع النزاع المضاد بين اللاتين والروم صار نصبهُ بامر الباب العالي واليًا لجزائر البحر الابيض وسمي عوضًا عنهُ سعادتلو كامل باشا متصرف بيروت الاسبق ولم يزل بها يدبر الامور على احسن اسلوب الى اواخر سنة ١٨٧٤ اذ صدر الامر بفصلهِ وبتعيين

عطوفتلو علي بك الذي كان متصرفًا لترحا ليا

هذا ومن اراد ان يعرف عن هذه المدينة بأكثر تدقيق عن ملوكها وحكامها واكثر ما جرى فيها من الوقايع وحالتها الحاضرة فعليه بمطالعة كتاب تاريخ القدس الشريف الذي طبع هذه السنة في مطبعة المعارف

يافا

هي في طول شرقي ٥٣َ ٣٤ْ وعرض شمالي ٣َ ٣٢ْ تبعد عن اورشليم نحو اربعين ميلاً ولا شك ان كل من زار تلك النواحي يتبرهن له جمال هذه البلدة وعظم نزهتها فان فيها اباراً وبساتين كثيرة وابنيتها على جانب من الاتقان والكمال وتجارتها ممتدة في محاصل جميع البلدان واما اليونان فيدعونها (جوبه) ومركزها على ساحل بحر الروم تبعد مسافة خمسة عشر فرسخًا عن شمالي غربي اورشليم وذلك كما جاء بتاريخ فلسطين وهذه البلدة هي من اشهر بلدان اسيا ومن جملة نبذ تواريخ يظهر انها كانت موجودة قبل الطوفان وحسب تواريخ اليونانيين انه بالقرب منها علق على صخر (اندروماروس) و بليموس احد المورخين المشهورين قال ان في زمنه كان لم يزل على الصخر اثر السلاسل التي قيد بها (اندروماروس) وبالزمن القديم كانت يافا المحل الوحيد الذي كان الاسرائيليون بواسطته يدون علاقاتهم مع سكان البحر الاسود و بواسطة ساحل يافا وصل ارز لبنان مع كل ما كان لازمًا لبنا هيكل سليمان المشهور

فمنها سافر النبي يونان الى ترسيس مع اننا نرى ان لا اهمية لها في كل الكتب الدينية وقد افتتحها الاميران المكابيان يوناثان وسمعان رغمًا عن ارادة وقوة السوريين وقد افتتح هذه المدينة بواسطة مهاجمات عديدة (كاسيتوس) فاحرقها وامر عسكره بابادة سكانها فاهلكوا ما ينيف عن ثمانية الاف نسمة وغب ذلك ببرهة يسيرة اقام اليهود اسوار هذه البلدة وظهر لصوص اخيرًا من نواحي يافا سببوا انشقاقات ومخاصمات جمة الامر الذي هيج الرومان

ثانية ولذلك قدم الامبراطور فاسبسيانوس وأباد اثر هذه المدينة ولم يبقَ منها رسمًا وبنى في محلها قلعة وضع فيها جرسًا روماليًا وكانت ذات اهمية بالنظر الى المسيحيين وبدوين الاول حصنها واسترجعها صلاح الدين سنة ١١٨٨ ومنذ ذاك الاوان كانت تقاسي وتركز مركزاتها سورية في كل ما كان يجرى عليها وفي اواخر القرن السادس عشر لما زار (كوتويك) سورية قال ان يافا لم تكن اذ ذاك سوى بقعة دمار وغيره سنة ١٦٤٧ ما وجد فيها سوى عمارة وثلاث مغارات وإذ ذاك اقول ان يافا الحاضرة ليست في حيز الوجود سوى منذ مائة وخمسين عامًا

واشتهرت موخرًا بسبب محاربة نبليون الاول اياها واذ ذاك ذهب فريسة ارماح الغضب ماينيف عن ٤٠٠٠ أسير من اعداء هذا البطل واما استلام الفرنساويين يافا فكان في ٦ اذار سنة ١٧٩٩ وغب ذهاب الفرنساويين بنو عمارة على الناحية الجنوبية من البلدة قيل ان الانكليز امروا بذلك وهو غير معلوم وحسب شاتو بريان ان هذه المدينة تظهر للناظر انها مكونة من آكمة بيوت مكردسة ومرتبة كامفيتياتر على بقعة مرتفعة ومن ناحية البحر يحيط بها سور تكاد ناحيتاه ان تلتصقا بالبحر المذكور ويافا تحتوي على محل للسياح وفيها من السكان خمسة الاف نفس وهي الان مزهرة بالرياض ومزدهرة بالغياض فيها من انواع الفاكهة البردقان المشهور واذ هي اسكلة القدس الشريف ترى بها يوميًا عددًا وافرًا من السياح وذلك يسبب تشديد العمارات بها يومًا بعد يوم وبالقرب منها محل به اشهر انواع البطيخ والذرة وفيها الليمون والرمان والتين والتفاح والخوخ والنخل وغير ذلك ولكن ميناها غير امينة للسفن ولذلك ترسي بعيدًا عنها كل المراكب البحرية التي تاتي اليها

لُدّ

للشمالي الشرقي من رملة على نحو ساعة ولشرقي يافا على مسافة ثلاثة فراسخ

توجد هذه البلدة المدعوة لد وحسب اشهر مولفات من تاخر من المورخين ان الذي بنى هذه البلدة بعض نسل بنيامين وذكرت في بعض مواقع عن الكتب الدينية ويتبرهن انها كانت مختصة باقليم السامرة وذلك لان (ديمتريوس سوتير) رغب فصلها عن سورية فكان كمرغوبه ووهبها مع بلدتين اخريين يوناثان المكابي

ورغب ان هدمها سستيوس تجدد بناؤها واذ ذاك دعيت (ديوسبوليس) ومنذ الجيل الرابع صار لها اسقف تحت امر بطريرك اورشليم وتدعى الاسقفية هناك اسقفية مارجرجس لزعمهم ان القديس المذكور استشهد هناك وفي هذه البلدة كانت موجودة كنيسة على اسم المذكور . قال كيليوم ملك صور ان بانيها الامبراطور يوستينيانوس واحد السياح المدعى (اديسوكس) وجد دمار هذه الكنيسة قال كثير شعرًا به ذكر لد

حول منزل الاحلال من مرج راهط ورملة لد اذ تباح سهولها

اما الان فبالمحل الذي كانت فيه هذه البلدة توجد قرية حقيرة لم يزل بها بعض ابنية لا يعتد بها وكل من نظرها يلم به اسف معرضًا عما حاق بها من التاخر الوافي واللد كانت بلدة مشهورة جدًا اشتهرت بالحروب بين الافرنج والمسلمين وفي تلك النواحي حول الرملة و يافا ولد قرى وضياع كثيرة .

الرملة

ان الرملة بسهل خصب شهير عند كل زائري تلك الارض ومركزها الى جنوب شرقي مدينة يافا التي سبق الكلام عليها وهي على مسافة نصف فرسخ من اللد وحسب ما قال ابو الفدا ان الرملة بنيت في سنة ٧١٦ وبانيها هو الخليفة سليمان بن عبد الملك (وده لند) يقول ان من طالع يعرف ان ابا الفدا من اشهر المورخين نظرًا لما يعهده العالم به من وافر التدقيق وظن كثيرون انها هي (اريماثيا) التي يقول عنها القديس (جه روم) انها بالقرب من لد

ولما ساح (فولناي) العالم المشهور في مصر وسورية شاهد الرملة كالبلد خراباً ونوه عن ذلك في كتب سياحته وقد استولى عليها الافرنج سنين عديدة ثم اخذها منهم السلطان صلاح الدين الايوبي سنة ٥٨٢ للهجرة ذكره ياقوت في المشترك

وكانت الرملة ذات اهمية على نوع ما وذلك بسبب متجرها بالحرير والصابون ولما اخذها الافرنج بقيت بيدهم حتى سنة ١٢٦٦ مسيحية فتغلب عليها السلطان بيبرس في ذلك الوقت استفتح مدينة يافا ونقش ذلك على جامع قديم بقرب الرملة وقد ولد في هذه المدينة الشيخ خير الدين الرملي صاحب الفتاوي التي اشتهرت عند الفقهاء وكانت دار ولاية الامراء بني طغج الذين يقول فيهم ابو الطيب المتنبي

اري دون ما بين الفرات وبرقة ... خرابا يمشي الخيل فوق الجماجم
وطعن غطاريف كأن اكفهم ... عرفن الردينيات قبل المعاصم
حمته عن الاعداء من كل جانب ... سيوف بني طغج بن جف القماقم
هم المحسنون الكر في حومة الوغى ... واحسن منه كرهم في المكارم

هذا وكل مطالع اديب يتاسف اذ يرى بلدة كهذه قد انحطت عما كانت عليه قبلاً وصارت خايضة في اسباب التاخر والهوان وبالاخص لدى التائق النظر على ما يجاورها من البلدان المجاورة فانظر وتعجب متاملاً من التقلب بكل بلدة

حبرون

ان حبرون مركزها الجنوبي بيت لحم وعلى مسافة خمسة فراسخ منها والجنوبي اورشليم وعلى مسافة يوم منها وتدعى الان الخليل وهي قديمة وهناك سكن ابرهيم الخليل واسحق ويعقوب عليهم السلام ودفنوا مع بعض نسائهم وفي زمن بني اسرائيل كانت احدى مدن اللاويين وحسب ما جاء في سفر العدد ص ١٣ عدد ٢٢ يتضح انها من اقدم مدن الكنعانيين واما اصل اسمها فهو قرية اربع وابرهيم

قطن جوار حبرون حينما اشترى تلك المغارة التي دفنت سارة بها وفي
في سبط يهوذا وبالمغارة نفسها قبر هو واسحق ورفقة امراته و يعقوب وليئة
وبها قتل العبرانيون (هوهام) ملك حبرون وكان ذلك في زمن
يشوع وحسبما وعد موسى اعطيت البلدة اولاً لكالب ثم اخذها اللاويون
وكانت من مدنهم المشهورة وكانت مركز داود حتى اوان افتتاح قلعة
او حصن صهيون ومن طالع جيداً كتب التاريخ يتضح له ان اليهود بعد سبي
بابل سكنوا هذه المدينة ايضاً الامر الذي سبب اعتبار هذه المله له
و يبين ان الادوميين اخذوها من اليهود ايضاً حيث ذكر ان يهوذا المكابي
طردهم منها وقد استولى عليها اليونان فاسترجعها منهم سمعان غيران (سمعداليس)
غب مهاجمات وافرة اخذها منهم وقتل حرس اليهود الذي كان مقيماً بها واذ
ذاك امر باحراقها فحرقت باسرها وفي زمن الصليبيين كانت مركز اسقف وكانت
تتكرم اكراماً لذلك الشهير الذي قطنها وهو ابرهيم اب الاباء وذكر بنيامين
ان كنيسة ابرهيم عليه السلام التي كانت في هذه البلدة صارت في زمن الاسلام
كنيساً لليهود مع ان ذلك غير مثبت

ومسجد الخليل الموجود هناك الان اقام عوض الكنيس الذي سبق الكلام
عنه والمسلمون يسمون البلدة نفسها الخليل وذلك اعتباراً بان من كان ساكناً
فيها هو ابرهيم خليل الله والان في حبرون او الخليل ما ينيف عن اربع مائة
بيت واكثر سكانها مسلمون وفيها من اليهود عدد يسير

ولا شك ان كل مطالع يرغب ان يطلع على ما قال الشهير فولناي اذ
قال ان حبرون مرتكزة على اكمة ذات بقعة غير متساوية وما جاورها من
المدن والضياع كان غنياً لو اجتهد الشعب بالزراعة والحراثة وكان حتى زمن
ذلك السائح من عادة النسا ان تغزل ما كانت تخرجه اراضيهم من الاقطان
وترسله طوراً لاورشليم وطوراً لغزة وعندهم مصابن ومحل كانوا يصنعون فيه
نوعاً من الزجاج

وفي حبرون عدا عن قبر من سبق الكلام عنهم يوجد مدفن (يسا) وقائد رومانى شهير وسنة ١٦٦٦ وجد فيها احد السياح المشهورين عين ماء ينزل اليها باربع درجات من حجر

غزة

ان غزة في الجنوب الغربي الخليل على مسافة يوم ونصف وموقعها في اوائل بلاد الشام من جهة الديار المصرية ويقال لها غزة هاشم لان عمر بن عبد المناف القرشي الملقب بهاشم الثريد خطر اليها تاجرا فمات فيها وفي ذلك يقول مطرود بن كعب الخزاعي

وهاشم في ضريح وسط بلقعة   تسفى الرياح عليه بين غزات

قال بن حوقل بها قبر هاشم بن عبد مناف وبها ولد الامام الشافعي وفيها أسر وحضرة عمر بن الخطاب في الجاهلية لانها كانت مستطرقًا لاهل الحجاز وهي مركبة من ثلاث قرايا وهذه المدينة التي اشتهرت في سالف الزمن ليست الان سوى بقعة دمار مملوءة من البقايا والرسوم القديمة وسرايتها مخروبة كسراية الرملة التي سبق الكلام عنها غير ان سراية غزة افضل فان من اسوارها يشاهد الناظر البحر الذي بات منفصلاً عنها بخف آكمة على مسافة نصف فرسخ والبرية التي منظرها القفر يذكر المتامل لا بل يشخص امامه ارض مصر وليس بر الشام فان المناخ والندا والارض والحرارة تجبر الانسان على الظن بانها من اراضي مصر ولاشك بذلك حتى ان رسم الاهالي ووجوههم واطباعهم يبرهن انهم مصريون وليسوا بسوريين

واذ بات موقع غزة بين مصر وسورية اصبحت هذه البلدة مركزًا لعلاقات سكان هذين الاقليمين فاشتهرت ولوكان من داب اهلها السرعة والنشاط والاقدام بالاشغال لكانوا اوصلوا بلدتهم الى ذرى المعارف والمجد وهي ذات رياض مزهرة على ساحل البحر وبها قليل نخول وكروم خصبة وبها قلعة شهيرة

وما ينظرهُ بها المتامل من البلاط الابيض يبرهن لهُ عن قدمية واهمية هذه المدينة في سالف الاعصار وترابها مخصب جدًّا فان اراضيها التي تسقى بمياه دون زراعة البنة تاتي بتلك الاثمار المختلفة من الرمان والبردقان والثمر اللذيذ والبصل الجيد ولذلك يتاثر المشاهد عندما يرى ان هذه البلدة قد انحطت عن سامي قدرها كاغلب المدن السورية ورغمًا عن شهرة اسمها اما سكانها فبالكد يبلغون الفي نفس وتجرهم قام بسالف الزمن ببضاعة الاقطان وبمعامل الصابون وقبلاً كان عندهم القلي المشهور لتكرخن الصابون ولنوال القلي كانوا ياتون بالنبات المجاور ويحرقونهُ فمن رماده كانوا يحصلون على (السود) وهو القلي

واما عسقلان فمركزها الى شمال هذه البلدة وفيها كثير من الاثار القديمة ولذلك بانت تذكر كل من ساح في تلك النواحي باهميتها السالفة

واما العريش فحسبما توضح من كلام المورخين المتاخرين انها من اعمال فلسطين ومنهم من يبرهن انها من مصر ومركزها على ساحل البحر لجنوب غربي غزة

واخر ما ذكر مؤلف تاريخ فلسطين مدينة (رافيا) فقال انها اخر مدينة من اعمال سورية مع انها اوشكت ان تقع في حيز الدمار وهي من اعمال مصر والحمد لله اولاً واخرًا وظاهرًا وباطنًا

قال مولفهُ الياس بن ديب مطر هذا ما قدرت ان اجمعهُ من مقتضيات الفن من فضلات ادبا واكارم الاعصر الغابرة وانا ارجو من كل من اطلع على هفواتهِ ان يسبل ستر العفو والمعذرة على ان الانسان موضوع الخطا والنسيان واني مقر بانني لست من فرسان هذا الميدان وما بلغتهُ من السن هو اعظم برهان وان العصمة والكمال لله وحدهُ

ولما اطلع على هذا الكتاب جناب الشهم الفاضل والشاب الاديب الكامل علي سداد بك نجل صاحب الدولة والفخامة جودت باشا وزير المعارف شرفهُ بالتقريظ الاتي باللغة التركية

دختر پاكيزهٔ معارف بروقت ديباى زيباى زبان عربي يه بور ينوب الفت ايتدي صكره انلردن يوز چويروب دست ناز بنني اغياره اوزاتلدي لكن انلك خيال الفت ومحبتي عربلرك قلبلرنده يرلشمش ايدوكندن انلرها لا اول دختر پاكيزه اختري اونوتمديلر وتكرار انك نكاه جانفزاسنه نائل اولمق ايچون هر درلو فدا كارلقدن كيرو طور مديلر نه چاره كه فلك خيلي وقت انلرك ارزوسنه مساعد اولمدى وميوهٔ اميد اري هنوز كال بولدي فقط بو يقينده نسيم سعى وغيرت بارلنى قزلك زلفني پريشان ونيجه مدت بصر بصيرتلرندن نهان اولان روى روح افزا سنى نمايان ايتدى ينه اسكى الفتلرينه توجهني جلب ايچون اكابرك بزاخلاص اوله جق كتابلر ترجمه وتأليفنه باشلانلدي وكندوسنه نجاه كاه الفت اوله جق مكتبلر كشاد اولندى حتى شبان عصردن الياس افندي مظر كردن دختر معارفنه عقود الدريه يي تعليق ايديويردي يعني تاريخ سوريه يي تأليف ايله طبع ايتديردي هنوز مدت تحصيليه سنى تكميل ايدر ايتمز معارفه خدمت غرضيله كتاب تأليفيله اوغرا شان بركنجك نقدر تقدير وتحسينه شايسته اولديغني تعريفه حاجت كوره مم كتاب مذكورك تاريخچه اولان فوائدندن بشقه لسان عربي تحصيلنه خواهشكر بولنانلره منافع كثيره سي قابل انكار دكلدر خلاصهٔ كلام كتاب مذكور رغبت عموميه يه ديكر براثر اولد يغني من غير حد اخطار ايدرم

علي سداد

وقد ورد علينا جملة تقاريظ فاقتصرنا على ما ياتي منها فادرجت حسب ورودها من ناظميها

فمنها ما تبرع بهِ العالم الاريب والعلامة الاديب مكرمتلوا الشيخ ابرهيم افندي الاحدب نائب محكمة بيروت المهذب

وقفت على هذا السفر الذي اسفر صبح بيانه . وتحلت الاسفار بدرر اجادتهِ واحسانهِ . وابتسمت ثغور مبانيهِ . وتقوست حواجب نوناتهِ . وقامت الفاتهُ في السطور كقدود الغيد . وانحنت دالاتهُ في جامع الطروس انحناء العبيد . فوجدتهُ كتابًا بديع المثال يحسن عطف نسق الشكر لمنشئهِ بلا ابدال . اذ كان مع وجازتهِ في مبانيهِ . ورشاقة في بيان معانيهِ . ابان معالم بلاد سورية . واخبار من تولى الامر بها من البرية واتى بما يعذب في السمع . ويحسن حملهُ على كاهل القبول بلا وضع . فلذلك استنهضت همة القلم لتقريظهِ ومدحهِ فنشط لاجابتي وصدح بعد ما صعد على صرحهِ

هذا الكتاب بدا رشيق مباني	حسنت معانيهِ بلطف بيانِ
احيا لنا القوم الذين تقدموا	واعاد عصرًا مر منذ زمانِ
وجلا لنا سورية بلطائفٍ	هي كالنسيم سرى بروض جنانِ
وابان من حكموا بها وتصرفوا	بالقهر في الامصار والبلدانِ
من كل من يزهو السرير بعزهِ	ولهُ عظيم الجاه والسلطانِ
للناظرين بهِ مواعظ جمة	تدع الاديب يدين بالاذعانِ
وبهِ محاسن اعربت اخبارها	بالابتداء لطائف الاحسانِ
سفر بهِ يغني لذا الاسفار من	يسري ليعرف كنه كل مكانِ
شكرًا لالياس الذي ابدى لنا	اعرابهُ برقائق التبيانِ
ذاك الاديب المرتدي برد العلي	بيد الكمال فما لهُ من ثاني

في منهج الاداب سار بهمةٍ ... بعلوها اضحى رفيع الشانِ
و يراعةٍ قد قام يسري في دجى ... نقس و بيض الهند في الاجفانِ
هذا الكتاب لهُ غدا باكورة ... وافى الانام بوردة البستانِ
لازال يسري للعلى ماغردت ... ورقاءُ فوق منابر الاغصانِ

ثم قال جناب العالم العلامة الفاضل والاديب الاريب الكامل الشيخ يوسف افندي الاسير الازهري

لله تاريخٌ بديعٌ مختصرٌ ... الفهُ الياس من بني مطرْ
يحسن في السمع ويحلو في النظر ... سفرٌ عن المعنى الجميل قد سفرْ
فهو فريدٌ ضمنهُ عقدُ الدُرَرْ ... وسلوةٌ في حضرٍ وفي سفرْ
بفضل من الفهُ كلٌّ اقرْ ... لازال في خيرٍ موقى كل شرْ

وقال جناب الماجد المكرم والاديب المفخم صاحب الفضيلة والسيادة السيد محيي الدين نجل سعادة الامير عبد القادر الحسني الجزائري

كتابٌ قد حكى روضاً نضيرا ... بهذا الفن لم ينظر نظيرا
جلى سورية الحسناء تحكي ... عروساً قد زهت وعلت سريرا
فقد وجب الثنا والشكر منا ... لمن في جمعهِ شغل الضميرا
اديبٌ في المعارف دام يسمو ... على اقرانهِ قمرًا منيرا
سعى في فخر موطنهِ محبًّا ... جزاهُ الله عن ذا السعي خيرا

وقال جناب الاديب الاريب البارع الامير سليم شهاب

ان المعارف ابهى حلية البشرِ ... ليس الفخار بجمع المال والبدرِ
صنع الجميل جميل المدح حقٌّ لهُ ... من يجحد الحق اضحى وهو في غررِ

هذا الكتاب الذي كادت نوادرهُ   تريك في العين ما قد جاء في الخبرِ
احيا رياض احاديث الديار ولا   بدع لِأَنَّ حياة الروض بالمطرِ
لنشكرنك يا الياس ما صدحت   ورقاء اوراقهِ في دوحة الفكرِ

وقال جناب الماجد الفاضل والاريب الكامل صاحب الفضيلة حسين افندي بيهم

يا حسن تاريخ به سورية   تبدو فضايلها فتعلو شانا
اهداهُ للوطن العزيز مهذب   فطنٌ اديبٌ قد حوى الاتقانا
الياس من شاعت نتايج فكرهِ   فغدت على استعدادهِ برهانا
وبذا المولف قد ابان معارفاً   وبراعةً فاستوجب الشكرانا
والدولة الغراء قد رضيت بهِ   فحبت مكافاة عليهِ نشانا

ثم قال السيد الفاضل والاديب الكامل مكرمتلو الشيخ محمد رشيد

هذا الكتاب مبين جيل مبناهُ   رياض حسنٍ جنينا ورد معناهُ
اهدت نوافحهُ طيب الاريج لنا   تاليفهُ المعتلي الياس سواهُ
تاريخ سورية المبدي محاسنها   شكراً لها ولهُ بالحسن ابداهُ

ثم قال العالم الفاضل والشهم الكامل الحاج مصطفى افندي الانطاكي الحلبي الشهير

قد طوقت عنق التاريخ والسورِ   اداب الياس اطواقاً من الدررِ
وقد زهت صحف الاخبار منهُ لما   تعطرت من شذا اوصافهِ الغررِ
وزان بيروت دار الانس منبلجاً   منهُ صباح البديع الواضح القمرِ

فلست ادري وقد راءت محاسنه ... مما تحير في اوصافه بصري
امن براعته ام من نباهته ... ام من فطانة عقل فيه منحصرِ
ام من درايته ام من بلاغته ... ام من حداثة سن بعد في صغرِ
فهم وحزم واداب ومعرفة ... سبحان مودعها في اجمل الصورِ
مذ كان في الف باء معارفة ... معارف ابن ثمانين من العمرِ
حميد وصف جميل الخلق ذو ادب ... روض المعارف فيه يانع الثمرِ
كم زينت صحف الانشاء انملة ... باسطر في جباه الطرس كالطررِ
وارخص اللولو المنضود منطـ ... ياحسن منتظم منه ومنتثرِ
اذا عصتة القوافي قال قائلها ... هذا ابن ساعدة الانشاء نابتدري
في لوح فكرته المصقول منطبع ... توقد الشمس يزهو في صفا القمرِ
ما جال في مغلق فتراه ابدا ... الا وادركة فورا على الاثرِ
حي المدارس في بيروت كم برعت ... فيها تلامذة نجب اولوا فكرِ
لازلت يافائق الاقران تحفنا ... بما يشنف سمع البدو والحضرِ
جليت جوهرة درية فغدت ... يتيمة في كنوز الدهر والعصرِ
كانت لنا خير تاريخ يترجم عن ... بلاد سورية ما صح من خبرِ
لو لم تحقق بلنا اخبارها لغدت ... على الاحاديث فيها غير مشتهرِ
فكان تاريخ الزاهي البديع لها ... عنوان ديباجة الاخبار والسيرِ
سبكت فيه عبارات عبارتها ... لوجنة الطرس كانت وردة الخفرِ
شمس المعاني بافق الصحف فيه لقد ... دارت على محور السجعات والفقرِ
من كل لفظ رقيق تحت احرفه ... معنى دقيق جلي غير مستترِ
اكثرت نفع بني الاوطان مجتهدا ... وانت في الرد عنهم غير منتصرِ
فاسلم ودم في صفا الايام مبتهجا ... ماجادت السحب بعد الياس بالمطرِ

وقال جناب الاديب الاريب سليم افندي تقلا مدرس اللغة العربية في المدرسة البطريركية

هذا المؤلف اهدى زبدة السير ... بصحيح القول في الاخبار والسير
انشاهُ الياس في كدٍّ وهذبهُ ... فجاء احسن ما يجلو الى الفكر
وشى البراعة بالسبك الجميل وقد ... حلى البراعة في اقواله الغرر
عرفتهُ قبل ان خطت انامله ... سحرًا اليهِ صبا لطفًا صبا السحر
وان تسربلت الشمسُ السحائب في ... ... ان السماء فلا تخفى على البصر
اني افتخرت بهِ ما رايتُ بهِ ... ... لاصل يحسن الفرع مفتخر
قد صاغهُ سلك دُرٍّ ثمَّ ادمجهُ ... سلك النظام فاهدى انفس الدرر
وفي العقودُ التي ازدانت فرائدها ... وزينت ... جيد فاتن النظر
قد جال في حلبةِ الاداب وهو فتى ... ففاز بالسبق وهو البالغ الوطر
وامسك الغيث في ابان رحلتهِ ... وبعد ذلك جادَ الياس بالمطر

وقال جناب الخواجا شاكر البتلوني

هذا كتابٌ عميم النفع مع صغرٍ ... ابدى لنا ما مضى في سالف الزمن
قد جال في حلبة الاداب صا...بهُ ... فاظهر اليوم ما قد ... لم يبن
ابدى الوقائع مع ذكر الأُولى سلفوا ... وكل ما قد جرى ... في الوطن
قد شنف الاذن ذكرٌ سنهُ حين بدا ... فاصبح الطرف محسودًا من ...
سفيًا لصاحبهِ فاليوم حقّ لهُ ... مدحٌ يصاغ اذًا في السر والعلن

تم

فهرس




Bibliotheca Alexandrina
0426548